

اعلام العرب

١٣٩

مُحَمَّدُ الدِّينِ الْخَطِيبُ

ودوره في الحركة العربيّة

١٩٥٠ - ١٩٠٦

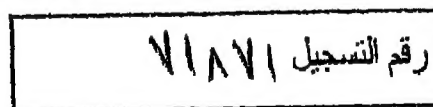
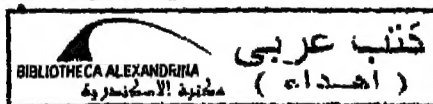
د. محمد عبد الرحمن براج

محبّ الدين الخطيب

ودوره في الحركة العربيّة

١٩٠٦ - ١٩٢٠

د. محمد عبد الرحمن برج



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٠

الإخراج الفني

جرجس ممتاز

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذه دراسة عن شخصية من الشخصيات التي لعبت دورا هاما
فى الحركة العربية منذ بدايتها وظلت بصماتها واضحة على هذه
الحركة فى أدوارها المختلفة ..

وأشعر أن هذه الدراسة تأتى استكمالا لما قمت به من أبحاث
لبعض الذين تدين لهم الحركة العربية بالشيء الكثير ، وفى مقدمتهم
ساطع الحصرى ، وعبد الرحمن الكواكبي وعزيز المصري . لقد كان
لى شرف التعرف على محب الدين الخطيب منذ أكثر من ثلاثين عاما
حين كان ابنه قصى زميلا لى فى الدراسة بكلية الآداب جامعة
القاهرة (١٩٤٦ - ١٩٥٠) وعشت بعد ذلك بين أوراقه ومذكراته
وفى مكتبته أجمع مادة هذا الكتاب الذى أرجو أن يسد فراغا فى
مكتبتنا العربية ، وأن يسهم فى إلقاء الضوء على دور محب الدين
الخطيب فى الحركة العربية ..

ولم اعتمد فى هذه الدراسة على أوراق محب الدين الخطيب فقط، رغم أنها كلها وثائق غير منشورة . كان لابد من الرجوع الى المصادر المختلفة وفى مقدمتها الوثائق البريطانية وقد ساعدتني كثيرا فى القاء الضوء على جوانب مختلفة ومنها حادثة اعتقاله فى البصرة عندما أرسله رشيد رضا ومعه عبد العزيز العتيقى موفدين من قبل جمعية الجامعة العربية فى محاولة للاتصال بزعماء الخليج وفى مقدمتهم ابن السعود .

وقد تسمت هذا البحث الى الفصول الآتية :

الفصل الأول : يتناول عصره ونشأته الأولى والهدف منها توضيح الظروف التى نشأ فيها محب الدين الخطيب وبيان المؤثرات التى أثرت فى تكوين شخصيته فى مراحلها الأولى .

ثم تناولت بعد ذلك فى الفصل الثانى دوره فى الحركة العربية حتى اعلان المشروطية الثانية ١٩٠٨ ذلك أنه كاحد الرواد العرب كان دوره بعد اعلان المشروطية وتبنى الاتحاديين لسياسة التتريك مختلفا عن دوره قبلها وذلك سوف يجده القارئ واضحا فى الفصل الثالث الذى تناولت فيه دوره فى الجمعيات العربية (١٩٠٨ - ١٩١٤) ثم كان الحديث عن حادثة اعتقاله فى البصرة فى الفصل الرابع .

وحين أعلنت الحرب العالمية الأولى وقامت الثورة التى قادها الشريف حسين سافر محب الدين الخطيب من القاهرة الى الحجاز حيث قام بدور بارز هناك فمن ادارته لصحيفة « القبلة » الى استشارة الشريف له فى العديد من الأمور . ومن ذلك ما وجدته بين أوراقه بتاريخ ١٩١٧/٣/٤ يقول :

دعانى الملك الى القصر أنا والشيخ كامل (القصاب) وآخرون فلما استقر بنا المقام قال الملك هناك من أخبر قاضى القضاة ان لديه معروضات بخصوص عزيز (المصرى) فأظهر الملك تأله وقال : اننا لم نملا عين الرجل وقد ظهر اننا غيز مققين فى رأى وهناك أشياء كثيرة سوف تعرفونها . ولما قال أحد الحاضرين اننا نخشى من

تعلق الضباط به أجابه الملك من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات
ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت فاللهفة باقية وإن ذهب
عزيز ٠٠ فمن كان جاء لأجل شخص عزيز فلا حاجة لنا به ٠٠ ومن
جاء لأجل العرب ونهضتهم فلا تزال أمامه واجباته ٠

وأشار الشريف الى رأى عزيز فى السياسة المزدوجة ويقصد
بها الاتصال بالأتراك الى جانب الاتصال بالانجليز والى أن عزيزاً
كان متكبراً ٠٠

وقد عقب الخطيب على ذلك بقوله اننى صرحت له (للشريف)
أنا والشيوخ كامل باعقادنا ورأينا فى عزيز وضعف سياسته وإن
خطته أضرت بنا وسفره مفيد لنا ٠ وقد أفادتنى دراسة أراقه فى
هذه الفترة الأمام بالنزعة الاقليمية والتعصب الذى بدا واضحا
آنذاك بين بعض الحجازيين من جانب والسوريين والمصريين
والعراقيين الذين يعملون مع الشريف من جانب آخر ٠ كذلك سوف
يلمس القارئ دور الخطيب فى اصدار العملة التى قرر الشريف
منكها وفى اختيار علم ٠ ملكته وغلبت على ذلك من الأمور التى كان للخطيب
دور فيها حتى غادر الحجاز سنة ١٩١٩ وقد تناولت ذلك فى الفصل
الخامس من هذا الكتاب ٠

ثم كانت الدراسة لبوره مع الحكومة العربية السورية واصداره
لصحيفة العاصمة ودوره فى تأسيس اللجنة الوطنية العليا مع زهيلة
كامل القهاب والتي تصدت لفصيل بعد اتفاقية مع كلنصو ٠٠

وانتهت الحكومة العربية فى دمشق على هامو معروف بعد يوم
ميسلون ووصف الخطيب لأحداث هذه الفترة مهم كمشخص عاصر
هذه الأحداث عن قرب ووقف عليها وكان له دوره فيها فقد قام بتوزيع
السلح الذى أخفته عنده جمعية العربية الفتاة والتي كانت الجمعية
قد حصلت عليه من ياسين الهاشمى قبل اعتقال الانجليز له ٠٠
ويتوارى الخطيب ويتذكر فى زى بائع جمال ويرحل من دمشق مع
قافلة عبر ساحل طبرية وسند حتى يصل الى يافا فيمتدح جواز

سفر باسم مستعار (عبد الله أبو الفتح) ويسافر منها الى القاهرة
بالقطار ٠٠

وهناك يستقر مابقى من عمره يعمل فى تحرير الأهرام ويصدر
مجلة الزهراء الشهرية ومجلة الفتح الأسبوعية ويؤسس جمعية
الشباب المسلمين مع الشيخ عبد العزيز جاويش وآخرين من زملائه ٠

ولم يتوقف دوره عند هذا الحد ٠٠ فقد وجدت فى أوراقه
مكاتبات عديدة بينه وبين حركات التحرير التونسية والجزائرية
والمغربية ورحبت صحيفة الفتح بنشر أخبار حركات التحرير فى كل
أرجاء الوطن العربى وتصدى الاستعمار لها فتمنع دخولها فى بعض
البلاد العربية ٠٠

لقد وجدت بين أوراقه التماسا قدمه علماء حمص ووجهاءها
وشبابها الى رئيس الحكومة السورية لطفى الحفار يلتمسون السماح
بدخول صحيفة الفتح ٠ ويذكر مقدموها دور الخطيب وأنه كان من
أوائل العاملين على خدمة القضية العربية فى شتى مراحلها ٠
« جننا نحن علماء وطلاب وتجار وشباب مدينة حمص نلتمس من
دولتكم العمل على السماح لصحيفة الفتح بالدخول الى سوريا ٠

وظل محب الدين الخطيب يعطى لأمتة العربية ما وسعه الجهد
حتى وافاه الأجل المحتوم فى ديسمبر سنة ١٩٦٩ ، أرجو أن يجد
القارئ فى هذا البحث جهدا يرضى عنه واذا كان هناك بعض
النقص فان الكمال لله وحده والله الموفق ٠٠

المؤلف

الفصل الأول

نشأة محب الدين الخطيب الأولى

نشأ محب الدين الخطيب في بلاد الشام في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر حيث ولد في دمشق في آخر يوليو ١٨٨٦ وكان والده الشيخ أبو الفتح الخطيب (١٨٣٤ - ١٨٩٧) من علماء دمشق ومدرسيها وأتمتها وخطبائها وكان أمين دار الكتب الظاهرية بدمشق منذ تأسيسها (١٨٧٩) الى يوم وفاته . وأما جده فهو الشيخ عبد القادر الخطيب (١٨٠٨ - ١٨٧١) فكان من كبار علماء دمشق ، اشتهرت الأسرة في دمشق بأنها بيت علم وخطابه وتدريس ..

وقد تحدث الخطيب عن الجو الذي نشأ فيه وهو يقدم لكتاب زميله في مرحلة شبابه الدكتور صلاح الدين القاسمي والذي أسماه باسم « صفحات من تاريخ النهضة العربية في أوائل القرن العشرين » قال : « ان هذا الكتاب رجع به الى أسعد أيام حياته الى بدء نشأته ثم الى ريعان شبابه الى مرحلة دراسته الثانوية يوم لم يكن للدولة

العثمانية فى مدينة دمشق الا مدرسة ثانوية واحدة كان عنوانها
الرسمى (المكتب الاعدادى) وكان الدمشقيون يسمونها مكتب عنبر .
وعنبر هذا ثرى اسرائيلى من اُصحاب الملايين بنى لذفسه دارا فى
دمشق ثم صارت هذه الدار من املاك الدولة فجعلتها مدرسة
(ثانوية)^(١) زامل الخطيب فى هذه المدرسة صلاح القاسمى
وعارف الشهابى وصالح قنباىز كما كان من اُصدقائها خارجها فى
هذه الفترة لطفى الحفار ورشدى الحكيم وغيرهم .

وكانت الدراسة باللغة التركية ، بل ان علم النحو للغة العربية
وصرفها كان يدرس من كتاب باللغة التركية يسمى (المثنىب) قررته
نظارة المعارف العثمانية لمدارس الاناضول والروم ايلى . فكان
مفروضاً على مدارس الحكومة فى الولايات العربية كذلك ان تستعمله
فى تعليم ابناء العرب النحو الخاص بلغتهم وصرفها . ويقول
الخطيب بل كان معلم العربية فى مدرستنا شيخاً تركياً مسناً أرسلوه
الىنا ليعلّمنا العربية . وكانت آمال النشء العربى فى هذه المدرسة
وفى كل مدرسة للدولة العثمانية فى البلاد العربية أن يحذقوا لغة
الترك تكلموا وانشاءً وأدباً ليتولوا بعد ذلك وظائف الدولة فى بلادهم
والبلاد العثمانية الاخرى وليعيشوا فى ظل القومية التركية مثقفين
بالثقافة التركية متقدمين فى خدمتها . منفذين لخططها الادارية ،
وسياستها الفردية ، التى عرّف بها زمن سلطته الخليفة العثمانى
عبد الحميد الثانى أما العربية فلا تكاد تعلم يومئذ الا فى مدارس
التبشير المسيحى ، والمدارس الطائفية غير الاسلامية ، بأساليب ركيكة
ومنطق غير سليم هكذا كانت الحال فى العواصم العربية دمشق ،
بيروت . القدس ، بغداد . الموصل ، البصرة . ومكة ، والمدينة
وصنعاء .

كانت العربية – على حد قول الخطيب – يومئذ عنواناً للدلول
نسيه العرب منذ ألف سنة ، وتذكروا للمورد الكريم الذى صنعها الله

(١) صلاح الدين القاسمى آتارة مقالة بقلم محب الدين الخطيب .

منه ليقوم أهلها برسالة الانسانية العليا فتعود بهم الى أهداف الحق والخير .

كانت بلاد الشام في الفترة التي نشأ فيها محب مؤثلا للبعثات التبشيرية الفرنسية اليسوعية والبروتستانتية الأمريكية والتي كانت المنافسة بينهما في فتح المدارس والكليات قائمة في بيروت والقدس .

ويمثل محب الدين الخطيب جيل الشباب العربي الذي لم ينهل من مدارس التبشير وهو الجيل الذي وجد في شخصية طاهر الجزائري نموذجا يقتدى يؤخذ العلم منه . .

شهدت دمشق في الفترة التي ولد فيها محب الدين الخطيب زيادة في عدد المدارس والمعلمين كما كان لوجود مدحت باشا حاكما على دمشق في الفترة القريبة السابقة على مولده دوره الذي لا ينكر في نهضة دمشق .

إذا كان لمدحت دوره في حركة الإصلاح التي شهدتها الدولة العثمانية ، وإعلان المشروطة الأولى (١٨٧٦) ، فإن دوره في البلاد العربية لا يمكن إنكاره . فكما كان له دوره في بغداد، عندما تولى أمرها في ٣٠ أبريل ١٨٦٩ من استتباب للأمن واستقرار له وقيام العديد من المشروعات العمرانية وإنشاء أول مطبعة وجريدة الزوراء كان له دوره في دمشق .

جاء مدحت الى دمشق سنة ١٨٧٨ وعاتزال في أذهان الناس فتنه ١٨٦٠ التي أرجعها مدحت الى الجهل الذي انتشر بين أهلها . ومما يؤثر عنه قوله : وإن المسلمين في بلاد الشام قد فشا بينهم الجهل ، ومدارس الأفرنج تتقدم يوما بعد يوم تقدما ملموسا وليس للحكومة سوى بعض مدارس ابتدائية يقرأ فيها الأحداث القرآن ، فكنت أفكر في أمر تعليم أبناء المسلمين وإصلاح مدارسنا (٢) .

(٢) أحمد أمين : زعماء الإصلاح في العصر الحديث صفحة ٥٥ ،

محمد أنيس : الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر صفحة ١٢٥ .

وشكل مدحت الجمعيات فى سوريا وجمع الاعانات وفتح المدارس . كما أنشأ مدرسة للصنائع وأخرى للفنون ، وملجأ للأيتام . وأصلح المساجد وجعلها مدارس ووضع عقوبة لولى أمر الطفل اذا بلغ ابنه السادسة ولم يرسله الى المدرسة واستعان بأموال الأوقاف فى أمور التعليم . فتأسست فى عهده جمعية المقاصد الخيرية لإنشاء المدارس وتمكنت من افتتاح خمس وثلاثين مدرسة . وارتفع عدد الطلاب الى خمسة آلاف طالب بينما زاد عدد الطالبات الى ألفين بحيث ضمت مدارس دمشق خمس طلاب الشام وسدس طالباتها (٣) .

كانت هناك شخصية عربية من وراء مدحت تحدثه وتقنعه أن الخطر كل الخطر أن ينهل الشباب الإسلامى من مدارس الارسلات التبشيرية ، تلك هى شخصية الشيخ طاهر الجزائري . ولد الشيخ طاهر فى دمشق سنة ١٨٥٦ . حين جاء أبوه صالح الجزائري مع من جاءوا الى المشرق العربى بعد مجيء الأمير عبد القادر الجزائري اليها . وأصبح ضليعا فى العلوم العربية والدينية مجيدا للغة التركية عارفا بالفارسية الى جانب الماهة بالعلوم العصرية والرياضية (٤) .

وسمع مدحت بطاهر الجزائري عند مجيئه واليا على دمشق الذى حدثه عن ضرورة العناية باللغة العربية وآدابها وعبر عن استيائه من أن اللغة العربية أصبحت لا تجد مؤثلا لها الا فى مدارس الارسلات الأجنبية من بروتستانتية وكاثوليكية وأوضح الشيخ طاهر لمدحت خطورة هذا الأمر كما أقنع الشيخ طاهر مدحت بذلك نجح فى اقناع بهاء بك رئيس ديوان الولاية وأعد الشيخ طاهر مشروعا لإنشاء جمعية المقاصد الخيرية تكون شبه رسمية تعينها الحكومة بالمال وتخصص لها ابنية وقفية وحكومية وتوجه نشاطها لفتح المدارس وتقيم مطبعة لطبع الكتب . وظل الشيخ طاهر يدافع عن فكرته فى إنشاء هذه الجمعية بعد نقل مدحت الى ولاية أزمير

(٣) غرايه : سورية فى القرن التاسع عشر صفحة ٥٥ وما بعدها ،

برو : العرب والترك فى العهد الدسورى العثمانى صفحة ١٦ .

(٤) عدنان الخطيب : الشيخ طاهر الجزائري صفحة ٥١ .

على عهد واليها الجديد حمدي باشا • فأقنع الوالي الجديد بالفكرة ونجحت الجمعية في مهمتها •

ثم استطاع الشيخ طاهر أن يحقق أمنية من أعظم آمانيه ، وهي جمع الكتب الموقوفة على المساجد في قبة الملك الظاهر بدمشق فتألفت من تلك الكتب نواة المكتبة الظاهرية التي تتبع المجمع العلمي العربي • وقد جمع فيها الشيخ بضعة آلاف من المخطوطات العربية النفيسة وفيها اليوم عدة غرف للبحث والمطالعة والمخطوطات النادرة • وفي أواخر سنة ١٨٨٢ أصدر السلطان إرادة سنية باستبدال جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية بمجلس معارف عين له رئيساً العالم الشريف محمود أفندي حمزة مفتي دمشق وعلاء الدين أفندي أحد علماء دمشق - والشيخ طاهر - الذي شغل آنذاك منصب مفتن معارف نائبين للرئيس • وتشكل من رئيس هذا المجلس ونائبيه وخمسة عشر عضواً آخرين مجلس إدارة يدير شئون المعارف في دمشق • ثم عادت حكومة السلطان عبد الحميد فألغت مفتشية المعارف وعين الشيخ طاهر مفتشاً لدار الكتب •

في ذلك الحين كان يتحلق حول الشيخ طاهر عدد من الشباب العربي الذي لعبوا دوراً هاماً في الحركة العربية منهم عبد الحميد الزهراوى ورفيق العظم ومحمد كرد علي وفارس الخورى وعبدالرحمن شهبندر وسليم الجزائري (بن أخ الشيخ طاهر) •

لكن هذه الدراسة التي كانت تدرس كانت دراسة دينية وأدبية وأما المتخصصون في العلوم والصنائع المختلفة فقد أصبحوا في حكم النادر القليل • يقول الأستاذ محمد كرد علي : أدركت مدينة دمشق وليس فيها طبيب قانوني ولا صيدلي قانوني ولا حقوقى قانوني ممن درسوا هذه الفروع على الأصول وعرفوا صناعاتهم معرفة تامة ، وليس فيها محاسب لأن الأمة عاشت وتريد أن تعيش بلا حساب ، أما العلوم الرياضية التي كان يدرسها أجدادهم مع علوم القرآن والحديث ، فقد غدت عندهم أسماء بلا مسميات (٥) •

(٥) محمد كرد علي : اقوالنا وأفعالنا صفحة ١٠٧ •

تلك هي حال دمشق في الفترة التي ولد فيها محب الدين الخطيب ..

دخل محب الدين الخطيب المدرسة الابتدائية الأميرية التابعة للدولة العثمانية في دمشق وكان اسمها باللغة التركية (نمونة ترقى) أى مدرسة الترقى النموذجية وكانت في نفس البناء الكبيرة الذي تقوم فيه في الجانب القبلي منه (دار الكتب الظاهرية) التي كان والده يتولى إمامتها وقد حصل منها بتاريخ ٥ يوليو ١٨٩٦ على الشهادة الابتدائية وكان بين العاشرة والحادية عشرة من عمره وذلك قبل وفاة والده بسنة واحدة . والحقة والده وهو في السنة الأخيرة من حياته بالتعليم الثانوية وهي المعروفة باسم مكتب عنبر .

وصار من المسير على محب الدين الخطيب بعد وفاة والده أن يكمل تعليمه لولا معاونة الشيخ طاهر الجزائري له في تكليفه بنسخ بعض الكتب مقابل أجر يتقاضاه .

وفي المدرسة التجهيزية (الثانوية كان نظام التعليم فيها سبع سنوات منهاج السنتين الأوليين فيها تثبيت مواد الدراسة الابتدائية السابقة وتقويتها . والسنوات الثلاث التالية لغاية السنة الخامسة بمنزلة الإعداد أو دراسة الكفاءة على غرار التعليم المصـررى والسنتان النهائيتان السادسة والسابعة أشبه بسنتي التوجيهي .. أما العلوم التي كانت تدرس فيها فكانت الجبر والمثلثات والطبيعة والكيمياء والجيولوجيا والفلك ومبادئ الاقتصاد السياسي وعلم الأدب التركي .

كانت لغة التدريس هي التركية حتى اللغة العربية كانت تعلم من كتاب باللغة التركية مؤلف للتلاميذ الترك بمدارس الدولة العثمانية وكانت اللغة الفارسية بقواعدها ومطالعتها من كتاب كلستان واللغة الفرنسية تدرسان إلى جانب اللغة التركية .

ولاحظ طاهر الجزائري أن محب الدين تعوزه الثقافة العربية الإسلامية فأشار عليه - وكان بمنزلة أبيه الروحي - أن ينتفع من

فضائل عالم ضليع هو الشيخ النويلاتي • وفى مناسبة مرور مائة عام على وفاة الشيخ نشرت صحيفة الفتح فى مجلدها الرابع عشر بحثاً للشيخ البيطار أثنى فيه محب الدين الخطيب على أستاذه هذا ثناء عاطراً (٧) •

وفى مدرسة عبد الله باشا العظيم بين سوق المدينة فى دمشق وسوق السلاح وفى غرفة من الدور الأوسط التقى محب الدين الخطيب بأستاذه الشيخ النويلاتي فى مبنى وصفه محب الدين أنه كان أحد حصون الدعوة الى الإصلاح فى عاصمة بنى أمية القديمة فيه غرفة للشيخ طاهر الجزائرى يجتمع فيها مع الشيخ طاهر طائفة من حلقته ومنهم محمد كرد على والشهيد عبد الحميد الزمراى وأمثالهما ، وفى الدور الأعلى من هذه المدرسة غرفة للشيخ جمال الدين القاسمى تختلف اليه فيها جماعة من تلاميذ غير الذين يختلفون اليه فى منزله الكبير •

لازم محب الدين الخطيب شيخه النويلاتي حيث درس أصول النحو وأجاد قراءة القرآن وكان من شأن ذلك فى هذه الفترة المبكرة من حياته أن بدأ تفكيره ينضج وصار يلحظ ثقافته الشخصية العربية والاسلامية بها يتلقاه فى المدرسة من العلوم الرياضية وبما يضيفه اليها من مطامعاته المتواصلة فى دار الكتب الظاهرية ، ودأب على الاطلاع فى غرف للقراءة أسستها جمعية القديس يوحنا الدمشقى الأرثوذكسية فى مدخل حى المسيحيين بدمشق حيث كانت تأتيناها المجالات الكبرى المصرية وغيرها ولاسيما المقتطف والهلل والضياء وغيرها ثم بما يقتنيه هو شخصيا من الكتب العصرية والاسلامية مما يستورده باعة الكتب فى دمشق من القاهرة وبيروت واستنبول وغيرها • فكانت هذه المطامع المتواصلة ليل نهار والتفكير فيها سبيلا لتكوين نضوج فكرى لديه • ومن أهم ما آمن به محب الدين الخطيب فى هذه المرحلة على حد ما دونه فى سيرته أن جميع أمم الأرض كانت - فى بداوتها وجاهليتها - ضيقة الفكر ضعيفة الإدراك •

وكانت لغتها - تبعا لذلك - بدائية جافية فقيرة قبل استتفحال الحضارة الا العرب ولغتهم فى بداوتهم فكانوا واسعى المدارك دقيقى الاحساس ، مرفهى الشعور ، ولغتهم فى عصر البداوة ليس لأمة أخرى فى بداوتها لغة تضارعها فى سعتها ودقتها وتعبيرها عن الطف المشاعر ، ودلالاتها على المستوى الانسانى الرفيع الذى كان لأهلها .

وساعده اطلاعه على مؤلفات ابن تيمسية فى التعرف الى الاسلام من ينابيعه الصافية وفطرته المجردة من البدع والطوائى . ووقف فى زمن مبكر على مزايا الصحابة والتابعين الذين اضطلعوا وحدهم بحمل أمانات الاسلام ، وتكوين هذا العالم الاسلامى ، وتعريف الانسانية بالاسلام الاول النقى الذى تتجاوب معه الفطرة الانسانية السامية . ولما رأى أن هذا مما خص به العرب والذين تطبعوا بسجاياهم واندمجوا فى فضائلهم ، تكونت عند محب الدين الخطيب - حسب ما دونه فى مذكراته - بأن للناطقين بالضاد رحن سار فى قافلته من المسلمين والانسانيين رسالة هم المستولون الأولون عن القيام بها فى كل زمان ومكان ، وأن على من يدرك هذه الحقيقة عنهم أن يبادر الى الايمان بهذه الرسالة ودعوة الآخرين الى الايمان بها . وهذه العقيدة ظلت ثابتة فى قلب محب الدين الخطيب حسبما يؤكد ذلك لم يتجدد له بعد ذلك ما يغيرها أو يدخل عليها أى تعديل .

ومن هذا المنطلق كان اذا وقع فى يده كتاب جديد ككتاب أم القرى لعبد الرحمن الكواكبي ، أو كتاب الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية للشيخ محمد عبده - أورد الشيخ محمد عبده على هانوتو - يقرأه أولا لنفسه فاذا رآه مما يدخل فى معانى الرسالة التى آمن بها يحرص على أن يعيد قراءته مع طالب آخر يختاره من بين زملائه ، وكان يعيد قراءة تلك الكتب مرات متعددة مع هؤلاء الأصدقاء أمثال عارف الشهابى الأخ الأكبر للأمير مصطفى الشهابى وصلاح الدين القاسمى الأخ الأصغر للشيخ جمال الدين القاسمى ونابغة حماء الشهيد صالح قنباز ولطفى الحفار أحد الذين تولوا رئاسة الوزارة السورية فيما بعد وابن عمه زكى الخطيب وسيف الدين الخطيب من مؤسسى المنتدى الأدبى فى العاصمة العثمانية وأحد

شهداء مشافق جمال داشا ورشدي الحكيم من كبار رجال وزارة العدل السورية ومن نوابغ الأدب في دمشق وعثمان مردم الأخ الأكبر لجميل مردم أحد رؤساء سوريا السابقين .

وبدا محب الدين الخطيب يمرن قلمه على الانشاء بترجمة بعض المقالات العلمية والقطع الأدبية عن اللغة التركية في مجلاتها وكتبها ، وأخذ يرسل بما يترجمه أو ينشئه الى صحيفة (ثمرات الفنون) التي كان يحررها في بيروت الشهيد أحمد حسن طباره فكان في أول الأمر يوقع على ما يكتبه بحرفي م . خ فلما أنس القبول ، بل التشجيع على هذه المقالات ، صار يوقع على ما يكتبه باسمه الصريح .

وفي مخطوط لمحب الدين الخطيب أوضح في أوله جهود الشيخ طاهر الجزائري في نهضة الشام حتى اشتبهت فيه حكومة الاستانة فأرادت عزله من إشرافه على المعارف في جميع الديار الشامية ، فلما قيل لها أن الرجل لا يعمل إلا للمصالح العام والشعب مؤمن بإخلاصه فإذا عزل كان لذلك وقع سييء في الديار الشامية فاحتالت على عزله بإلغاء مفتشيات المعارف كلها في جميع الولايات ليكون عزله كأنه غير مقصود في الظاهر وبقي سنوات لا مورد له إلا من بيع الكتب المخطوطة الموروثة له من والده (وكان والده مفتي المالكية في دمشق) ومما اقتناه هو من النفائس التي لا يعرف شرقي ولا مستشرق قدرها كما يعرفها هو . وكان عزت العابد في طفولته رفيق الشيخ طاهر في الدراسة فكانا يتناوبان الأولية فيه ، وفي وقت تأسيس تشكيلات المعارف في سوريا تأسست أيضا تشكيلات العدلية (أي المحاكم المدنية) وكما عين الشيخ طاهر مفتشا للمعارف عين عزت بك العابد مفتشا للعدلية واحتاج الى السفر للاستانة لبعض الأمور واتصل بالمابيين واكتشفوا هناك ذكاءه والمعيته فعينوه الكاتب الثاني للسلطان عبد الحميد . فلما علم عزت العابد (وهو في المابيين) أن رفيق صباه الشيخ طاهر نحى عن مفتشية المعارف وأنه يعيش من بيع كتبه أرسل له مع صديق لهما يقول له اختر أي وظيفة ترضى بها أعينك لها ، فأرسل اليه الشيخ طاهر يقول : إذا نفذت كتبي وصرت أبيع ملابسى لا أقبل وظيفة من طريقك لأنك التحقت بالمابيين .

وظل الشيخ طاهر بدون وظيفة حتى سعى اثنان من أبناء الأمير عبد القادر الجزائري هما الأمير محمد باشا والأمير محيي الدين باشا في تعيينه في وظيفة مفتش دور الكتب في الديار الشامية كلها وفي خلال ذلك زار القدس وأقنع راغب الخالدي بتأسيس المكتبة الخالدية وطبع فهرستها . فلما اشتمت المضايقة عليه نزح الى مصر .

وقبل نزوحه الى مصر كانت تلتف حوله الحلقات : حلقة الشيخ الديطار والقاسمي وحلقة رفيق العظم وكرد علي ومحمد علي مسلم وحلقة شكرى العسلى وعبد الوهاب المليجي وعبد الرحمن شهبندر . وكذلك كان الخطيب حلقة مؤلفة من الأمير عارف الشهابي وبعض بنى عمه وصلاح الدين القاسمي ولطفى الحفار وأخويه وأبناء مردم عثمان وأخويه وعمهم وبعض بنى العظم صلاح الدين وسامي وآخرين وكل هؤلاء على مراتب مختلفة . وكان الخطيب يلزم الشيخ طاهر في تنقلاته بين أقصى دمشق وأدناها من الميدان الى سوق ساروجة الى الباب الشرقي ، وكثيرا ما تكون هذه الاجتماعات في بعض غرف مدرسة عبد الله باشا العظم وتختتم في أيام الجمعة بين الظهر والعصر من كل أسبوع . كانت الأحاديث في هذه الاجتماعات تدور حول مسائل من العلم تعرض لبعض المجتمعين أثناء مطالعاتهم ويحوثهم في خلال الأسبوع فيسأل الواحد منهم الشيخ طاهر الجزائري عنها ، فيجيب على ذلك بجمل موجزة بحكمة يقول عنها الخطيب انه يخيّل منها لسامعها ان هذا الرجل العجيب كأنه كان معاصرا للأجيال السابقة في ماضى العروبة والاسلام ، ومشاركا في جميع التيارات الفكرية والمذاهب العلمية التي شغلت أذهان علماء هذه الأمة ، ولو شاء الباحث أن يصل عن طريق البحث والمراجعة الى مثل ما يستفيد من كلمات الشيخ طاهر الجزائري القليلة المرتجلة عفو الساعة لاحتاج الى شهور يراجع فيها ما لم يسمع به ولا باسم مؤلفه من المراجع والنصوص كذلك كان الأستاذ كرد علي أو غيره يعرض في هذا الاجتماع مقالا يكون أعده ليرسله الى مجلة المقتطف أو غيرها ، وفي أثناء تلاوته يسدّد الشيخ طاهر بعض الخطوات في

ذلك المقال أو يعدل في شيء من الآراء الواردة فيه . وأحيانا كان يدور الحديث في هذه الاجتماعات حول الأحوال الجارية في الدولة العثمانية أو في المحيط الدولي مما تشير اليه الصحف فيعلق عليه الشيخ طاهر بما يكشف عن خفايا الاتجاهات كما لو كان هذا الرجل لا عمل له في حياته إلا دراسة مثل هذه الأمور .

ويصف الخطيب حلقة الشيخ طاهر بأنه قلما يسنخ الزمان بمثلها في بلد واحد ولاسيما إذا كان ذلك البلد في مثل حالة النوم الذي كانت عاياه دمشق حستغرة فيه في السنوات العشر الأخيرة من سلطته السلطان عبد الحميد . ويوضح مكانة الشيخ طاهر حتى لدى المستشرقين وغيرهم أنهم كانوا يعرفون قدره ومكانته .

أما تأثيره على الخطيب فيوضحه بقوله : ومن نعم الله على كاتب هذه السطور أنه عرف الشيخ طاهر من طفولته واتخذة أبا - بعد موت والدي الشيخ أبي الفتح الخطيب في المحرم ١٣١٥ - فعرفت طريقى بتوجيهه ونظرت الى أهدافى بعينيه ، وحررت رسالتى فى الحياة بالنزق والمشرّب اللذين اقتبستهما منه (٨) .

وأهم ما استفاده الخطيب من الشيخ طاهر أنه في السنوات الأولى من دراسته تعلم حب التثبّت من كل شيء ، وعدم التسرع في الحكم على أمر إلا بعد الإحاطة بحقيقته والوقوف على دخيلته . . . وكذلك تعلم منه الوفاء لهذه الأمة ومعرفة أقدار عظمائها والنظر بعين الرضا والحرمة لتراثهم العلمى وجهادهم القومى وتضديتهم لتكوين كياننا الذى يحتاج منا الى بعثة وإعادة الحياة اليه . وكانت نتيجة هذا وذاك الايمان بأن من واجبه أن يعمل على تأليف حلقة من أبناء جيله تخلف حلقة الشيخ طاهر وتواصل مهمتها وتصلح لأن تكون امتدادا لها وتتجنب ما يكون قد لاحظته في بعضهم من نواحي ضعف فحرص على أن تكون حلقة لها دورها وتأثيرها . كان يختار من زملائه تلاميذ مكتب عنبر أو من خارج هذه المدرسة من يرى منهم القابلية للخير ييث فيهم الحماس لأمتهم والعمل من أجلها .

(٨) مخطوط بعنوان : الجيل الذى عاصر بعث المروبة .

وقص الخطيب في مخطوطه السابق الاشارة اليه اخبار رفاقه في حلقته واضطهاد ادارة المدرسة له وتفتيش درجه فوجدت معه قصائد تركية لشاعر الترك نامق كمال وكلها تمجيد في الحرية تتخللها قصائد ومقطوعات أخرى من هذا القبيل وبعد تفتيش المدرس له ووجود كتب ممنوعة التداول في زمن السلطان عبد الحميد أبلغ ادارة المدرسة فعملت معه تحقيقا وصارت الكتب والمطبوعات « ولما وجدوا كل هذا في درج مكتبي عاقبوني بنقص درجاتي في السلوك ثم جاء الامتحان لأنتقل الى السنة النهائية فتعمدوا أن يخسسوني في درجاتي بالامتحان . وحينئذ رأيت أن البقاء في مكتب عنبر لم يعد يطاق فعزمت على الانتقال الى مدرسة بيروت وفيها قضيت السنة الأخيرة وأخذت شهادتي الثانوية » .

وبانتقال محب الدين الخطيب من مدرسة دمشق الى مدرسة بيروت انتقل معه كثيرون من نوابغ تلاميذ مدرسة دمشق الثانوية ومنهم جميع الأمراء الشهابيين من أبناء وادي النيل (حاصبيا وراشيا) وقد حصل محب الدين على هذه الشهادة بتاريخ ١٩٠٥/٦/١٤ .

أبحر محب الدين الخطيب بعدها على باخرة روسية الى الأستانة لإكمال تعليمه هناك وتقابل في هذه البأخرة بعبد الكريم قاسم الخليل حيث نزلا سويا في الأستانة في شارع طاووق بازاري من حي جنبرلي طاش . ووصل بعد ذلك الأمير عارف الذي أقام مع محب الدين الى أن هيا لنفسه مكانا للإقامة .

وعند وصول محب الدين الى الأستانة التحق بكليتين معا الحقوق والآداب . ويبرر ذلك بأنه ليس الغرض منه الاكثار من العلم بقدر ما هو الاكثار من الآفاق التي يغشاها ليكثر من الاخوان الذين يصطفيههم ويعقد الروابط الفكرية معهم .

الفصل الثانى

دور محب الدين الخطيب فى الحركة العربية حتى اعلان المشروطية الثانية

كان مجيء محب الدين الخطيب الى عاصمة الدولة العثمانية فى اواخر ١٩٠٥ ليلتحق بالتعليم فيها بداية لمرحلة هامة وجديدة فى حياته .

فقد هاله عند وصوله الى هذه البيئة الجديدة أن جميع أبناء العرب من سوريين وفلسطينيين وعراقيين وحجازيين وغيرهم - يجهلون قواعد لغتهم واملاءها فضلا عن آدابها وثقافتها ويتكلمون حتى فيما بينهم باللغة التركية - كان هذا الشباب العربى فى هذه المرحلة أن يحدق الكلام والكتابة باللغة التركية ويندمج فى أهلها ثم يكون مستعبدا للوظيفة التى يرجو أن يحصل على العيش من طريقها (١) .

(١) مخطوط لمحب الدين الخطيب : سيرة جيل .

شغلت قضية التعليم باللغة العربية ذهن محب الدين الخطيب فقد كان يؤمن أن من يتعلم العلم بلغة غيره يصعب عليه أن يفيد أبناء جنسه بغير تلك اللغة وتستحيل عليه أن يثبت فيهم من روح علمه بلغة قومه . وكان محمد كرد على في هذا الوقت قد انتقل من دمشق إلى مصر والتحق بقلم تحرير جريدة الظاهر التي كان يصدرها محمد أبو شادي المحامي ثم بقلم تحرير المؤيد لصاحبها الشيخ على يوسف . ثم أخذ يستعد لإصدار مجلة المقتبس الشهرية فطلب منه محب الدين أن يوافيه بجميع ما ينتهي من قراءته من الصحف المصرية وما يصل إليه من صحف سوريا والمهجر أي من الصحف التي يصدرها السوريون خارج وطنهم وخاصة في الأمريكتين .

كان الهدف من ذلك أن يستعين بها محب الدين على تحويل من يتصل بهم من شباب العرب في استنبول من وجوه التركية إلى عربية . . . وأن يحبب اليهم دراسة الأدب العربي .

فجعل محمد كرد على يرسل إلى محب الدين الخطيب مع بريد كل باخرة تقوم من الاسكندرية إلى استنبول طردا كبيرا من الصحف بعنوان فرع البريد الفرنسي في (غلطة) وهو الحى الافرنجى من استنبول .

وكان الشبان الشهابيون وغيرهم من الذين كانوا على صلة بمحب الدين في دمشق وبيروت والذين تعرف بهم للمرة الأولى وهو في طريقه إلى الاستانة قبل عبد الكريم الخليل أو الذين تعرف بهم هناك في عاصمة الدولة مثل فايز العظم من فرع أسرة العظم في حماه وشكري الجندى الذي صار فيما بعد من كبار رجال القضاة في سوريا ومظهر رسلان الذي صار بعد ذلك رئيس وزارة في الأردن وغيرهم يحضرون للاطلاع على الصحف والمطبوعات التي لا عهد لهم بمثلها من قبل .

ومع الأيام السريعة المتوالية استطاع محب الدين أن يتخير من هؤلاء الشباب طائفة اقنعها أن من الخير لها أن تتعلم قواعد اللغة

العربية وأن تقرأ أو تحفظ قطعاً بليغة عن الأدب العربي . واتفق مع صديقه القديم الأمير عارف الشهابي وهو أديب شاعر على أن يقتسما هؤلاء الشباب الراغبين في تقوية ملكتهم باللغة العربية فيتولى الأمير عارف تعليم حلقة من الشباب الساكنين على مقربة منه . ويتولى محب الدين تعليم حلقة أخرى أكبر من هؤلاء .

ورسم محب الدين خطة الدراسة في الحلقتين بأن يتم تعليم قاعدة واحدة من قواعد اللغة العربية نظرياً ثم تطبق عملياً مدة طويلة بالقراءة والانشاء ولا ينتقل منها الى قاعدة أخرى الا بعد اتقان استعمال القاعدة الأولى واعتياد اللسان على التزام الصواب، في استعمالها . ومع تفهم القاعدة والتمرين على استعمالها يحفظ المتعلم بضعة أبيات من بليغ الشعر العصري أو القديم . ويشترط أن تكون الأبيات المختارة للحفظ والقطع المختارة للقراءة ذات مرمى توجيهي توقف في نفس الطالب مشاعر الاتصال بقوميته العربية وماضيها الاسلامي ، والارتياح الى السجاياء والأخلاق التي ترتفع بمستقواها الى التربية التي تؤهل الجيل لأن يكون من أهل الحق والخير(٢) .

ويذكر محب الدين الخطيب أن الشباب العربي في عاصمة الدولة العثمانية الذي تعلم بهذه الصريقة شعر يوماً بعد يوم بعظمة قوميته العربية وبجلال الاسلام وتضافرهما وؤرض على من يقصر في الدرس أو يتخلف عن حضوره في الموعد المحدد اتاوات مالية خفيفة فتح لها صندوق خاص وتولى امانته شكرى الجندي وكان التعلم مجاناً .

وبعد وقت قريب أو بالتحديد في يوم الاثنين ٢٤ ديسمبر ١٩٠٦ كاشف محب الدين الخطيب الممتازين من شباب الحلقتين (حلقة الأمير عارف الشهابي وحلقته) أن هذا العمل الذي نحن فيه نهضة وانها نهضة مباركة أن شاء الله واقترح أن يسمى المشتركون فيه حلقتهم - بل حلقتيهم - باسم جمعية النهضة العربية .

(٢) مخطوط بسنوان : الجيل الذي عاصر بعث العروبة .

وفي مخطوط محب الدين يقول : ذكرت لكم ما رأيت عليه شبابنا في الأستانة كلهم متتركون ، وكلهم يرون السعادة في أن يصطيفوا بصيغة حكومتهم فيكونوا موظفين ناجحين ، وكثيرون منهم يدخلون من عروبتهم . بل إذا اجتمع العربي بالعربي يتخاطبان بالتركية بجملة محاولة تأسيس جمعية النهضة العربية واختاروني لرئاستها في الأستانة (٣) .

وفي حديث للأستاذ الخطيب مع سعيد الأفغاني عندما اجتمع به في مارس ١٩٦٣ قال له انه عند وصوله الى استنبول ألقى أكثر الطلاب العرب يتتركون غير شاعرين بعروبتهم قط وجدهم يتكلمون التركية ويتعلمونها ويكتبونها ويتباهون كلما تقدموا بها خطوة وهم يجهلون لغتهم الا بعض الجمل السوقية الرديئة الى نصفها مخلوط بالكلمات الغربية . أما ما يبيع أمتهم وجغرافيتهم بلادهم و... سجل حضارتهم - فشيء لم يسمعوا به قط ووجد أكثر العراقيين المتعلمين يتراسلون بالتركية (٤) .

امن محب الدين أن تعلم اللغة العربية بداية لتعزيز الشعور القومي في نفوس الشباب العربي . وهذا واضح تماما في البحوث التي ألفت في جمعية النهضة العربية . ففي بحث له بعنوان التعليم بالعربية يقول أول ما يراود من اصلاح التعليم هو أن يكون أولا بالعربية اذا كانت المدارس مشيدة في بلاد يقطنها الناطقون بالضاد ممن انحدروا من أصالاب العرب إذ أن غاية التعليم ارشاد الأمة الى ما فيه صلاحها واصلاحها ولا يتم ذلك الا اذا توفرت على الأسباب التي من شأنها أن تأخذ بناصر اللغة العربية والعمل على اشاعتها فيما بينهم جهد الطاقة ليستتب لهم التفاهم بلغة سوف تعود الى نضرتها الأولى اذا أصلحت طريقة التعليم (٥) .

(٣) المرجع السابق .

(٤) مجلة دعوة الحق نوفمبر ١٩٧٠ .

(٥) القاسمي : آثاره ص ٤٦ .

ويتفق محب الدين الخطيب في هذا الاتجاه مع ساطع الحصري ومع رجال المدرسة الألمانية وفي مقدمتهم هردر وفيخته على أن اللغة القومية هي بمنزلة الوعاء الذي تتشكل به وتحفظ فيه وتنقل بواسطته أفكار الشعب . وأن قلب الشعب ينبض في لغته (٦) . كان محب الدين إذا يرى أن بداية النهضة العصرية هي تعلم اللغة العربية وآدابها . ولما كان الشباب العربي في الاستانة يكثر من التردد على المقاهي ولا تجذبهم مطالعة الصحف العربية خطر ببال محب الدين أن يكون للشباب العربي في استنبول مقهى خاص بهم يفضلونه على غيره وتسهل الاجتماع بهم فيه . وبعد المداولة والتشاور مع أعضاء الجمعية ولاسيما شكرى الجندى أمين همدوقيا .. وقع الاختيار على إحدى المقاهي في أحد الشوارع الرئيسية في الاستانة على أن تكون ملتقى للشباب العربي ودبت الحيوية والحركة في المقهى وصارت أسطوانات كبار المغنيين والموسيقيين العرب في ذلك الدين بتردد صداها العالي في أربعة شوارع .

وهكذا استطاع محب الدين الخطيب أن يجذب الشباب العربي على الاقبال على تمضية أوقات فراغهم في هذا المقهى بدلا من تمضيته في المقاهي الأخرى وأخذ أعضاء الجمعية يزادون .

ولم تكن فكرة المنتدى الأدبي الذي سيؤسس في الاستانة بعد ذلك سنة ١٩٠٩ إلا استكمالاً لهذه الفكرة التي بدأها الخطيب في فترة سابقة . فقد كانت مشكلة الطلبة العرب في الاستانة أنهم في حاجة الى مكان يلتفون فيه ويبيت فيه من يحضر الى عاصمة الدولة من خارجها (٧) .

ومضى محب الدين الخطيب في العمل على جذب أكبر عدد من الشباب العربي الى جمعيته . ولم أجد في أوراق الخطيب ما يدل على أن هذه الجمعية عند تأسيسها كان لها نظام داخلي أو شروط

(٦) محمد برج : ساطع الحصري ص ١٤٤ .

(٧) مصطفى الشهابي : القومية العربية ص ٦٩ .

للعضوية فكانت مجرد تجمع (ملتقى أكثر منه جمعية نظامية مؤسسة على غرار الجمعيات الأخرى . ولكن وجدت بيانا عنده يوضح فيه منابع الواردات للجمعية فجعل كل عضو يدفع نصف قرش تركي يوميا ومن لم يحضر الدرس عليه سبعة أرباع القرش وأما من لم يحفظه فعليه أن يدفع قرشا . وسمى هذا المنبع للجمعية واجبا . أما المنبع الثاني فيسمى استحقاقا أي ما يستحقه العضو من الجمعية ثم هناك منبع الهدايا ووجدت بخطه كلمة أن صندوق الجمعية يقبل الهدايا .

وكانت النتيجة الأولى لهذا النشاط الجديد ازدياد عدد الملتفين حول مؤسس النهضة والشعور بالحاجة إلى لقاء منهم في حفل موسع لتبادل المشاعر والأفكار الجديدة والآمال المتفتحة . ودار البحث عن مكان يمكن أن يتم فيه هذا الحفل بعيدا عن عيون المابين البثوث في كل مكان . وقيل لهم أن في جزيرة قريبة من الأستانة اسمها بيوك أضنة حديقة واسعة يملكها أحمد باشا الزهير من أعيان البصرة وفي الامكان إقامة هذا الحفل في أرجائها الواسعة البعيدة عن العميون والأذان . وبذلك يكون قيام أول حفل لأول جمعية عربية في العاصمة العثمانية على أرض عربية توصى بالمعاني التي لا يعبر عنها جو آخر .

وفي صباح الثلاثاء (١٣ يوليو ١٩٠٧) كانت الباخرة القادمة من استنبول إلى بيوك أضنة تحمل من الركاب أضعاف العدد الذي اعتادت أن تحمل إلى هذه الجزيرة في الأوقات الأخرى . واجتمع شباب العرب في هذه الحديقة التي يملكها أحمد الزهير يمرحون ويسرحون ثم انتظموا في حلقة واسعة توسطها محب الدين الخطيب وألقى عليهم خطبة « بعنوان واجباتنا » حتى اذا انتهى من قائها تقدم عارف الشهابي فألقى قصيدة عنوانها « نحن والأغيار » .

وننتج عن هذا النشاط لمحب الدين الخطيب أن نظارة التبعية شعرت بنشاطه الغير عادي فضربت عليه نطاق رقابتها . ولما أمسك رجالها بالخيوط التي تتصل بهذه الحركة رجعت بهم كلها إلى مصدر واحد وهو غرفة محب الدين الخطيب . وفيما كان مدب الدين في

حلقة تدريس العربية بغرفته بعد عصر أحد الأيام إذ طرق باب الغرفة أحد كبار موظفي نظارة الضبطية يومئذ واسمه فريد باشا . وفوجيء مندوب الضبطية بمحب الدين الخطيب أمامه ولم يكن يعلم ذلك فقد كان الأمر الذي تلقاه أن طائفة من شباب العرب لهم نشاط تجهله الحكومة وطلبت الحكومة العثمانية من فريد باشا البحث عن الحقيقة .

يذكر محب الدين في مخطوطه « سيرة جيل » أن فريد باشا طلب الاختلاء به وسأله عن هم موجودون معه . فقال له محب أنهم أصحابه وزملاءه في الدراسة . وسأله عن الكتب الموجودة فتيل له أنها صحف وكتب لغتها العربية للتمكن من تعلم اللغة العربية وأسر فريد باشا للخطيب أنهم مراقبون من قبل نظارة الضبطية منذ أسابيع وأما قرئت الشبهة فيهم ندبته الحكومة للقبض عليهم والذهاب بهم للتحقيق . وأن عساكر الشرطة ينتظرون منه الأمر للقبض عليهم . وقال له مندوب الضبطية انه بحكم معرفته بأبناء عمه صلاح الدين وزكى وسيف البين الخطيب لن يقبض عليه لكنه قد يأتي مندوب آخر فيعتقله ونصحه بمرق الأوراق الموجودة عنده ومنع الاجتماعات مع زملائه (٨) .

دعا محب الدين الخطيب عقب ذلك اخوانه وقص عليهم ما دار من حديث بينه وبين مندوب نظارة الضبطية فذكر الشهيد عبد الكريم الخليل ان له أصدقاء إيرانيين يقيمون في عاصمة الدولة سيودع عندهم كتب من كتب الدين الخطيب ويتألف الخطيب كثيرا ان ذلك الصندوق بقي عند ذلك الإيراني ولم يعثر عليه بعد ذلك رغم ما كان فيها من نفائس الكتب والمصادر العربية .

وقع هذا كله عندما كان محب الدين في نهاية السنة الثانية الدراسية بالحقوق وكان لاتساع نشاطه الخارجى ما حال بينه وبين مواصلة الدراسة في الآداب والحقوق معا فاكتفى بالدراسة في الأخيرة دون الأولى .

(٨) انظر كلاك مخطوطه بعنوان : الجيل الذى عاصر بعث الروبة .

ومع هذه الاحتياطات والاشتغال بالذاكرة لدخول الامتحان ، فان المراقبة ظلت متواصلة واتسع نطاقها فشمل منازل كثيرين ممن كانوا يترددون على غرفتي محب الدين الخطيب وعارف الشهابي . وتم الامتحان بنجاح محب الدين وانتقاله الى السنة الثالثة وكانت الخطة ان يقرغ في العطلة الصيفية لمواصلة العمل في جمعية النهضة العربية لولا ان يقظة البوليس الحميدى ونشاطه حملت محب الدين ان يستجيب انصيحة اخوانه وزملائه في استنبول فيتركها في العطلة الصيفية الى دمشق .

عاد محب الدين الى دمشق ليجد استاذاه ورائده الشيخ طاهر الجزائري قد غادرها الى مصر موثلا لآحرار العرب الذين ضاقت بهم المعيشة في ظل جو الاستبداد الذي فرضه السلطان عبد الحميد الثاني وانتشار التجسس والتضييق على الصحافة . وكما غر الكواكب من قبل هربا من هذا الاستبداد وأثر الاثامة في مصر ، خرج الشيخ طاهر اليها كما ذهب من السوريين كثير من الذين ضاقت بهم الحياة في هذا الجو الذي ساد الدولة العثمانية على عهد السلطان عبد الحميد . ذهب رفيق العظم ومحمد كرد علي وكنا من اعز اصدقاء محب الدين الخطيب ليقبلا مع غيرهم من السوريين في مصر .

والمعروف ان هؤلاء السوريين الذين جاءوا الى مصر كان لهم دورهم ونشاطهم سواء في مجال الصحافة والأدب أو في مجال العمل والتصدى للاستبداد الحميدى أو في مناوآته سياسة التتريك على عهد الاتحاديين . ومن هؤلاء رشيد رضا الذي قدم الى مصر في ٢ يناير ١٨٩٨ في باخرة رست به في الاسكندرية في ذلك التاريخ (٩) .

كان محب الدين الخطيب قد كتب قبل مجيئه الى سوريا الى اثنين من خالصائه هما صلاح الدين القاسمى ولطفى الحفار ينبئهما

(٩) رشيد رضا : رسالة دكتوراه أحمد الشرباصى .

عن تأليف جمعية النهضة العربية في استنبول يدعوهما الى الالتحاق بها . وأشار على كل منهما أن يرى أحدهما كتابه للأخر فاجتمع هذان وتذاكرا مليا وقر رأيهما في الفتمام على الالتحاق بالمركز الأول في القسطنطينية وقاما بتأسيس فرع للجمعية مؤلف من خمسة أعضاء ٠٠ فكانوا يجتمعون ليلتين من كل أسبوع ويتبرع كل منهم بمبلغ زهيد من المال يحفظ في صندوق لحساب هذه الجمعية (١٠) .

رأى محب الدين الخطيب أن هناك فائدة أخرى من وراء سفره الى دمشق فالى جانب الأخذ بما أشار به أصحابه من البعد عن مراقبة رجال الضبطية ثى العاصمة العثمانية له أن يتعهد فرع جمعية النهضة العربية في دمشق بالنماء خصوصا وعلى عدد ما دونه محب الدين في أوراقه - أنه علم أنه في غيبته قد انضم الى بعض المصاعب التي يلقاها المتسبون الى النهضة العربية في استنبول ظهور لغط من بعض الذين في قلوبهم مرض وعلى رأسهم اثنان : مظهر رسلان الذي صار فيما بعد رئيس وزارة الاردن ، وتامر حمادة من أبناء أعيان الهرمل . وفيما كان محب الدين في دمشق في صيف (١٩٠٧) تلقى رسالة من الأمير عارف الشهابي في استنبول يصف له الحالة هناك واللفظ الذي ازداد حول الجمعية وأعضائها ، وطلب اليه أن يواصل لقاءه في دمشق بعد انتهاء العطلة المدرسية فيستريح في الوطن لمدة سنة الى أن تهدأ الحال في استنبول وتنقطع الرقابة على الجمعية وأعضائها والملففين حولهم .

انتبه محب الدين الخطيب فرصة مجيئه الى دمشق وقر رأيه على نقل المركز العام للجمعية عن استنبول الى دمشق (١١) .

أخذ محب الدين الخطيب ورفاقه على عاتقهم في هذه الجمعية تعريف شباب العرب المثقفين لعروبيتهم ودعوتهم الى التعاون في اصلاح المجتمع العثماني الذي كان يتوقف على اصلاحه صلاح

(١٠) القاسمي : ص ٦

(١١) سيرة جيل مخطوط .

المجتمع العربى . وقرر المركز العام للجمعية انشاء مكتبة صغيرة فى دمشق واقضاء الصحف والمجلات العلمية وأعد مكانا فى دار عثمان مردم وبدأ طبع المصنفات العصرية تمشيا مع مبادئها والى جانب نشاط محب الدين الخطيب فى دعم جمعية النهضة العربية فى دمشق حرص على حضور حلقات أتباع الشيخ طاهر الجزائرى التى أخذت تعتد برغم أن الشيخ طاهر قد غادرهم الى مصر . وكانت هذه الحلقات تعقد بعد الظهر يوم الجمعة من كل أسبوع فى منزل رفيق العظم مع أنه هو الآخر قد غادر دمشق الى مصر كما سبق القول .

ونى أوراق محب الدين أنه بينما هو فى أحد هذه الاجتماعات فى يوم جمعة كان من المجتمعين القائمقام أركان رحب سليم بك الجزائرى وشكرى بك العسلى وعبد الوهاب بك الملىجى وفارس بك الخورى وآخرون . وفى نهاية الجلسة نهض فارس الخورى وكان يشغل فى ذلك الامين وظيفه المترجمان الاول للقنصلية البريطانية العامة نى دمشق وقال لسليم الجزائرى أن قنصل الانجليز بالحديدة محتاج الى شاب عربى مسلم يكون فى منصب المترجمان له . ويشترط فيه أن يحسن مع لغته العربية - اللغة التركية ويكون له المام بالقوانين العثمانية وشئون القضاء ، لأن الوظيفة قضائية ويحضر فيها المترجمان جلسات المحاكم التى يكون فيها أحد تبعة القنصلية طرفا فى القضية والمهم أن يكون من أهل الأستانة وله المام ثقافى ، ولا علاقة لعمله بشيء من أمور السياسة لاسيما وأن القنصلية نفسها مهمتها ادارية وتعنى بشئون التجارة وغير دبلوماسية .

وقال فارس الخورى لسليم الجزائرى أنه يعلم ان كثيرا من ابناء الجالية الجزائرية فى دمشق كانت الحكومة العثمانية قد اباحت لهم الدراسة مجانا فى دار الشفقة التى أسسها فى استنبول . وفى المخرجين الجزائريين من هذه المدرسة من تتوفر منهم هذه المزايا المطلوبة . وسأله أن يرشح له أحدهم لشغل هذا المنصب فوعده سليم الجزائرى أن يبحث له عن تتوفر فيه هذه المزايا ويخبره فى الاسبوع القادم .

ويذكر الخطيب أنه كان قريبا من كل من نارس الخورى وسليم
الجزائري فسمع هذا الحديث فاتجه الى فارس وسأله عما اذا كان
يصلح هو (الخطيب) لهذا العمل فتعجب فارس الخورى اذ كيف
يكون الخطيب طالبا في السنة الثالثة بكلية الحقوق وزملاؤه ينتظرون
انتهاءه من الدراسة بعد مسحتين وهو موضع رجائهم فيترك
الدراسة .

وابدئ الخطيب رغبة قوية في التعرف على اليمن « لانه وطن
من اوطاننا واتصالنا به منقطع وانا أحب أن أعرفه عن قرب » .

ثم أطلع الخطيب فارس الخورى على كتاب عارف الشهابي
وكان من حاصبيا من وادي التيم قال له : انهم يطلبون مني أن لا
أعود الى استنبول لمدة سنة على الأقل واني اذا قضيت في اليمن
هذه السنة التي ستضيع على كل حال من مدة دراستي لأن أخسر
شيئا . واذا صار الجو في استنبول صالحا لعودتي أستقبل حالا من
هذا العمل الجديد ولا يكون قبولى لهذه الوظيفة في الحديدية قد غير
شيئا من مجرى حياتي الدراسية وما بعدها . وقرأ فارس كتاب
الشهابي وقال الخطيب انه كان يطمع لوظيفة الحديدية فيمن هو أقل
من الخطيب ولكن مادامت ظروفه هكذا فسوف يسعى له في الحاقه
في هذا العمل « وأنت حيثما تكون لا تستطيع الا أن تكون في خدمة
قوميتك والنصح لها ومع ذلك راجع فكرك ، فالأمر جاءك الآن على
حين فجأة ، فاذا انشرح له صدرك بعد التروي والتدبير وصممت
على ماأنت تراه الآن فأخبرني وأنا أتم ذلك ان شاء الله » (١٢) .

وتم الأمر وجاءت الموافقة من قنصل الحديدية بتعيين محب الدين
الخطيب ترجمانا أول عنده . وتعين وقت السفر في نوفمبر ١٩٠٧
فرسم محب الدين خطته أن يقضى شهر أكتوبر في مصر الى جانب
شيخه وأبيه الروحي الشيخ طاهر الجزائري وصديقه محمد كرد علي
ثم ليكون - على حد قوله - على مقربة من مركز النهضة الأدبية

(١٢) المصدر السابق الاشارة اليه .

والعربية وليتصل - على قدر الامكان بأركانها وأعلامها ويسافر من مصر الى الحديدة فى أول نوفمبر .

ويروى محب الدين فى أوراقه المخطوطة انه قضى الأسابيع القليلة الباقية على سفره من دمشق الى القاهرة التى سيسافر منها الى الحديدة فى انهاض المركز العام لجمعية النهضة العربية . ولم اجد بين أوراق محب الدين الخطيب ما يوضح أن هذه الجمعية كان لها نشاط سياسى فهى من هذه الناحية لا تختلف عن الجمعيات العربية الأخرى التى تشكلت فى فترات سابقة على الزمن الذى أنشئت فيه جمعية النهضة العربية من حيث مدارسه آداب العرب وتاريخهم . ومن المعروف أن فكرة الجمعيات الأدبية فكرة حديثة بدأت فى احضان التبشير وبتشجيع منهم مثل جمعية الآداب والعلوم التى كان البستاني واليازجى من رواد انشائها حين تقدما باقتراح الى الارسالية الأمريكية لتأسيس جمعية علمية ونجحا فى سنة ١٨٤٢ فى حملها على تشكيل لجنة لتنفيذ الاقتراح . ثم كان ان برزت الى الوجود هذه الجمعية فى يناير سنة ١٨٤٧ وكان مقرها بيروت . ونتيجة للمناقسة بين الارساليات الأجنبية ظهرت جمعية الشرق أسسها اليسوعيون سنة ١٨٥٠ فلما حلت ظهرت بدعمها الجمعية العلمية السورية سنة ١٨٥٧ التى كان مقرها الرئيسى بيروت والتى لم يقتصر نشاطها على بلاد الشام فضمت بين أعضائها عددا من المصريين المقيمين فى دمشق وبعض الأدباء المقيمين فى الأستانة . واختلفت هذه الجمعية عن سابقتها بأنها ضمت مسلمين ومسيحيين عرب على السواء وكان لابراهيم اليازجى باع طويل حيث مضى يكمل رسالة أبيه فى بعث الأدب العربى والعناية بالتراث العربى .

لكن أهم ما امتازت به جمعية النهضة العربية التى أسسها الخطيب أنها ضمت الشباب العربى الذى نفر من التبشير ومدارسه وأراد أن يعمق جذور القومية العربية على أسس اسلامية ومن أجل هذا كان رائدهم الشيخ طاهر الجزائري . وكانت نصيحة محب الدين الخطيب لزملائه فى الجمعية عندما التقى بهم فى دمشق وحسبما يذكره فى أوراقه أن يستعينوا فى تعليم الشباب اللغة العربية

بأستاذة النويلاتى • وفى الدراسات التى نشرها الخطيب بعد ذلك فى مجلة الفتح عن هذا الشيخ ما يوضح أنه كان ينهج نهج الصلح الصالحين حين كان يرجع فى فهم الآيات الى أفضل كتب التفسير وأهداها كتفسير الطبرى والحافظ بن كثير وعندهما ممن يفسر القرآن انكريم بكلام لا ينطق عن الهوى واشتهر بالمواعظ والحكم التى نقلها عند تلاميذه واستفادوا منها فائدة كبرى ، زاهدا فى الدنيا بكل مباحها ، أعطى العلم كل ذرة فيه وتفرغ لفهمه والانتفاع به ونشره بلا شوائب على الناس (١٣) • وقد تأثر الخطيب بهذا الشيخ السلفى كثيرا فى فهمه وحياته •

ومضى يجتمع باخواته فى دمشق فى منزل عثمان مردم وأخيه الأصغر جميل مردم فى حى المارستان جنوبى سوق الحميدية ، وفى المنزل الآخر لآل مردم فى طريق الصالحية • ويذكر الخطيب أن الجلسات كانت تمتد بهم فى بعض الليالى فبييت فى أحد هذين المنزلين الى اليوم التالى • غادر الخطيب دمشق يوم الاربعاء ٢٦ أكتوبر ١٩٠٧ متجها الى بيروت وظل يذكر كيف أمضى آخر أيامه فى دمشق فى منزله فى حى القيمرية يعج بالمودعين من اخوانه وأصحابه فى مقدمتهم الدكتور عبد الرحمن شهيندر والأمير أحمد الشهابى ولطفى الحفار ورشيدى الحكيم وزكى الخطيب وصلاح القاسمى وسامى العظم وغيرهم •

وفى بيروت زار عضوى الجمعية عثمان مردم وجميل مردم •• كما اتاحت له زيارة الكلية الأمريكية حيث استمتع بقضاء وقت طيب فى مكتبة الكلية وجدد صلاته فى بيروت ببعض معارفه (١٤) •

وغادر محب الدين الخطيب بيروت الى مصر على ظهر احدى البواخر الفرنسية مساء الاثنين ٢١ أكتوبر ١٩٠٧ وهى باخرة من

(١٣) محمد بهجة البيطار بحث عن الشيخ أحمد النويلاتى - الفتح المجلد الرابع عشرة س ٥٧٦ه نقل عن أحمد السيد الكومى : آثار الخطيب الاسلامية •

(١٤) سيرة جيل - مخطوط •

بواخر شركة المساجرى ماريم كانت تتم رحلاتها بانتظام بين بورسعيد وبيروت وبوصوله بورسعيد ركب منها القطار الى القاهرة .

ولزيارة محب الدين للقاهرة أهمية خاصة فى مراحل حياته . ففيها كما يذكر سعد كل السعادة بلقائه بمحمد كرد على الذى أرسل شقيقه لانتظاره فى محطة سكة حديد القاهرة . ونزل ضيفا عليه فى منزل كان يسكنه فى أول شارع الشيخ ربحان . وما أن سمع الشيخ طاهر بقدومه حتى حضر إليه مرحبا مهنئا تلميذه بسلامة الوصول وذهب معه لزيارة رفيق العظم . والتقى أعضاء جمعية النهضة العربية الموجودون فى القاهرة مثلما كانوا يلتقون فى دمشق ودار الحديث عن جمعية النهضة وأهدافها وآمال محب الدين الخطيب فيها . وكان محمد كرد على قد نشر فى مجلة المقتطف سلسلة فصول بعنوان (عمران دمشق) فعرض محب الدين على كرد على أن يتولى جمعية النهضة بجمع هذه الفصول وطبعها فى كتاب مستقل .

ومن أهم ما حرص عليه الخطيب أثناء وجوده بالقاهرة قضاؤه وقتا كبيرا بدار الكتب المصرية للالمام بما تحتويه من كتب ومراجع وذلك فى الوقت الذى كان صديقه كرد على مشغولا بعمله فى جريدة المؤيد التى كان يصدرها الشيخ على يوسف . وكان يزور القاهرة فى وقت وجود الخطيب بها أحد كبار أعيان مسلمى روسيا اسمه اسماعيل بك عنبرنسكى . وقد جاء الى مصر للدعوة الى عقد مؤتمر اسلامى فيها لدراسة أحوال المسلمين عموما ومسلمى روسيا على وجه الخصوص وحضر هذا الرجل لزيارة رفيق العظم مستعينا به فى هذا المجال ويتعرف عليه الخطيب ويقص على اخوانه انه كان يهدف من وراء زيارته لدار الكتب أن يبحث بالدرجة الأولى على رسالة لابن المقفع كان قد سمع انها محفوظة مخطوطة فى هذه الدار وكان يتوقع أنه بعثوره عليها سوف يكون لها أثر كبير فى تاريخ نقل علم المنطق الى العربية . ولكنه ببحثه فى مقررات قسم الجامع فى هذه الدار لم يعثر لها على شيء . ونظم محمد كرد على دعوة لعدد من الشخصيات فى فندق الكونتنتال للاستماع الى محاضرة

يلقيها هذا الرجل الروسى بعنوان (داء المسلمين ودواؤهم) وعن أحوال مسلمى روسيا مستهدفا الدعوة الى عقد مؤتمر اسلامى لهذا الغرض . ويذكر الخطيب فى أوراقه أن الرجل ألقى المحاضرة باللغة التركية حيث كانت تتم ترجمتها فقرة فقرة وتضاف اليها تفاصيل واستطرادات فرعية وهو الأمر الذى أضعف من تأثيرها على السامعين وان كان الجميع ارتاحوا لما علموا ما عليه من مسلمى روسيا من النشاط الاقتصادى ويقول الخطيب فى مذكراته « عسى أن يكون المؤتمر الذى دعى اليه هذا الرجل أكثر اهتماما بموضوع داء المسلمين ودائهم ويكون الامام فيه بمستوى المسلمين الخلقى والفكرى هو الأساس الذى تقوم عليه النهضة الاقتصادية فتكون هى احدى نتائج تقدمه وارتقائه لأن الاقتصاد اذا لم يرق على أساس من الاخلاق والتربية الاجتماعية قد يكون مشوبا خيره بشسره بل قد يطغى » .

ويوضح الخطيب استياء رجال الحزب الوطنى فى مصر من ميل هذا الرجل الروسى الى التعاون مع الشيخ على يوسف صاحب المؤيد واختصاصه بالدعوة الى سماع خطبته وذلك لما كان بين رجال الحزب الوطنى فى مصر والشيخ على يوسف من عداوة وجفاء كما يذكر أنه حصلت مشادة فى منزل رفيق العظم حول اللجنة التى يراد تأليفها لعقد المؤتمر وهو الأمر الذى عرقل الدعوة اليه وتعرف هذا الرجل (اسماعيل عصبرنسكى) بالشيخ طاهر الجزائرى وهو امر كان يعلق عليه الرجل أهمية خاصة لمكانة الشيخ طاهر ودوره الكبير بين العلماء المسلمين فى ذلك الحين .

وانقضت الايام التى حددها محب الدين لاقامته فى القاهرة بسرعة الأمر الذى حال بين تمكنه من تلبية دعوة مصطفى صادق الرافعى الاديب المعروف للتعرف الى محب الدين .

ومن أهم ما قام به الخطيب فى القاهرة تعرفه الى الأعضاء المؤسسين لجمعية الشورى العثمانية . تعرف الخطيب الى رشيد رضا عن طريق زميل له فى جمعية النهضة العربية وهو رفيق العظم الذى شغل وظيفة أمين صندوق جمعية الشورى وحقق العظم

سكرتيرها (١٥) . ولم أجد ما يدل على أن محب الدين الخطيب كانت بينه وبين رشيد رضا صلة قبل مجيء الخطيب الى القاهرة . لكن الأمر الذى لا شك فيه أن الخطيب سمع الكثير عن رشيد رضا وعن جهاده فى مجال النهضة الاسلامية وأصبح رشيد ينادى الخطيب بعد ذلك بكلمة يا ولدى كما هو واضح فى الرسائل التى وجدتتها متبادلة بينهما خاصة فى فترة اعتقال الخطيب فى البصرة .

لم يكن لدى الشباب العربى فى هذه الفترة اتجاه الى تجميع النشاط فى جمعية واحدة رانما تعددت الجمعيات . وكان من المألوف أن يكون الواحد عضواً فى أكثر من جمعية وسيظل ذلك أحد سمات الحركة العربية سواء قبل اعلان المشروطية أو بعدها .

فرفيق العظم وحقى بن عمه أعضاء فى جمعية النهضة العربية وفى الوقت نفسه أعضاء مؤسسين فى جمعيتين الشورى العثمانية . وكذلك الحال بالنسبة لمحِب الدين الخطيب الذى كان الى جانب رئاسته لجمعية النهضة العربية مندوباً عن جمعية الشورى العثمانية فى اليمن أوكل اليه عند سفره كما يقول فى مذكراته تأسيس الفرع الرابع عشر لهذه الجمعية هناك .

جاء الخطيب الى القاهرة فعلم بتأسيس جمعية الشورى العثمانية والتي قال عنها رشيد رضا أنها قامت لأجل جمع كلمة العثمانيين على استبدال حكومة لشورى بحكومة المستبدين فعلمنا أن جمعية الاتحاد والترقى خاصة بالمسلمين وأن العثمانيين، مادموا متفرقين شيعاً ومنقطعين مللاً وأما فكلمتهم هى السفلى وكلمة الاستبداد هى العليا فتألفت الجمعية من المسلمين عربهم وتركهم والباينهم .

ويذكر الشيخ رشيد رضا فى مجلة المنار أنه ازاء اشتداد ظلم الدولة واستبداد السلطة المطلقة فيها من أول هذا القرن الهجرى نفر المتحدثون منها فى الدين واللغة والجنس نفوراً أشد من شعور

(١٥) رفيق العظم - آثاره بقلم رشيد رضا - المقدمة .

المتحدنين معها فى الدين فقط كالعرب والاكراة . فانبرى بعض اهل
الغيرة من الترك الى تأليف جمعية سرية تسعى فى تلافى الخطر الذى
يهدد دولتهم بإزالة الحكم المطلق الاستبدادى المدمر للهالك والمهلك
للأمم واعادة مجلس «المبعوثان» والعمل بالقانون الأساسى . ولكن
السلطان تتبع أعوانه اثر هذه الجمعية ففرق شملها قبل أن تبدأ بعمل
ما مظهرين فساد أخلاق بعض أعضائها الذين صساروا أعوانا
للاستبداد بما نالوا من الرواتب والرتب ما ذهب بثقة الناس حتى
من المصادقين عن سائرهم ، هذا وأن هذه الجمعية لما لم تكن مؤلفة
من جميع الشعوب العثمانية كانت جذيرة بالآ تدرا الخطر ولا تنال
الظفر .

ويذكر رشيد رضا أن كثيرا من عقلاء العثمانيين فكروا فى
وجوب السعى فى تأليف جمعية من الشعوب العثمانية كلها ومازال
هذا الفكر يتقلب فى الأطوار حتى تمخض قولك (جمعية الشورى
العثمانية) .

تأسست جمعية الشورى العثمانية حسب قول رشيد رضا من
أفراد من الترك والعرب والأرمن والكرد والغرض منها اتحاد الشعوب
العثمانية على اختلاف أجناسها ومللها فى السعى لجعل الحكومة
العثمانية حكومة شورى وعدل وهذه هى الطريقة المثلى لصيانة
الدولة من التمزيق بالاختلاف الذى هو ظهر الاستبداد والتفرق الذى
هو نصير الاستعباد وكان ممن اشترك فى تأليفها معنا رجال من
سائر الشعوب العثمانية الكبرى وفى مقدمتهم الترك والجرمكس
والأرمن ، وكان من أعضائها المؤسسين الضابط صائب بك الذى
كان حاجبا لصاحب الدولة أحمد مختار باشا الغازى ومندوبها
لجمعية الاتحاد والترقى بمصر . ثم ترك خدمة المندوب العثماني
السامى إيثارا للسياسة التى تغضب السلطان عليه ومنهم الدكتور
عبد الله جودت بك المشهور أحد مؤسسى جمعية الاتحاد والترقى أول
أمره وكان هو السكرتير التركى لها وكان الفقيه أمين صندوقها وابن
خاله حقى بك سكرتيرها العربى وكاتب هذه السطور ورئيس مجلس
ادارتها .

كان تأسيس هذه الجمعية موافقا لرأى صاحب الدولة أحمد مختار باشا الخايزى المندوب العثمانى السامى بمصر « فيقول رشيد رضا وأنا الذى استشرته فى ذلك طلبت منه أن يمنحها رعايته ويأذن لنجله محمود باشا بأن يكون الرئيس العام أو رئيس شرف لها فمدها بمساعدته فقال ، ان الإصلاح لا يأتى من الأعلى ومن رجال الدولة وإنما يأتى من وسط الأمة ومن الطبقات الدنيا فيها وأخبرنى أن السلطان علم بوجود الجمعية وهو يرسل البرقيات اليه تترى فى السؤال عنها وعن مؤسسيها ويسميتها جمعية أفسادية وأنه تجاهلها فى جوابه أولا ثم كتب اليه بأنه لا أفساد منها ثم لا ضرر منها فانها مؤلفة من بعض أهل العلم وأبناء الأسر الوجيعة المخلصة للدولة (١٦) »

صار لجمعية الشورى وقت وصول الخطيب الى القاهرة ثلاثة عشر فرعاً فى ولايات الدولة العثمانية وفى البلاد الأجنبية وكانت تطبع المنشورات باللغتين العربية والتركية ثم أصدرت فى فبراير ١٩٠٧ جريدة باسمها الشورى العثمانية فتولت الجمعية نشر ماتريده فيها واستغنت بذلك عن المنشورات . وكان رفيق العظم يحرر القسم العربى منها وابن عمه حتمى العظم يحرر القسم التركى الذى كان ترجمته يكتبه رفيق العظم أو رشيد رضا أو غيره من أعضائها فى القسم العربى . كما يذكر رشيد رضا ان هذه الصحيفة كانت تصدر بها بعض المقالات باللغة الفرنسية .

انضم محب الدين الخطيب الى عضوية جمعية الشورى العثمانية واحاطه رشيد رضا بمبادئها التى أعلنت على صفحات المنار والتى دعا العثمانيين الى المسارعة بدخول الجمعية أفواجا ولتعضيدها بأرائهم وأموالهم . وأعجب الخطيب بمبادئها وقال ان الدعوة الى الحكم النيابى ومبادئ الشورى والعمل للتخلص من الحكم الفردى كل ذلك مما نعتقد فيه الخير . فمبدأ الشورى هو مبدأ الديمقراطية بالمضمون الذى حدده الاسلام وقيل أن طبيعة الجمعية وتكوينها كجمعية عثمانية تضم العثمانيين من مسلمين وغير مسلمين

وتسعى لكي تقيم لها ذروعا في البلاد العثمانية وفي غيرها من البلاد التي يقيم فيها العثمانيون فهي جمعية غير طائفية وغير عنصرية وانها تؤمن باتباع الأساليب المشروعة في الوصول الى هدفها فهي لذلك جمعية علنية .

وكتب له رشيد رضا تفويضا أن يتخير لجمعية الشورى من العثمانيين الرجال الصالحين ذلك أن جمعية الشورى كانت تفتح عضويتها حسب قانونها أمام كل عثمانى عاقل محب لوطنه على أن يكون حميد السيرة واشترطت أن تحل الأرقام بدلا من الأسماء في تعريف الأعضاء ومخاطبتهم والكتابة اليهم .

غادر الخطيب القاهرة في ١٧ نوفمبر ١٩٠٧ متوجها الى السويس ومنها ركب البخر الى عدن ومنها استقل باخرة أخرى الى الحديدة . وهناك علم أن القنصل والقنصلية انتقلا الى جزيرة قمران في البحر الأحمر لأن بها المحجر الصحي وقد وصل اليها على نفس هذه الباخرة الهندية . وكان انتقال القنصلية الى هذه الجزيرة لتيسير مهمة مرور باخر المحجاج الهنود في ذلك الوقت . وأخبره القنصل أن الإقامة في هذه الجزيرة سوف تمتد طوال شهر ديسمبر وأياما من السنة الجديدة كذلك وكان هذا القنصل واسمه الدكتور .

ج. هـ. ريتشارد من مواليد الهند من أب انجليزي وأم أسبوية كان برتبة نائب قنصل لكنه يشغل هذه الوظيفة لأنه الانجليزي الوحيد في القنصلية يجيد العربية مثلما يجيد الانجليزية وارتاح اليه الخطيب ووثق القنصل به .

ويحتفظ الخطيب بالدفوف والمجلات التي كان محمد كرد علي يوافيه بها سواء التي كانت تصدر في مصر أو صحف المهاجرين السوريين في أمريكا أو الصحف السورية وفي جزيرة قمران تعرف برئيس كتاب المحجر طاهر بك رجب وكان من أبناء الحديدة ودار فيما بعد نائبا في مجلس البعثان عنها فادخله الخطيب عضوا في جمعيتي النهضة العربية والشورى العثمانية .

وعاد الخطيب الى الحديدة عندما عادت القنصلية اليها في

٧ يناير ١٩٠٨ حين انتهى موسم الحجر الصحي لحجاج الشرق
القائمين لآداء الفريضة . وأصبحت مهمته هناك هي الحضور الى
المحاكم عندما تكون فيها لأحد رعايا القنصلية قضية ليطمئن على
سير العدالة فيها وهو يجلس مع رجال المحكمة ولا رأى له فيما
يقولونه ويندولون فيه . كما نيطت به مهمة الكتابة باللغة العربية
من القنصلية الى الجهات الرسمية وفي ذلك تمكين له من متابعة
القضايا في مراحلها ورعاية القنصلية في الحديدة وسائر ولاية
اليمن الى آخر حدود عسير كما كانت هذه القنصلية البريطانية
ترعى شئون اليونانيين في اليمن لأن حكومة اليونان لم يكن لها قنصل
اليمن آنذاك .

وهناك في اليمن زاول الخطيب نشاطه في خدمة القضية
العربية . كان بالحديدة الفرقة الرابعة عشرة من الجيش العثماني
السابع ، وتلك كانت فرصة ذهبية أمامه لجذب اكبر عدد منهم الى
الانضمام الى جمعية النهضة العربية او جمعية الشورى العثمانية
يقول الخطيب : « تعرفت بطائفة من الموظفين والضباط والأترك
والعرب وبأعيان الحديدة الذين فيهم قابلية لمحبة التقدم والنهوض
والاصلاح ، فمن كان منهم عربيا نزاعا الى الخير صار عضوا في
جمعية النهضة العربية ومن كان من الضباط والموظفين ينزع الى
الحرية والاصلاح صار في جمعية الشورى العثمانية (١٧) » .

وهذا القول لمحب الدين الخطيب يؤكد أن دور جمعية النهضة
العربية لم يكن دورا سياسيا وانما كان دور التثقيف والتعليم
والنهوض بمستوى أبناء الأمة العربية ادبيا واجتماعيا وعلميا .
ففي مخطوط له كتبه من جزيرة قمران (اليمن) ليلة الجمعة
٦ ديسمبر ١٩٠٧ الى زملائه أعضاء جمعية النهضة العربية يلخص
الباحث ما يحسه الخطيب من حاجته الى نهضة لأمة العربية وبعث
لها .

يرى الخطيب ضرورة انشاء أمة جديدة فاضلة - تتطلب المنفعة

(١٧) سرية جيل - مخطوط .

المشتركة وتحب الدأب على العمل والاعتماد على النفس - ويرى أن الطريق الى ذلك المدارس والصحافة والطباعة والتمثيل والجمعيات والخطابة والشركات المادية ولا سبيل للارتقاء الا بهذه الأدوات .

ثم هو يدعو زملاءه الى الاجتماع والاتحاد لأن قوة الفرد ليست كقوة الجمع وأن من الاتحاد قوة أعظم من قوة الانفراد .

ثم يناقش في تقريره سوء أحوال المدارس في أمته وضعف العربية في « مدارسنا » تعلمون ماهي مدارسنا نحن ليس لذا مدارس، ان ما في بلادنا من هذه المعامل هي اما لخورى أو لشيخ أو لساكن أو لادارى وكلهم غيرنا لأنهم يأخذوننا الى غير الكعبة التي نحن ذاهبون اليها .

صحافتنا أه ماذا أقول عن صحافتنا ، انتم تعلمون صحافة سوريا وأقول لكم عن صحافة وادى النيل ان صورهما الأساسي (المنقعة الشخصية) وكفى لهذه الصفحات القليلة التي اكتبها كلمة كهذه في وصف صحافة مصر ، أحزاب متباينة ومشاغبات وليس في أعمدها مع ذلك ما يفيد قائدة تمسك بالأيدي .

وبكل أسف أنكر أنه ليس للمجلات في القطر المصري رواج .

ويتناول بعد ذلك محب الدين الخطيب الخدلة التي يجب على الجمعية أن تتبناها وهي مطالعة الكتب واللقاء الخطيب . ويدعوهم الى أن يفكر كل عضو في أن يفكر كثيرا ويكتب بذا . فاننا أجمعية النهضة العربية ويرسلونه له وسوف يقوم باستخراج قانون من ذلك كله يعرض على زملائه لتدرون فيه رأيكم دائما أحببت أن ترسل لي هذه الأوراق لأن عندي يكون كل شيء أسهل وأمن . ويخبر زملاءه انه أثناء وجوده في القاهرة بحث مع صلاح العظم حالة الطباعة والصحافة والعلم فيها وقدر أنه بعد ثلاث أعوام سنؤسس شركة مساهمة تبتدى برأس مال ثلاثة آلاف الى خمسة آلاف جنيه مصرى تكون مائة سهم ثمن كل سهم ثلاثون جنيها . ٠٠ لابتياح مطبعة من الطراز الأول مثل مطبعة الكويد واصطناع حروف مثل حروف مطبعة المعارف في القاهرة واسم المطبعة (مطبعة النهضة العربية) .

ثم هو يقترح على زملائه اصدار جريدة ينصف قطع الجرائد العربية نصفها على ورق بسيط كورق المؤيد والنصف الثاني على ورق جيد مثل ورق الهلال مثلا ويكون للمقالات والقصائد والأقوال والاخبار الخالدة . ويعرض على أعضاء الجمعية أن تكون هذه الجريدة يومية وسيكون اسمها النهضة العربية ونعدها أنا وجميع من يقدم القطر المصري من جمعيتنا والاحسن أن تصدر في القاهرة والجريدة سياسية مصورة .

والى جانب ذلك يخطط الخطيب لاصدار مجلة علمية اجتماعية على رأس كل شهر عربي يتولى تحريرها صلاح الدين القاسمي ويشاركة فيها النباون وخصوصا زكي الخطيب وتدعى (العلم والاجتماع) وتكون مصورة . والى جانب ذلك يرى اصدار مجلة ادبية تنشر في منتصف كل شهر عربي تكون في عشر ملازم يتولى تحريرها عارف الشهابي ويعينه عليها صلاح القاسمي ورشدي والباقون تدعى (الادبيات) وتكون مصورة .

ويعمضى الخطيب في مقترحاته الى ضرورة اصدار كتاب كل سنة يدعى تقويم النهضة السنوي يكون على مثال ما يصدر في البلاد الأوروبية وطبع روزنامة في كل عام يسمى تقويم النهضة اليومي ويكون متفقا على مثال تقويم المشرق الى جانب ذلك يرى ضرورة اصدار قاموس محصور يكون قسمين قسم لغوي وقسم للاعلام على غرار قاموس لاروسى وتأسيس مكتبة تسمى مكتبة النهضة العربية تباع فيها مطبوعات الجمعية وتأسيس غرف قراءة عمومية تكون فيها مكتبة مهمة وتوضع فيها أهم الجرائد والمجلات ، العربية والأجنبية (١٨) .

أما دور جمعية الشورى التي تألفت من أعضاء عرب وأتراك فكان دورا سياسيا دور التماس الاصلاح من الدولة العثمانية عن طريق اقناعها باتباع مبدأ الشورى والتخلي عن السياسة الاستبدادية التي كانت عليها أيام السلطان عبد الحميد .

(١٨) ارجع الى نص التقرير في ملاحق البحث ملحق رقم (١) .

فبالرجوع الى ماكتبه الخطيب فى نوفمبر ١٩٠٨ نجده يؤكد
انه وجميع من استعان بهم وتعاون معهم من رجالات العرب وشبابهم
لم يخطر على بالهم الانفصال عن الدولة العثمانية لان الاستقلال
عن الدولة وهى ضعيفة مريضة امر مكروه ولكن لعلمنا أن تمرن
الشعوب على أخلاق السيادة يحتاج الى وقت فكان من مصلحة
العرب فى الدولة العثمانية أن تعترف لهم الدولة بلفتهم فى الادارة
والتعليم فى البلاد التى يتكلم أهلها اللغة العربية وأن لا تبليغ بها
الحماقة الى حد أن يكون التعليم فى بلادهم بلغة أجنبية عنهم وإلى
حد أن تكون لغتهم محرما عليها أن تكون لغة الادارة والقضاء فى
صميم الوطن العربى . ومن العجيب أن تنكر الدولة العثمانية على
عرب الحجاز والعراق وسوريا ما اعترف به الانجليز اصبر والسودان
من حقها فى أن تكون لغتهما العربية لغة التعليم والتقاضى والتعامل
فى مرافق الخدمة ومصالحها الرسمية .

مضى الخطيب فى الحديدية يجذب ضباط الجيش والمتقنين الى
جمعية النهضة العربية التى يرأسها أو الى جمعية الشورى العثمانية
.. وعلم أن قائد مركز الحديدية هو البكباشى شوقى بك المؤيد من
أسرة العظم وأنه مشهور بالنزاهة والاستقامة والسيرة الممتازة
فانعقدت بينه وبين محب الدين صداقة وثيقة زادا وثوقا صداقته
السابقة لرفيق العظم وابن عمه حقى العظم وصداقته قبل ذلك لشبان
هذه الأسرة فى دمشق .

وكاشف الخطيب صديقه قائد مركز الحديدية بأمر جمعية
الشورى العثمانية وأنه مندوب من قبلها لتأسيس فرع لها فى اليمن
ولما اطلع قائد المركز (شوقى المؤيد) على قانونها وعلى جريدتها
التي تصدرها فى القاهرة بالتركية والعربية وعلم أن من أهم أركانها
رفيق وحقى من آل العظم طلب الانضمام اليها . وأرشد محب الدين
الى طائفة من الضباط الأحرار الذين جاءوا الى اليمن مبعوثين كنوع
من العقوبة لهم على نزوعهم الى الحرية وكراهيتهم للحكم الفردى
وميلهم الى الحياة النيابية . وهكذا استطاع الخطيب أن يؤسس فى
اليمن كما أراد وكما نيط به الفرع الرابع عشر لجمعية الشورى

العثمانية ٠ وصار كلما انتقل عمل ضابط منهم من الحديدة الى صنعاء أو غيرها من داخلية اليمن يدعو في منطقة عمله الجديد من يتوسم فيهم الخير من زملائه الضباط الى الانضمام الى جمعية الشورى ٠

والى جانب نجاح الخطيب في كسب عدد من الضباط العرب الى جمعية الشورى العثمانية استطاع أن يجذب الى هذه الجمعية عدد من كبار موظفي اليمن ذلك أنه باتصال عمله بالمحاكم انعقدت الصلة بينه وبين أحمد فؤاد بك مصطفى زاده رئيس محكمة التجارة وصارا زميلين يكاد أن لا يفترقان وكذلك بينه وبين القاضى الشرعى ٠٠ وكانت المحكمة الشرعية هناك تنظر بالإضافة الى القضايا الشرعية القضايا المدنية كلها ٠ والمعروف أن الزيدية في اليمن كان الخلاف شديدا بينها وبين العثمانيين السنين وعجزت الدولة العثمانية عن تشديد قبضتها عن اليمن وبالتالي عن تطبيق التنظيمات العثمانية بينها التي كانت تهدف الى انشاء محاكم مدنية تختص بالقضايا المدنية وأن يترك للمحاكم الشرعية القضايا الشرعية وحدها (١٩) ٠

وكانت مكانة القاضى الشرعى في اليمن في الوقت الذي عمل فيه الخطيب فيها مكانة كبيرة خصوصا وأنه كان ينظر القضايا المدنية والشرعية على حد سواء ٠٠ وتمكن محب الدين من استمالته اليه وحجب اليه الخطيب كتب ابن تيمية وأرسل الى مصر يطلب اليه كتب الشيخ محمد عبده ٠ والى جانب استمالة الخطيب لرئيس المحكمة الشرعية نجح في استمالة صالح بك قتلان وكان دمشق الأصل ويشغل وظيفة مدير عام لجميع مرافق البريد والتلغراف في منطقة الحديدة وما يتبعها ، ويحسن لغات كثيرة شرقية وغربية وكان لعلاقته الوثيقة بمحب الدين أهمية كبيرة في حياة محب الدين الخطيب بعد ذلك ٠

كذلك تعرف الخطيب بكثير من تجار الحديدة الممتازين وأعيانها وفي مقدمتهم الشيخ صالح شانلى والشيخ صالح رجب وشقيقه

(١٩) مخطوط بقلم الجيل الذى عاصر بعث العروبة ٠

طاهر رجب الذى سبقت لمحـب الخطيب التعرف به فى جزيرة قمران واختار الخطيب مقهى كبير فى الخلاء بعيدا عن مباني الصـديـنة ومديره هـندى بارع كثير الأعوان فكان محـب الدين كلـما وجد مقسعا من الوقت فيلتقى بأصدقائه فى هذا المقهى أو فى منازلهم خصوصا صالح شاذلى ومن يلـوذ به .

ومضت الأشهر الأولى من ١٩٠٨ على هذه الوتيرة يسمى الخطيب الى كسب أعضاء جدد لجمعية النهضة العربية أو جمعية الشورى العثمانية ويكتب أخوانه فى دمشق واستنبول والقاهرة متعهدا جمعية النهضة العربية على وجه الخصوص ولاسيما مركزها الجديد فى دمشق مع مكاتبة جمعية الشورى العثمانية بواسطة رفيق العظم وابن عمه حقي .

ولانزال فى أوراق الخطيب الكثير من هذه الرسائل الخاصة بجمعية الشورى وجهاد أعضائها للتخلص من الحكم الفردى والحصول على الحياة النيابية .

ويرى القارئ فى ملحق هذا البحث صورا للمراسلات التى دارت بينه وبين رفيق العظم ومن هذه الرسائل يخرج الباحث بعرض رفيق على السرية فى هذه المراسلات لأن جمعيته جمعية تعمل فى المحيط السياسى فهو يقول للخطيب فى رسالة منه فى ١٨ مايو ١٩٠٨ لكن انقيض صدرى من أنكم لم تخبرونى عن وصول آخر كتاب أرسلته اليكم بالعنوان الثانى الذى كتبتموه لنا وهو عنوان الدكتور الذى فى عدن مع أنى أرسلته من مدة شهر أو يزيد وفيه مالا يجوز اطلاع أحد غيركم عليه فالرجا أن تسألوا ذلك الدكتور عن الكتاب فقد كدرنى جدا أنكم لم تخبرونى بوصوله . وانى أتمس منكم تأليف فرع للجمعية عنكم يرتبط بنا رأسا وفيه كلام طويل يسيوئنى أن يراه غيركم مع أنى لم أكتف بكتابة العنوان لوحده بل أضفت ومنه الى محـب الدين .

يكثر رفيق العظم فى رسائله من الرموز للأشخاص بحروف مثل قوله للأخ ع بك ولكل أنصار الحق ..

وفى رسالة بتاريخ ١٧ يونيو ١٩٠٨ « سرنى أن وقع اختياركم على الأَخ الفاضل الدكتور (ح) ويوضح له قيمة الاشتراك وهو يشير على الخطيب أن جعل قيمة الاشتراك ريال مجيدى أمر كثير وليس على الداخل أن يدفع الا ثلاثة قروش ٠٠ وينبهه الى مسألة الكتمان ٠ أما كيفية الدخول فهي كما ذكرتموها الآن الداخل لا ينبغي له معرفة أحد من الجمعية الا من فوقه أو من تحته أى الذى أدخله والذى دخل بواسطته ثم أن لكل من يؤسس شعبة أن يكون رئيسها الا اذا تنازل عنها لغيرها ولذا فانتهم الآن ١٤/١ فشعبتكم هي الشعبة ١٤ وكل داخل توضع نمرته الخصوصية من فوق ونمرة شعبته من تحت ٠

وامعانا فى السرية ينبه رفيق العظم زميله الخطيب أن عقاب من يخون الجمعية الموت والشعبة هي التى تكلف باجراء العقاب على من يخون أما بالاقتراع أو بانشاء فرع لكل شعبة من الفدائيين (الانارشتست) تكلف بامثال هذه الاعمال ٠

ويشير العظم على رفيقه أن يكثر من ادخال الفدائيين فى جمعياته ويرى أن هؤلاء عادة يكونون من الطبقة النازلة (يقصد الطبقة الدنيا) وأكثرهم على ما اعتقد يعتادون الصدق فهم أهل للثقة أكثر من الطبقة العالية ٠٠

وحين يسأله الخطيب أن يبيح له بأسماء مؤسسى جمعية الشورى يقول له « سألتمنى عن بعض أسماء المؤسسين وإذا كنا جميعا تحت سماء الحرية فلا أضرب به عليكم وهو الداعى (رفيق العظم) وابن عمى حقى بك والسيد رشيد رضا والسيد عبد الحميد الزهراوى وأحمد بك صائب صاحب جريدة (سنجق) والدكتور عبد الله بك جودت صاحب مجلة (اجتهاد) والدكتور شبلى شميل الفيلسوف المشهور وصحافى رومى وشخصان أرمنيان ٠ لكن اشغال الجمعية وأسرارها وجريدتها وكل ما يتعلق بها قائم فى الحقيقة على كاهلى وتاهل حقى بك فانا أحرر القسم العربى من الجريدة وهو يحرر القسم التركى والمكاتبات العربية على ويعود العظم الى تنبيهه الى السرية ، أحب أن أوصيكم بالاحتياط الشديد وأن لها ايدى

الإشراق من زبانية الحكومة فصل الى شيء من آثار الجمعية عند أحد مفكم لأن الحكومة فى غاية التيقظ خصوصا بجمعية الشورى العثمانية التى تحقق عندها أن ليس فيها من تبتاع ضميره فقط وقد طاربت القائمين بأعمال الجمعية فى الاستانة حتى ألجأت شخصين منهم الى الفرار بأنفسهما منذ ١٥ يوم الى مرسيليا وأحدهما الذى كان يكاتب الجريدة من الاستانة فخرت الجمعية بفراره ركننا كبيرا لذا نرجوكم الاحتياط الشديد اذ يهمننا جدا سلامة أفراد الجمعية وبقائهم فى تركيا ومتى خرج أحدهم منها عدته البلاد ولا تستفيد منه الجمعية فى الخارج .

وتقوم ثورة الاتحاد والترقى ويبادر رفيق العظم بالكتابة الى صديقه محب الدين فى ١٧ يوليو ١٩٠٨ ويرى الباحث من رسائله فى هذه الفترة مدى فرحه وما يأمله من خير . أكتب اليك ونار الثورة تشتعل فى مقدونيا والفيلق الأول والثانى فى عصيان . وشمس باشا وغيره من اشياح الاستبداد قتل تناجى ارواحهم خازن الجحيم تحت اديم الأرض فى الرومللى والاستانة ويلدوها فى اضطراب . والرديف فى أزمير يجمع لأجل مقاتلة اخوان الجنود فى مقدونيا والمنشورات تطبع الآن لتلصق بعد ستة أيام على الجدران فى أزمير لتنبه الرديف وضباطه الى اليه يساتون . . ويقول له الهمة الهمة وفى ملحق الرسالة يقول له الثورة عسكرية محض فى الدرجة الثانية الأهالى والمؤمرين والضباط أعلنوا مطالبهم كلها وهى شىء واحد (مجلس المبعوثان) (٢٠) .

(٢٠) ارجع الى ملاحق البحث .

الفصل الثالث

دوره في الجمعيات العربية ١٩٠٨ - ١٩١٤

لم أجد بين أوراق محب الدين الخطيب ما يثبت أنه كان عضواً في جمعية الاتحاد والترقي قبل إعلان المشروطية . فمن المعروف أن هذه الجمعية ضمت عدداً من العرب السياسيين والعسكريين الذين لعبوا دوراً هاماً فيها في مقاومة السلطان عبد الحميد وفي العمل على إجباره على إعلان الدستور ، من هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر خليل غانم الذي كان عضواً عن بيروت في مجلس المبعوثان الأول (١٨٧٦) .

ثم هناك من العسكريين العرب الذين كان لهم دورهم البارز في جماعة الاتحاد والترقي عزيز المصري وسليم الجزائري . لكنني وجدت في مذكراته التي خطها ابتهاجه بإعلان الدستور . وكان الخطيب في ذلك شأنه شأن كل الشباب العربي الذي سعد بإعلان المشروطية الثانية (١٩٠٨) فقد قوبل إعلان الدستور بابتهاج بالغ

فى مختلف اتحاد الدولة العثمانية ففى طرابلس (الشام) اشترك الأتراك والعرب فى اقامة صلاة للشكر لله على اعلان هذا الدستور . وفى مدينة الاسكندرية ألقى الخطب الحماسية فى احتفالات كبرى لهذه المناسبة وجاء اليوم الذى التأم فيه شعب الأمة العثمانية وتألفت أعضاؤها وتأخت أجزاءها وفى مذكرات له مخطوطة عن هذه الأحداث (يوليو ١٩٠٨) يصف كيف اندلعت فى جبال رسة من ولاية مناستير ثورة أنور ونيازى الضابطين فى الجيش العثمانى مع بقية ضباط وقوات فرقته يطالبون السلطان عبد الحميد بالحكم النيابى وعلان الدستور الذى كان قد ألغاه فى بداية حكمه وصارت وكالات الأنباء - روتر وهافاس وغيرهما تذيع عن ذلك فى أطراف الأرض ويمنع نشرها فى البلاد العثمانية . ولما كان المدير العام للبريد والبرق فى الحديدة صديقا له وعضوا فى جمعية الشورى العثمانية فإنه كان يرسل له أخبار الثورة التى تتناقلها أسلاك البرق ومنه تنتقل الى قائد مركز الحديدة البكباشى شوقى بك المؤيد رئيس الفرع الرابع عشر للجمعية (الشورى العثمانية) والى المعنازين من ضباط الفرقة الرابعة عشرة من الفيلق السابع الداخلية فى الجمعية والمتلهفين على قايم الحكم النيابى فى الدولة العثمانية . ولم يكتف المدير العام للبريد والبرق بهذه المعاونة بل صار يبيع استعمالها تحت سلطته من أسلاك البرق فى المخابرة مع أعضاء جمعية الشورى العثمانية بطريقة سرية خاصة بلا أجر وتسمع عندهم سر منسى أى مكالمات إدارية للخدمة الرسمية .

ويوضح الخطيب أن ولاية اليمن وكان على رأسها المشير أحمد فيضى باشا الذى كان قائد الفيلق السابع وفى الوقت نفسه الحاكم الإدارى فى اليمن كله - فكانت تتجاهل كل ماوقع فى الدولة وكأنه لم يكن . فأوعز الخطيب فى جمعية الشورى العثمانية الى بعض الأهالى بأن يرسلوا برقيات الشكوى من تصرف المشير فيضى باشا وأعوانه لأنهم من أنصار الحكم السابق ، فلم يكن لذلك أى تأثير فى المراجع العليا . وحينئذ زار محب الدين شوقى بك المؤيد قائد المركز ورئيس الجمعية وقال له : يخيلى أن رجال الحكم الجديد يريدون أن يحرموا اليمن - وربما غيرها أيضا من البلاد العربية كالحجاز

من الحكم النبأى لىكون للدولة فى عهدهم مستعمرات كما للدول الأوربية مستعمرات(١) .

واتفق معه على أن يضع المسئولين أمام الأمر الواقع فيعلنون قيام الثورة فى احتفال كبير وجمع محب الدين الخطيب أخوانه الضباط واتفق معهم على أن تطلق فى ساعة العصر من مركز الاستحكام مدافع كمدافع العيد حتى يسمعها عارف حكمت باشسا وغيره بلا سابق علم منهم وأن يحضر صواريخ ومشاعل الزينة باكمل وأبهى مايعمل منها فى احتفالات السرور والانهاج وأن تعلن عطلة مصالح الحكومة فى اليوم التالى . ويجتمع الناس فى ساحة واسعة تلقى فيها الخطب بالتركية والعربية عن اعلان الحكم النبأى وعودة الحكم بالدستور والاستعداد لانتخاب من ينوب عن الأمة فى مجلس المبعوثان (النواب) فى استنبول وأن تبلغ ذلك كله على لسان البرق سرا الى ضباط صنعاء وسائر البلاد الأخرى من أمهات مدن اليمن .

ولما انتشرت فى صنعاء تفاصيل ماجرى فى الحديدة نظم أعضاء جمعية الشورى هناك صفوفهم وفعلوا هناك مثل الذى تم فى الحديدة .

وكانت مفاجأة لمحب الدين نفسه أن وصلت اليه بعد اسبوعين جريدة عربية كان يصدرها فى استنبول ابراهيم سليم النجار وفيها نص الخطبة التى القاها محب الدين فى الحفل المشمار اليه فى

(١) فى مخطوط للخطيب بعنوان الجيل الذى عاصر بعث العروبة يقول ثم علمنا سرا أن الامتانة اقتنعت بفكرة عدم اشراك اليمن والحجاز فى الحياة النيابية والانتخابات لمجلس المبعوثان وانهم يريدون أن يتخلوا من البلاد العربية الثانية مستعمرات يكون نظام الحكم فيها غير نظام الحكم فى الولايات المتحضرة .

وحينئذ رأيت نفسى أمام واجب جديد فاندفعت فيه . وذلك انى اتفقت مع أعضاء الفرع الرابع عشر لجمعية الشورى العثمانية على أن نقبله الى جمعية الاتحاد والترقى وأن نقيم لهذه الجمعية ناديا لائقا .

الحديدة ٠ وتوالت رسائل جمعية الشورى العثمانية في القاهرة الى محب الدين في تمجيد ما وفقه الله اليه في هذه المنطقة ومما ذكر في هذه الرسائل ان المراسلة دائرة بين جمعية الشورى العثمانية بمصر وجمعية الاتحاد والترقي في استنبول للاحاق الاولى بالثانية فتكون فروع جمعية انشورى العثمانية كلها فروعاً لجمعية الاتحاد والترقي التي صار بيدها زمام الامر في السلطنة العثمانية ٠

أرسل له رفيق العظم في ٥ أغسطس ١٩٠٨ (٢) يقول له ان رسالته (محب الخطيب) وصلته يوم ٢٤ الماضي (يوليو) وهو اليوم الذى عيد به العثمانيون في انحاء تركيا عيد الدستور الذى صدر في ذلك اليوم اعلانه من قبل السلطان ويقول له أن عزت باشا مر وقد ألح الأحرار بانزله من الباخرة الانكليزية مارية فلم يفلحوا أما بقية الجواسيس والحاشية فلم ينج منهم سوى سليم ملحمة وأما الباقون فيباقون وسيحاكمون ٠٠ وأخبره رفيق العظم في نفس الرسالة أنه مترجى الى الشام بغرض يتعلق بأمورنا وأمر الانتخابات ٠٠ ويختم رسالته بقوله فلتحيى الحرية والمساواة وليحيى الجيش ٠

ومن دراسة رسائل رفيق العظم في هذه الفترة توضح كيف استقبل العرب العهد الجديد بكل التفاؤل والدعوة الى تكالف القلوب بين أبناء الأمة العثمانية ، فهو يكتب الى محب الدين في ٩ سبتمبر ١٩٠٨ يقول : وكنت عرفتكم عن عزمى على السفر الى سورية بأخر كتاب أرسلته اليكم لأنى رأيت السفر ضروريا لأخبار انهاء الى فسافرت طائفا في بيروت ودمشق وبعليك وحمص وحماه وحيثما حللت كنت ألقى الخطباء في وجوب التكالف بين القلوب وتفسير معنى الحرية وجوب المحافظة على الدستور بالنفس والمال ٠٠ وأنى لا أصف لكم مقدار شكرى وسرورى لما بذلتموه والاخوان الكرام من الهمة في ازهاق باطل المستبدين والمجاهرة بالحق في وقت كانت اليمن محتاجة الى من يصعد بالحق فجزاكم الله خير الجزاء ٠

(٢) انظر ملاحق البحث ٠

ويطلب منه رفيق العمل على التخلص من الموظفين والحكام
الفاستدين الذين كانوا عون الحكومة السابقة وفي مقدمتهم فيضى
باشا الذى كان الخطيب قد اسر الى زميله بسوء سيرته وفي رسالة
رفيق العظم هذه يخبره انه كتب الى جمعية الاتحاد والترقى فى
الاستانة بهذا الخصوص (عزل فيضى باشا من قيادة الجيش فى
اليمن) ولابد من نتيجة حسنة ان شاء الله ثم تعضى الرسالة فيقول
له رفيق :

جمعية الاتحاد والترقى قديمة كما تعلمون وأنا عضو قديم منذ
تأسست أى من ١٣ سنة ولما رأينا العمل الآن قد تم على يدها وأنها
أخذت تبث مبادئها فى الولايات بانتظام جمعنا للكلمة على كفاية
مستقبل الدستور نراى لنا أن نضم جمعيتنا الى جمعيتها كما انضم
البرنس صباح الدين اليها بجمعيتها . الا أنه بنغت أنها لم تقبل أفرادا
من جمعيتها أو أفراد جمعيتها لأسباب لم تزل مجبولة عندنا . ومع
هذا فقد رأى حتى بك بسفره الى الاستانة هذه المرة ميلا من الجمعية
الى ضم جمعيتنا اليهم خوفا من الانشقاق . لذا فقد كتبنا لهم لهذا
الخصوص . وقد رأينا أن نستأذن الشعب التابعة لجمعيتنا فكتبنا
اليكم منتظرين سرعة الجواب . وربما ترسل جمعية الاتحاد والترقى
دعاة الى اليمن كما أرسلت الى بقية الولايات فأفهموا الأعضاء
بالجمعية انه لا يجوز دخول شخص منهم فى جمعية الاتحاد والترقى
أبدا ما لم يكن فرعا فيها قديما بنفسه ومركزه مصر . ومتى تم الاتفاق
بيننا وبين الجمعية المركزية بالاستانة يخبركم عن ذلك وعن كيفية
الدخول وصيغة اليمين والا فلانزال جمعية قائمة بنفسها .

وما ان علم الخطيب بأن جمعية الشورى العثمانية تفكر فى أن
تكون فروعها فروعاً لجمعية الاتحاد والترقى حتى رأى أن يكون
فرع الجمعية فى اليمن هو البادى بذلك . وعمل بمبدأ تعجيل الأمر
الواقع أعان الفرع الرابع عشر لجمعية الشورى العثمانية فى
الحديدة أنه أصبح فرعا لجمعية الاتحاد والترقى واتخذ له ناديا فى
أعلى كازينو البلدية القائم على مرفأ الحديدة .

ومن المعروف أن جمعية الشورى العثمانية رفضت قبل إعلان الدستور أن تدمج في جمعية الاتحاد والترقى فيذكر رشيد رضا أنه جاءه مندوب عن الاتحاد والترقى وقابله مبلغا إياه رغبة جمعية الاتحاد والترقى دمج جمعية الشورى معها فأبى رشيد رضا هذا الطلب وقال لمندوب الاتحاد والترقى : أن تعدد الجمعيات مع وحدة الغاية والمقصد لا يعد تفرقا ولا يحدث ضعفا . وإننا نرى أنه لا نجاح للعثمانيين إلا باتفاق عناصرهم على المطالبة بالدستور .

لكن نجاح حركة الاتحاد والترقى في إجبار السلطان عبد الحميد على العمل بالدستور أثار عواطف العرب وجعل جمعية الشورى العثمانية تسعى إلى أن تكون فروعا فروعاً للاتحاد والترقى ولعل هذا أيضا من باب التقرب من السلطة الجديدة التي آمل الجميع فيها الخير بعد عهد الاستبداد الحميدى .

أعلن الخطيب في الحديدة أن فرع جمعية الشورى العثمانية بها أصبح فرعا لجمعية الاتحاد والترقى التي آمل العرب من وراء توليها السلطة الخير الكثير . وانتعشت آمال الخطيب كثيرا فأتجه يعمل ما وسعه العمل . لاحظ أن في بعض غرف أعلى الكازينو الذي اتخذته ناديا لجمعية الشورى التي أصبحت فرعا لجمعية الاتحاد والترقى - مدرسة أميرية على حد قوله ابتدائية لكنها أقل من كتاب في مواد دراستها وعدد تلاميذها أقل من ثلاثين^(٣) ناظرها شبه عامي تخرج من مدرسة العشائر في استنبول « فجمعت أخواني المتعلمين من موظفين وضباط واتفقت معهم على أن نستولى المدرسة ونضع لها منهاجاً أرقى وأن تتولى التعليم فيها مجاناً » .

ثم زار محب الدين الخطيب أخوانه من التجار وطلب منهم أن يتعاونوا على التبرع - بأقمشة خفيفة من نوع معين تصلح لمثل الحديدة في زمن الصيف فتفصل منها بدلات لكل تلميذ وأن يتبرع لهم بالملابس المختلفة والأحذية . ثم عمل لهم محب الدين أناشيد

(٣) مخطوط محب الخطيب : الجبل الذي عاصر بعث العروبة .

تناسب الحياة الجديدة • « وعملنا أناشيد في الحرية والحياة الدستورية صار ينشدها الطلبة في خروجهم من المدرسة الى الرياضة البدنية وفي عودتهم وهم بالملابس الجديدة التي اشتريناها لهم •• وفي شهر واحد صار عدد التلاميذ أكثر من ثلثمائة » •

ويذكر الخطيب أن الدروس في هذه المدرسة كانت تلقى بمناهج أرقى مما كانوا يتلقونها من قبل بحسب درجة قابلية التلاميذ واستعدادهم • وفي أوراق محب الدين رسائل من أعيان القوم ومن كبار الضباط يرجون قبول أبنائهم في سلك هذا التعليم الجديد •

ومضت الآمال تداعب محب الدين الخطيب في أن يبذل من الجهد ماوسعه في الاسهام في نهضة هذا الاقليم الذي يعمل فيه • فأحس بحاجته الى مطبعة وصحافة تنهض بالمستوى الفكري والثقافي •• ففاوض اخوانه من العسكريين والمدنيين والأعيان والتجار في أن تؤسس شركة لذلك باسهم قيمة السهم الواحد جنيه استرليني فوافقوا على ذلك وعلى أن يكون اسم المطبعة (مطبعة جزيرة العرب وعلى أن يصدر منها صحيفة باسم (جزيرة العرب) أيضا وكتبت قائمة أولى باسماء الراغبين في الاكتتاب • وبلغت الحمية ببعضهم أن اكتتبوا بمقادير من الأسهم تبرعا لا بقصد الاستفادة من عائد • وكتبت رسائل الى بعض سفارات وقنصليات الدولة العثمانية في البلاد الأوروبية التي عرفت بصناعة آلات الطباعة مثل فيينا وبرلين وليبزج وأشباهاها لتطلب من مصانع الطباعة فيها ارسال كتالوجاتها الى الحديدية لانتقاء ما يوافق الحال فيها من ذلك • وبالفعل وصلت الكتالوجات •

ومن بين أوراق محب الدين الخطيب وجدت رسالة ارسلها من الحديدية الى فرع القسطنطينية لجمعية النهضة العربية بتاريخ الجمعية ١٧ رجب ١٣٢٦ يبدى قلقه لعدم وصول رسائل اليه عن أخبار جمعية النهضة العربية ، « التي أسسناها في دمشق والقسطنطينية ومجلات أخرى منذ سنتين • تلك الجمعية التي انخفض صوتها قليلا قبل أشهر » •

ويذكر أنه عزم على انشاء جريدة أسبوعية في الحديدة وجلب مطبعة لها وإذا توقفت لذلك اسمى الجريدة والمطبعة والمكتبة التي يباع فيها الكتب باسم (جزيرة العرب) ..

ويذكر الخطيب عى نفس الرسالة أنه ينتظر (هدوء المسائل في القسطنطينية) لأخذ امتياز لاصدار - جريدة تتناول أحوال الجزيرة عتبا والحجاز وحضرموت ومسقط ونجد والعراق وغير ذلك . ويطلب موافاته بإرسال القانون الذى نظم جمعية النهضة العربية ..

لكن شيئا من ذلك لم يتحقق ذلك أن الخطيب تلقى من دمشق رسائل تلح عليه بضرورة العودة الى هناك لاصدار صحيفة باسم النهضة العربية ولم يكن هناك من يستطيع أن يمشى بمشروع المطبعة في الحديدة فتوقفت الفكرة ..

وجاءته رسالة من رفيق العظم في ٢٩ أكتوبر ١٩٠٨ يلح فيها الباحث بدء احساس العرب بالآلم من تصرف الاتحاديين .

فيقول له رفيق العظم « فالجماعة (جماعة الاتحاد والترقى) لا يهيمها الا المركز الرئيسى فى مناستر وتهمل بقية المراكز وهو أمر باعث على تحرك حزب الاستبداد فى الولايات الأخرى ... أخبار الدولة تسوء كل محب لها ومع ذلك فرجاؤنا جميعا أن لا تكون حرب بينها وبين الأعداء لأن انكثرا واقعة وقوف السد فى وجه أوروبا وهى منة لها لا ينساها العثمانيون قط بقطع النظر عما تخدم به مصلحتها فى المحافظة على كيان الدولة » .

ويعتبر عليه رفيق تعجله فى تأليف شعبة الاتحاد والترقى « ولكن تعجلتم ولعله الخير أن شاء الله (٤) » .

ويبدو أن الخطيب كان قد أشار على رفيق العظم بترك عمله والاشتغال بالصحافة فيشير عليه العظم بأنه اذا أصر على هذا الرأي

(٤) أنظر ملاحق البحث .

أن تكون خدمة الخطيب قاسرة على اليمن فقط « لأنها في حاجة شديدة الى ذلك والى مثلكم » .

ويتبع رفيق العظم ذلك برسالة أخرى يبلغه أنه كتب الى سلاطيك تقريراً مطولاً عن أحوال شعب اليمن وعن حادثة دمشق التي حدثت في آخر رمضان ويشير وفيق بذلك الى حادثة الاعتداء على رشيد رضا أثناء زيارته لها والمعروفة بفتنة رمضان حيث اعتدى عليه في المسجد الأموي . وقد أفاض الشيخ رشيد رضا في وصف هذه الحادثة في مجلة المنار وعللها بأنها كانت مدبرة من الاتحاديين لأسباب تتعلق بانتخابات المبعوثين وأن الحكومة بدأت تتدخل في حرية الانتخابات لذا امتعض وجهاء البلدة من جمعية الاتحاد والترقي وأنصارها (٥) .

وفي نفس رسالة رفيق العظم الى الخطيب كتب له حقي العظم في طرفها يرجوه أن تكون مراسلاته بعد ذلك باللغة 'التركية' لارسالها كما هو الى الجمعية في سلاطيك لأنه ربما لا يوجد من يعرف اللغة العربية وتحول مشغوليات الجمعية في القاهرة عن أعمال الترجمة .

وقبل أن يغادر الخطيب اليمن كان له دوره في وقت الحرب الدائرة بين الامام يحيى والدولة العثمانية .

مع اعلان المشروطية كان الامام يحيى في حالة حرب مع الدولة (٦) . فرأت جمعية الشورى العثمانية التي تحول فرعها في الحديدة الى فرع لجمعية الاتحاد والترقي أن تقوم بعمل وصفه الخطيب بأنه عمل عظيم لليمن والدولة العثمانية معا . فكتبت الى الامام يحيى كتاباً بخط محب الدين وانشأته تعرض عليه اقتراحاً بأن تتولى الجمعية الكتابة الى استنبول والمراجع العليا بأن الامام يحيى لم يكن يحارب الدولة دائماً بل كان يحارب الظلم الذي حاربتة

(٥) رشيد رضا : المنار م ١١ ٢٢ يناير ١٩٠٦ وما بعدها .

(٦) محمد انيس : الدولة العثمانية والشرق العربي ص ٢١٧ . وكذلك

أمين الريحاني : ملوك العرب ج ١ ص ١٤٥ نقلاً عن حراز الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب ص ٨٨ .

جمعية الاتحاد والترقى وثارت من أجل ازالته . وكتب الخطيب للامام يحيى أن تتولى جمعية الشورى العثمانية الكتابة للمراجع العليا أن الامام مستعد للتفاهم مع الدولة على الصلح والتعاون بشرط أن يعترف له في اليمن بمثل المركز الذي لشريف مكة في الحجاز ، وأن يكون الامام هو المرجع في اليمن في الشؤون الدينية كتعيين أئمة المساجد وخطبائها والقضاة الشرعيين وشؤون الأوقاف، وللدولة سائر الشؤون السياسية والإدارية والعسكرية والمالية ويقول للامام في هذا الكتاب : أن عندك ثلاثمائة أسير من جيش الدولة لا يكلفونك شيئاً ولو أوزمهم وهم عبء عليك فلو وافقت على تسليمهم لفرقة الحديد فأنها ترسل إلى الحدود قوة بموسيقاها تتسلمهم من رجالك باحتفال رسمي وتعيدهم إلى ثكنات الجيش في الحديد ويكون ذلك عربونا لنجاح هذه الفكرة . فتكتب الجمعية (جمعية الشورى التي حملت اسم فرع جمعية الاتحاد والترقى باليمن) والفرقة العسكرية إلى استنبول بأن الامام أطلق سراح الأسرى الذين عنده وأنه غير محارب للدولة . ولكنه كان يحارب الظلم ، وهو مستعد للتفاهم على طريقة صالحة لحكم اليمن . فكان ذلك وسيلة ناجحة لازالة جميع الاختلافات السابقة . ووافق الامام على الاقتراح ، وتم تسليم الثلاثمائة من الأسرى لفرقة الحديد ، وبقي الامام في مكانه انتظارا لما تعمله المراجع العثمانية العليا لتحقيق بقاء الخطة وذهبت المكاتبات من الحديد - ومثلها من ممثلى الجمعية فى صنعاء - إلى المراجع العليا بذلك ، وكان هذا هو السبب الأول - على حد قول الخطيب - الذى جعل الدولة العثمانية ترسل الفريق أحمد عزت باشا إلى اليمن ومعه عزيز المصرى حيث وقع الصلح بين الدولة العثمانية والامام يحيى وهو الاتفاق الذى عرف باتفاق دعان نسبة إلى القرية الصغيرة التى تحمل هذا الاسم فوق قمة جبل شمال غرب مدينة عمران . وقد تضمن هذا الاتفاق أن ينتخب الامام (يحيى) لمذهب الزيدية وتبلغ ولاية صنعاء بذلك وهذه تخير الأستانة لتصدق على ذلك ويخلى الامام سبيل ما عنده من رهائن من أهالى صنعاء وما جاورها وحراز وعمران(٧) .

(٧) حراز : الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب ص ٨٨ .

ولما أزمع محب الدين الخطيب قطع علاقته بالحديدة للعودة الى دمشق كتب الى الامام يحيى كتابا يودعه به وذكر له شيئا من أعمال جمعية النهضة العربية والشورى العثمانية التي حولت عنوانها الى الاتحاد والترقى .

يقول الخطيب « وبعد بضعة أشهر من اعلان الدستور ألح على اخواني في دمشق بضرورة عودتي اليهم وقالوا ان الاتحاد والترقى تضغط عليهم في ان جمعيتهم (جمعية النهضة العربية) في دمشق انشقوا على تسميتها (جمعية النهضة السورية) وبسبب ذلك فارقت اليمن وعدت الى دمشق وقبل سفرى من الحديدة كتبت الى الامام يحيى كتابا أودعه فيه - وكان هو يعلم من رجال سريين ان كل هذه المساعي صادرة عني وان اخواني الذين معى يوافقوننى عليها لنفقتهم بى ولأننى لا أعمل الا ما فيه الخير . فكتب الامام جوابا على رسالتى برسالة بليغة عظيمة ما أظن انه كتب مثلها الى انسان آخر طول حياته وهى عندى بأصلها الى الآن وتاريخها شهر ذى القعدة سنة ١٣٣٦ هـ .

وقد اثنى الامام يحيى فى رسالته الى الخطيب عليه ثناء كثيرا ونمنى له التوفيق فيما عزم عليه من السفر الى سوريا لاصدار جريدة النهضة العربية .

وهكذا قرر محب الدين الخطيب مغادرة اليمن وبين أوراقه صورة لشهادة أعطاهم له قنصل انجلترا فى الحديدة . وكتب محب الدين ان الشهادة الاصلية ضاعت منه عند اعتقاله فى البصرة بعد ان أخذها القنصل الانجليزى هناك (كوكس) ولم يردها له . وفى هذه الشهادة اعتراف من القنصل بأمانة الخطيب والثقة فيه وفى اجادته لعمله ترجمانا فى القنصلية وأنه اضطر الى ترك عمله بسبب انحراف فى صحته .

وفى ١١ نوفمبر ١٩٠٨ ترك محب الدين مياه الحديدة متوجها الى الاسكندرية ومنها الى دمشق . وكانت النية - حسبما يقول فى أوراقه - أن يعمل على تجديد نشاط جمعية النهضة العربية وأن

يصدر في دمشق أما باسم الجمعية أو باسمه الخاص - صحيفة باسم (النهضة العربية) وهو الاسم الذي أحبه الخطيب وعاش يحلم أن يتحقق . وكان يأمل أن يكون ذلك في داخل نطاق الدستور العثماني وقوانينه على أساس أن يتمتع العرب بالنظام الدستوري . وفي الوقت نفسه يتعرفون الى عربيتهم ويحبون مآثرها ويتخلقون بأخلاق السيادة والحكم في ظل الرابطة العثمانية متبعين سنن سلفهم الأول ، وعاملين بأنظمة التي توصل البشر الى حسناتها في العصور الأخيرة .

. عاد الخطيب الى سوريا فرأى أن بعض السوريين الأحرار الذين كانوا يقيمون في مصر فرارا من السلطان عبد الحميد قد عادوا الى بلادهم استبشارا بأن ينعموا في ظل الحكم الجديد بما حرموا منه في عهد هذا السلطان . عاد محمد كرد على الى دمشق ليصدر صحيفة المقتبس اليومية وكان يصدرها من قبل في القاهرة أثناء إقامته بها .

وبالرجوع الى أعداد المقتبس التي أخذت تصدر في دمشق بعد اعلان الدستور وعودة كرد على اليها يجد الباحث فيها روح التفاؤل الكبيرة التي غمرت الشباب العربي باعلان المشروطية وبدء عهد جديد . ورددت الصحيفة الفضل الكبير للقاهرة في استضافتها السوريين الذين هجروا وطنهم فرارا مما كان يعانيه (٨) .

وصل محب الدين الى الشام فرأى أن الدولة تأبى أن تعترف بعنوان جمعية النهضة العربية لأن كلمة العربية غير مرغوب فيها من رجال الاتحاد والترقي الذين ال اليهم امر السلطة . وفي أوراق الخطيب رسالة من صلاح الدين القاسمي اليه يقول له ان الحكومة المحلية في هذه المنطقة قاومت الجمعية مرارا وأنها ما قتلت تناهضها فكانت تحاول ألا تجيز قانونها والجمعية ما برحت تعمل إلحكمة

(٨) أرجع الى أعداد المقتبس ١١ يوليو ١٩٠٦ وصلاح الدين القاسمي :

على إجازته ليكون لها حق البقاء والعمل حتى وفقت الى ذلك فى يوم نعهه مبدأ حياتها • وقد أجزى القانون وطبع ونحن نقدم اليكم نسخة منه فى البريد رجاء أن يكون للجمعية منكم خير مؤازر ونصير ..

فقد تمت موافقة حكومة الاتحاد والترقى على قانون الجمعية بعد مراحل مختلفة • ففى أول الأمر وعقب وصول الخطيب الى دمشق اجتمع مع زملائه واختاروا هيئة إدارية برئاسته لجمعيتهم التى أسموها جمعية النهضة العربية وعهد الى رضا مردم أن يكون نائباً للرئيس ورشدى الحكيم محاسباً • وأخيراً جمال الحفار أميناً للصندوق وزكى الخطيب كاتباً وأعد المجتمعون مشروع قانون لها لتقديمه الى الحكومة لإجازته • وواضح أن المشروع الذى اقترحوه لجمعيتهم شبيه بمشروع جمعية الاخاء العربى العثمانى التى افتتحت رسمياً فى اليوم الثانى من سبتمبر ١٩٠٨ • فقد كان هدف مؤسسى جمعية الاخاء ومن الاسم الذى جعلوه لجمعيتهم هو العمل على تحقيق التعاون بين العرب والآخى بين العنصر العربى والعثمانى • وأعلنت جمعية الاخاء العربى العثمانى فى افتتاحها الرسمى عن تأييدها لخطة جمعية الاتحاد والترقى وأنها ستعاونها فى سبيل المحافظة على أحكام القانون الأساسى وجمع كلمة الملل فى الدولة العثمانية دون تفريق فى الجنس والمذهب (١) •

كذلك وضع الخطيب مع زملائه مشروعاً لجمعيتهم تضمن أن تسمى الجمعية أولاً الى ما يؤول الى ترقية العثمانيين عموماً والعرب خصوصاً • ثانياً تكون الرابطة العثمانية بين الشعوب المختلفة التى تتألف منها هذه الأمة • ثالثاً التعاون بين أعضاء الجمعية ومناصرة بعضهم بعضاً فى المصالح الأدبية والمادية • رابعاً بذل الجهد المستطاع والوسائل المشروعة فى سبيل تأييد الشورى فى الدولة العثمانية والمحافظة على مبدأ المشروعية بأكمله درجاته وأعدلها • خامساً : مقاومة كل سعى أو حركة تقضى الى التفريق بين عناصر

(١) محمد برج : دراسة فى التاريخ العربى الحديث والمعاصر ص ١١٧ •

العثمانيين أو الى ايها الرابطة العثمانية • سادسا : اجراء الوسائط
الممكنة لنشر العلم بين العرب وجمع كلمتهم تحت الراية العثمانية •

لكن الحكومة العثمانية لم توافق على مشروع القانون الذي
اقترحه اعضاء جمعية النهضة العربية فقد بدأت النعرة التورانية
تسودها وتطورت الأمور في ظل حكم الاتحاد والترقي تطورا سيئا
لا في البلاد العربية فحسب بل في البلاد التركية أيضا وفي استنبول
ذاتها • وصار تعصب الاتحاد والترقي للتركية وللنعرة التورانية
مثارا لرد الفعل وانتعاش الرجعية في استنبول والولايات التركية ،
فضلا عن البلاد العربية • ويصف الخطيب هذه الفترة في أوراقه
فيقول : « طمع عبد الحميد أن يعيد سلطة الحكم الفردي ومبادئ
الاستبداد كما كانت وأكثر مما كانت ورفع الحملة وعلماء السوء
رؤوسهم في دمشق وسوريا وفسدت القلوب ، فيما بين الحكام
والحكوميين ، فتغيرت الصورة التي في ذهني للوطن وأساليب
النهوض ووقفت أسير الحال أتقرب ما يصير اليه الموقف » •

ولم يكن هذا احساس الخطيب وحده فبالرجوع الى مذكرات
رشيد رضا يجد الباحث انه قد صار لديه نفس الاحساس والخوف
من اندفاع جماعة الاتحاد والترقي في الطريق الذي سار فيه
المستبدون من رجال السلطان عبد الحميد (١٠) •

كانت الصورة التي تكونت لدى رشيد رضا هي نفس الصورة
التي تجمعت لدى صديقه محب الدين الخطيب عند عودته الى دمشق
وما رآه من فوضى ويصف الخطيب ذلك في مذكراته فيقول : كانت
الصحافة في تلك الأشهر - عقب اعلان الدستور - فوضى ، والرأي
العام في بلبلة واضطراب يسبب تعسف سياسة الاتحاد والترقي ،
وعدم الاستقرار في ادارات الحكومة • ويقول الخطيب كان كل من
شاء يصدر جريدة كما يشاء فالصحافة في ذلك الوقت لا رابط لها
لأنه لم يصدر بعد قانون ينظمها •

وبينما كان الخطيب في زيارة لدار جريدة المقتبس اليومية التي

كان يصدرها في دمشق صديقه محمد كرد علي ، طلب منه صديقه بسبب قاميته للذهاب الى ارض زراعية أن يشرف على مواد الجريدة التي أعدت وأن يكمل اعداد ما نقص من موادها لتطبع في مساء اليوم ويصدر العدد ويوزع في صباح الغد وبذلك يتمكن كرد علي من التوجه الى القرية مطمئنا ولما انتهى الخطيب من ذلك وقف وهو في ادارة الجريدة على أختيار كثيرة مثيرة منها هجوم الدروز على الغاية والمقصد لا يعد تفرقا ولا يحدث ضعفا . واننا نرى أنه لانجاح جيرانهم من أهل حوران في بصرى وسفك الدماء بين الجانبين ، فاتجه الخطيب الى اصدار جريدة تنقد الأوضاع الحاضرة في سوريا بأسلوب فكاهي . فقد جاء من قصص على الخطيب أن الوالي ناظم باشا لبي دعوة أحد الأعيان الى ليلة ممتعة يقضيها في قرية لصاحب الدعوة ، ثم حضر الى ادارة الجريدة أحد الأمراء الشهابيين من أصدقاء محب التقدم وهو موظف في ادارة المعارف ونقل له أخبارا تستحق النقد عن مدير المعارف حسين عوني بك الذي كان له يد في اضطهاد الخطيب عندما كان طالبا في مدرسة دمشق الثانوية وكان بسبب ذلك أن انتقل الخطيب الى مدرسة بيروت . وقف الخطيب على هذه المساوئ وعلى غيرها مما كان شائعا ومما كان مخفيا عن أذان الناس فلبى دعوة عمال جريدة المقتبس وكتب لهم عددا فكاهيا انتقاديا واختار اسما له هو (طار الخرج) كان الخطيب يكتب مواد العدد والعمال يعملون في همة لاصدار جريدتهم وما أن نزلت الى السوق حتى بيعت كل أعدادها .

تنبته السلطات الحكومية لأمر هذه الصحفية التي تنقد الأوضاع في سوريا وأخذت في البحث عن كاتبها وطابعها ، وحضر الى منزل الخطيب ابن عم له من المشايخ ولم يكن من عادته أن يزوره فحاول أن يعرف منه من هو كاتب تلك الجريدة . فأدركت أن الشبهة متجهة اليه وأن ناظم باشا هو الذي أرسل ابن عمه ليعرف مبلغ علاقته بهذا الأمر ثم حضر الى منزله صلاح الدين القاسمي ويعدّه جميل مردم واخرون من أعضاء جمعية النهضة العربية (أو النهضة السورية) وطلبوا منه أن يسافر حالا من دمشق . فذهب الى بيروت وفي بيروت لاحقه الطلب بالكتابة الى حكومتها من حكومة دمشق .

فأرسلت الجمعية من دمشق الى أحد أعضائها وهو أحمد أياسى من كبار تجار بيروت برقية بتوقيع جميل مردم - لأنه أصغر الأعضاء سنا - والقانون يخفف مؤاخذته لصغره - بأن يسافر محب الدين حالا الى الحديدة أو استنبول . ولم يكن من الميسور السفر الى الحديدة بعد الاستقالة من العمل فيها وقطع كل علاقه بها . لذلك سافر محب الدين فى احدى البواخر الى الأستانة .

وفى الأستانة استأنف حضور الدروس فى الحقوق التى قيد اسمه فيها مرة ثانية فى الصف الثالث .

ولعل من أهم مايفيد الباحث من أوراق الخطيب فى هذه الفترة مشاهدته للحركة المضادة أو الحركة الرجعية التى شهدتها الأستانة سنة ١٩٠٩ ، حين استفحل أمر الفتنة الرجعية التى كان يديرها السلطان (عبد الحميد) وأعوانه فى استنبول وصار لها أنصار أقوياء فى الجيش وفى الشعب ولأسيما بين طلاب العلم الدينى . . وتحت ضغط جماعة الاتحاد والترقى طرد عزت باشا وكان من أكبر المقربين للسلطان ثم اتهمت هذه الجماعة سعيد باشا المعروف بسعيد كوجوك بأنه انتهك الدستور بإصراره أن يحتفظ السلطان بتعيين وزيرى البحرية والبحرية فاستقال سعيد وجاء كامل باشا المعروف بميوله التحريرية . . وإذا كانت قد بدأت حركة تطهير فى الادارة لكافة العناصر التى عرفت بولائها للسلطان عبد الحميد فان الاتحاديين قد سيطروا على الانتخابات ضمنا لفوز مرشحيهم . . فمن المعروف أنه عقب اعلان المشروطية فى العاشر من يوليو ١٩٠٨ صدر قرارا فى نفس الشهر (٢٤ يوليو) يدعو الى انتخابات مجلس « المبعوثان » . حرص الاتحاديون خلال هذه الانتخابات على فرض مرشحيهم على كثير من الولايات العربية بالرغم من أن القانون الاساسى العثمانى الذى صدر سنة ١٨٧٦ قد تضمن فى مادته الثانية والسبعين انه من الواجب على المنتخبين أن ينتخبوا المبعوثين من أهالى دائرة الولاية التى هم منها الا أن الاتحاديين أهملوا هذه المادة ولم يتقيدوا بها ، وفرضوا مرشحين أتراكا من غير أهالى الولايات على عدد من البلاد العربية . وقصة الضجة الكبيرة التى حدثت بين

الغرب فى حوران والكرك بسبب مجيء مرشحين اترك اليهما معروفة
 • • وشهد مجلس «المبعوثان» صراعاً بين الاتحاديين يحاولون زعزعة
 مركز كامل باشا وبين النواب المعارضين لهم يؤيدونه ويتبادلون
 الاتهامات معهم • واتهمهم كامل باشا بمحاولة خلع السلطان واتهموه
 بمحاولة انقلاب لا دستورى حينما أراد ابعاد بعض وحدات الجيش
 الموالية لهذه الجماعة عن استنبول فرفض رئيس أركان الجيش طلبه
 • • عندئذ قال كامل باشا وزير الحربية لأنه شايع الاتحاديين ووضع
 الجنرال ناظم باشا مكانه فاحتج الاتحاديون عليه بشدة وانهاالت
 عليه برقيات الاحتجاج من وحدات الجيش المؤيدة للاتحاديين وتعرض
 لحملة صحفية عنيفة حتى اسقطوه (١١) •

سقط كامل باشا فى ١٣ فبراير ١٩٠٩ وتولى حسين حلمى
 باشا مكانه فاشتد خطر أعوان السلطان وكان معظمهم من رجال
 الفرقة الأولى المربطة فى الأستانة • واحتل فريق من الجنود بقيادة
 أحد الألبانيين البرلمان وقتل ضابطان من أعضاء جمعية الاتحاد
 والترقى فاضطر حلمى باشا الى الاستقالة وخلفه توفيق باشا • •
 كما قتل وزير العمل وجرح وزير الحربية وأصدر عبد الحميد فرمانا
 بالاعفو عن هؤلاء الجنود •

يقول الخطيب فى وصفه لهذه الحركة : ولما وصلت الى
 الأستانة كانت ثورة ٣١ مارت بالتقويم الشرقى المعمول به يومئذ فى
 الدولة العثمانية (١٣ ابريل ١٩٠٩) ضد الاتحاد والترقى • كانت
 الاتحاد والترقى ساقط على الأستانة من أدنة وولايات روم ايلي
 جيشاً سموه جيش الحركة بقيادة شوكت باشا البغدادي ، وكان
 على رأس أول كتيبة فيه عزيز على المصرى • وتبادل جيش الحركة
 رمى القنابل بينه وبين الجيش المنتمى للسلطان عبد الحميد والمحاصر
 فى ثكنة السليمة وغيرها • وكان معى فى الأستانة عارف الشهابى
 وصلاح الدين العظم وعبد الكريم الخليل وابن عمى سيف الدين • •
 وكنت ساكناً فى ضاحية بيقرز على البسفور أنا وابن عمى سيف

(١١) برو : العرب والترک فى العهد الدستورى العثمانى ص ١٢٠ دار

الهنا للطباعة سنة ١٩٦٠ •

الدين والدكتوراً حمد قسرى وعونى عبد الهادى وجلال النجارى أحد الذين شنعهم جمال باشا فيما بعد . فكان صلاح الدين العظم يقول لى ان التاريخ يمثل فى الساحات التى تطلق فيها المدافع فكيف يكون التاريخ ماثلاً أمامنا ونحن نتوارى عنه ومازالت قوة جيش الحركة تطلق قذائف مدافعها على ثكنة سلمية ومن فيها من الحميديين حتى هدمتها على رؤوسهم كنت أذهب مع صلاح الدين العظم نتفرج على هذا المشهد وعلى هذه المناق التى تنطلق فيها المدافع وأزيز الرصاص(١٢) .

وفى مقال للخطيب موقع عليه بأول حروفه (م) عن الوفد السورى الذى جاء يهتئ السلطان محمد رشاد يقول : هذا الوفد حاول السلطان عبد الحميد والمتشائمون من الحياة النيابية أن يتخلصوا من النظام الدستورى . انشبوا الفتنة على الدستور يوم ٢٢ ربيع الأول ١٣٢٧ (١٣ ابريل ١٩٠٩) زحف جيش الثورة من الولايات العثمانية فى أوروبا الى العاصمة بقيادة محمود شوكت باشا . كان كاتب هذه السطور فى القسطنطينية وشاهد هذه الأحداث . سقط عبد الحميد واعتقل فى قصر الاتينى فى سلانيك ، وبويع أخوه السلطان محمد رشاد وندبت سوريا وفدا من علمائها وأعيانها لتهنئة السلطان الجديد بالحكم الدستورى(١٣) .

ومن أهم ما حققه الخطيب أثناء وجوده فى الاسقانة انه اقنع زملاءه بضرورة وجود ناد للشباب العربى يجمعهم ويلتقون فيه فبرزت فكرة النادى العربى . .

سافر الخطيب الى القاهرة وكذلك لم يذكر اسمه ضمن مؤسسى النادى بينما كان هو أحد المتحمسين للفكرة التى دفعت بالنادى الى حيز الوجود فيما بعد .

-
- (١٢) الجبل الذى عاصر بعث العروبة مخطوط لمحّب الدين الخطيب .
(١٣) صلاح الدين القاسمى : آثاره مقدمة لمحّب الدين الخطيب .

وفي شهر سبتمبر ١٩٠٩ أبحر من الأستانة الى الاسكندرية ومنها الى القاهرة . وفي اسبوع وصوله الى القاهرة تكلم الشيخ طاهر الجزائري مع أحمد باشا تيمور (نكان لايزال أحمد بك تيمور) في ان يلتحق بقلم تحرير المؤيد .

وفي فترة قصيرة من عمله بالمزيد أصبح موضع ثقة الشيخ على يوسف . يذكر الخطيب انه في الوقت الذي التحق فيه بالمؤيد كانت حالة الشيخ على يوسف المالية مرتبكة فكان يصعب عليه دفع الرواتب فكان الخطيب يطبع في مطبعة المؤيد بعض الكتب ليفحص اجرها من راتبه .

وفي سنة ١٩١١ اشترك مع رشيد رضا في فتح مكتبة فتحاما باسم مكتبة المنار لأصحابها رضا وخطيب وقتلان (١٤) .

وشهدت سنة ١٩١١ الهجوم الايطالي على طرابلس الغرب فرأى الخطيب ان اخلاصه لعمله الصحفي أمر يقضيه ويعمل به عليه الواجب القومي في خدمة بلاده وامته العربية . استأجر مسكنا له قريبا لدار المؤيد في شارع محمد على وصارت اذا جاءت برقيات مهمة عن أخبار الحرب في طرابلس يوصى من عمال الصحيفة من يحملها له على وجه السرعة وينظم منها الخبر الذي سرعان ما تجمع حروفه ويسلم الى المطبعة لتصدر به ملاحق لصحيفة المؤيد .

ويذكر الخطيب ان ذلك كان يتم والشيخ على يوسف في داره فيسمع نداء الباعة على ملحق المؤيد فيرسل من يشتري له نسخة منه ويطلع عليها كأي قارئ .

وكثيرا ما كان الشيخ على يوسف في اليوم التالي لظهور الملحق ينادي محب الدين ويثنى على جهوده واخلاصه لعمله . ثم ازدادت الثقة في محب الدين الخطيب فصار هو الذي يتخير المواد

(١٤) مخطوط للخطيب بعنوان : الجيل الذي دمر بم العروبة .

للنشر وإذا لم يوجد شيء يصلح ليكون افتتاحية العدد يتأخر في سار المؤيد بعد المواعيد المقررة ويترجم مقالا تناسب الحال من الصحف التركية كجريدة اقدام لاحمد جوت بك وغيرها ويصدر بها عدد المؤيد .

والدارس لصحيفة المؤيد في الفترة التي عمل فيها الخطيب يجد ان الذسجيع الكبير الذي أعطته المؤيد للحركة العربية مرجعه الجهد الكبير الذي بذله الخطيب في هذا المجال في الوقت الذي ازداد غلو الاتحاد والترقي في الدعوة الى الجامعة التورانية والى العصبة التركية .

لقد رجعت الى أعداد المؤيد في الفترة التي عمل الخطيب فيها محجرا فيه (١٥) . فهو يكتب مطالبا بمقاطعة الايطاليين والبضائع الايطالية ويفسح صفحات المؤيد لصديقه وزميله رشيد رضا الذي كتب منذ الرابع من أكتوبر ١٩١١ (١١ شوال ١٣٢٩) مقالته بعنوان : المسألة الشرقية واعداء ايطاليا على طرابلس الغرب) التي خصص لها الصفحات الاولى للصحيفة (١٦) .

ومضى الخطيب يصدر ملاحق لصحيفة المؤيد ينشر أخبار الحرب بين الدولة العثمانية وايطاليا ويضمها الى أعداد الصحيفة في اليوم التالي . ينقل عن وكالات الأنباء الأخبار التي تقول يستنتج من جملة تقارير متناقضة استنتاجا كبيرا ان الطليان لم ينزلوا عساكرهم في طرابلس وأنه لم يحصل من الحرب سوى أن ثلاث أو أربع غواصات أسرت أو عطلت على شواطئ بحر الادرياتيك .

كما ينقل عن تلك الوكالات وعن الصحف الأجنبية مثل الطان وغيرها أخبار تلك الحرب والتي كان القارئ العربي مهتفا لمعرفة آخر تطوراتها ويفند الأكاذيب التي كانت ترددها بعض هذه الوكالات .

(١٥) أعداد المؤيد من سنة ١٩٠٩ الى سنة ١٩١٤ .

(١٦) العدد المشار اليه الصفحة الاولى ورقمه ٦٤٨٢ .

ويمضى الخطيب ينبه العرب الى خطورة ما يحاك ضد بلادهم
فيكتب تحت عنوان الحملة المدبرة على طرابلس الغرب .

« ظهر باجلى بيان نص التلغرافات الواردة بتاريخ ٢ الجارى
(٢ أكتوبر) أن الدول رفضت التدخل فى الحرب التى أعلنها
الايطاليون على الدولة العلية بسبب ما انتحلته من أعذار بين
ظاهرها على شىء من العطف نحو الدولة ويشير باطنها الى أن تلك
الحرب انما دبرت بمعرفتهم ولم تعلن بما امتازت به من المفاجأة الا
بموافقة وتصديق عليها منهم .

« فان اجماعهم على عدم اقتدأخل مخالفهم سالحين ازاء
الدولة العلية وازاء ايطاليا لم يكن الأمر الذى يحصل عفواً ومن غير
اتفاق سابق وانما هو نتيجة علمهم بعزم الايطاليين من قبل على
احتلال طرابلس وموافقتهم اياها عليه تنفيذاً لمبدأ (تبادل المنفعة)
الذى وضعته لتقسيم تراث الهلال وادخاله فى حوزة الصليب حتى
لا تكون (امة اسلامية حائزة على استقلالها او متحضرة لناظرتهن
فى عزة الجانب والحضارة) (١٧) .

ويترجم الخطيب المقالات التى تصدرها الصحف التركية
لينشرها فى صحيفته المؤيد فهو يترجم عن جريدة اقدام ما تنشره من
اخبار خاص بمطامع ايطاليا فى الاستيلاء على ما أخذته النمسا
منها ثم ما حرك فيها المطامع اثر (اهداء مؤتمر برلين للدولة
النمساوية اليوسنة والهرسك وفتح لها باب التوسع فى الشرق وكان
ينبغى للنمسا فى حساب الايطاليين أن تنسحب من ترابهم مادامت
مصممة على التقدم الى الشرق) وبعد أن خرجت ايطاليا يدها
فارغة من تونس عقدت رجاءها على طرابلس الغرب . . . على
أن نصرا عظيما بعناية الله وعزيمة العثمانيين فى الاحتفاظ باستقلالهم
سوف يتحقق (١٨) .

(١٧) العدد المشار اليه ص ٣ .

(١٨) عدد ١٠ أكتوبر ١٣٢٩ .

ودعا الخطيب في صيحة المؤيد الى الاكتتاب ونشر قائمة
المكتتبين والاشادة بالأمير عمر طوسون الذي قاد حملة التبرع لنصرة
الاخوة الطرابلسيين في جهادهم ولم يتوان الخطيب عن اصدار
الملاحق لصحيفة المؤيد يوافي قراءه بأخبار هذه الحرب فقد كان
أحيانا يعد ملحقين في اليوم الواحد يصدرهما معدا اياهما بنفسه .

واصبحت المؤيد خلال هذه الفترة تشيد بجهاد الطرابلسيين
ضد الغزو الايطالى ويهاجم لطفى السيد على صفحات جريدته حين
دعا لطفى السيد الى سياسة المنازع لا سياسة العواطف وكان من
شأن هذا ان قررت الدولة العثمانية السماح للمؤيد بدخول ولايات
الدولة وينشر الخطيب ذلك فى ملحق عاجل (قرر مجلس الوكلاء
رفع المنع عن المؤيد وان يبلغ ذلك لكل الولاء . ويقول ان الأخبار
القادمة من الاستانة تشير بان الراى العام فيها يعتبر المؤيد قوة كبرى
من قوى العالم الاسلامى يجب الاستفادة منها على الدوام (١٩) .

وأثر ضياع طرابلس الغرب والموقف المخزى الذى وقفته الدولة
العثمانية تجاه هذا الاقليم مما أدى الى استيلاء الايطاليين عليه ،
راى العرب العثمانيون من أبناء سوريا أن مطلب اللامركزية هو
الاساس، الذى ينبغي أن يركز عليه العرب . فالعرب كانوا أكثر
عناصر الدولة الذين عانوا من تمسك الاتحاديين بمركزية الحكم .
كان الخلاف قد نشب بينهم وبين النواب العرب فى مجلس «المبعوثان»
حين قدم نواب طرابلس الى المجلس تقريراً مفصلاً ذكروا فيه براهين
عديدة على تهاون الحكومة فى اعداد وسائل الدفاع عن تلك الولاية
الثانية . واستاء العرب مما قامت به الحكومات التركية من سحب
لبعض قواتها من طرابلس الغرب لتحارب بها فى اليمن مما ترك هذا
الاقليم بدون دفاع جدى أمام الغزو الايطالى وساء العرب كذلك انه
لو أخذ الاتحاديون بأسلوب اللامركزية فى حكم الولايات وتركوا
لأهل البلاد القيام بما يصلح شئونهم لما وقعت هذه الكارثة .

(١٩) المؤيد ١٦ أكتوبر ١٩١١ .

Corresp. d'Orient 1/2/1913.

وتبع الحرب الطرابلسية نشوب الحرب البلقانية واذعان الدولة العثمانية لطلب الصلح بعد الهزيمة التي حاقت بها ونصيحة الدول العظمى (إنجلترا ، فرنسا ، روسيا ، ألمانيا ، إيطاليا ، النمسا) الى الدولة العثمانية التنازل عن مدينة أدرنة للدول البلقانية وأن تكل الى الدول العظمى أمر البت في مصير جزر بحر ايجه (٢٠) .

في هذه الظروف رأت فرنسا أن تعيد على مسامح الدولة العثمانية قصة نفوذها في سوريا وما تدعيه من حقوق تاريخية وحماتها لبعض العناصر المسيحية وسارع رئيس وزراء فرنسا وزير خارجيتها بوانكارية الى ارسال المدرعة (جول فيري) الى سرقا جونية في لبنان .

وخلب في مجلس الشيوخ الفرنسي قائلا : لا أرى لزوما لان أنكر مجلس الشيوخ أن لنا في لبنان وسوريا حقوقا تاريخية تقليدية (٢١) .

عندئذ يادر السوريون في سوريا الى انشاء حزب اللامركزية .

يقول رشيد رضا « ان حزب اللامركزية كان يراد به خدمة الدولة والبلاد العربية معا وكان سبب تأسيسه ٠٠ هو ما أذرت به الحرب البلقانية العثمانية من توقع زوال الدولة . وقد كنا نعتقد ان الدولة لا يمكن أن تعيش طويلا اذا أصبحت على شكل حكومتها المركزية وتحكيم الترك في جميع شعوب الدولة (٢٢) .

يعتبر ايلي خدوري حزب اللامركزية أهم الأحزاب المدنية التي ألفها في القاهرة المهاجرون السوريون وكان - كما يقول خدوري - له اتصالات وأعضاء في سوريا (٢٣) .

(٢٠) نقلا عن برو : العرب والترك ص ٤٢٤ .

(٢١) المرجع السابق ص ٤٢٤ .

(٢٢) رفيق العظم : ٢ تارده المقدمة ص ١٠ بقلم رشيد رضا .

(٢٣) Among the civilian parties the most important was the Decentralization party.

Elie Kedourie : England and the Middle East P. 62.

بدأ التفكير في انشاء الحزب في أواخر سنة ١٩١٢ ثم عقدت جلسة بتاريخ ١٢ يناير ١٩١٣ لاختيار مجلس ادارته ، فيبين أوراق الخطيب دعوة موجهة اليه من رفيق العظم بهذا التاريخ لاختيار أعضاء مجلس ادارة الحزب .

وقد تم في هذا الاجتماع اختيار عمون بك نائباً للرئيس وحقي العظم سكرتيراً ومحب الدين الخطيب مساعداً للسكرتير . اما أعضاؤه التنفيذيون فهم السيد رشيد رضا وسليم بك عز الدين ونعمان بك أبو شعر واختير للجنة المالية من الأعضاء خليل أبو أيوب، وعزت بك الجندى وداود أبو بركات رئيس تحرير الأهرام ونجيب بك بشري .

وأسرع محب الدين الخطيب بطبع القانون الداخلي للحزب في مطبعة المنار .

وعند الأسستاد الخطيب مكاتبات عديدة يطلب أصحابها الانضمام الى الحزب من السوريين المغتربين في أمريكا اللاتينية والشمالية ومن أشخاص سوريين في جهات متفرقة وكانت الصيغة التي يقدمها العضو لطلب الانضمام الى الحزب على النحو التالي :

لمقام رئاسة حزب اللامركزية .

بحسبتي سوري عثمانى أتقدم عن غيرة ووطنية صادقة للانضمام الى حزبكم العامل على ترقية الوطن بتخليصه اياه من التقاليد الادارية القديمة العتيقة .

وانى حائز لكل الشروط التي يوجبها القانون الداخلي للحزب كما وانى مستعد للقيام بما يفرض على من الخدمات والمساعدات العائدة على توسيع نطاق سلطة الحزب وانتشاره لذا ترون انى فى انتظار تعليماتكم .

وظل الحزب يتسع ويمتد وينتشر ويزيد أعضاؤه ، وفتح الخطيب صفحات المؤيد لنشر أخبار الحزب ودوره واهدافه . وفى

أوراقه مكاتبات جاءت اليه من حقى العظم سكرتير الحزب لنشر أخبار الحزب عن هذا الموضوع أو غيره من موضوعات مثال ذلك كتب اليه حقى العظم فى ٢٩ نوفمبر ١٩١٢ وأرفق برسائله برقية جاءت الحزب من بغداد عن الاصلاح ويلتمس ترجمتها الى العربية من التركية ونشرهما فى المؤيد ولا يضع توقيعا ويقول فى مقدمة ما ينشره أرسل طلاب الاصلاح فى مدينة كذا . . .

وأصبح أعضاء الحزب يتوجسون خشية أن تتصدى سلطات الدولة العثمانية لهم بل كان أعضاء الحزب فى القاهرة يتخفون من مطاردة الدولة العثمانية لهم وإرسال من يفوم ضدهم بعطيات اغتيال .

جاءت لمحِب الدين الخطيب رسالة من حقى العظم بتاريخ ٢١ يونيو ١٩١٢ يخبره فيها: أن مدير بوليس الاستانة والذى رتب مكيدة اغتيال شريف باشا فى باريس موجود الآن فى القاهرة بصورة خفية جداً وقد غير اسمه وأنه ينتقل كل يوم من فندق الى آخر لاختفاء اثره . . . ولا يعلم أحد بوجوده فيها، وتساءل حقى لماذا هذا التخفى وهذا التكتم ؟ « اليس لأن الرجل نوى أن يرتب مكيدة أخرى هنا ؟ وهذه المكيدة لا تكون الا ضد احدنا نحن اللامركزيين لأن المعارضين الأتراك هنا لا يشتغلون الآن بالسياسة ولا قدرة لهم على الاستغلال بها فالايقاع بهم لا فائدة منه بل يضر الاتحاديين اذن المكيدة هى ضدنا ولا ريب . . »

وقد أخبرنا الحكومة وسحبنا تليفراف الى الوكالة البريطانية امس وبلغت المحافظة أيضا اليوم وستكتب الجرائد .

واحتفظ الخطيب بمحاضر مجالس ادارة الحزب فقد كان هو الذى يتولى تدوينها ولديه مئات الوثائق عن هذا الحزب ومكاتباته وقراراته .

أخذ الخطيب على عاتقه أمر الدفاع عن مبادئ الحزب ونشر بياناته والاعلان فى مبدأ مركزية الحكم الذى اتخذ الاتحاديون خطه

لهم والاشادة ببرنامج الحزب الذى نصت مادته الأولى والثانية أن الدولة العثمانية دولة دستورية نيابية وكل ولاية من ولاياتها على أساس اللامركزية الادارية ، والسلطان هو الذى يعين والى وقاضى القضاة . وهذان يقومان كل منهما فى حدود دائرته بتعيين سائر موظفى الولاية . بعد اختيار مجلس الادارة لهم . ولا يجوز عزل موظف الا بحكم من مجلس التأديب .

وقضت مادته الرابعة والخامسة على أن يكون فى مركز كل ولاية مجلس عمومى ومجلس ادارة ومجلس معارف ومجلس أوقاف وتكون جميع قرارات المجلس العمومى نافذة . وأعطيت للمجالس العمومية للولايات المراقبة على حكومتها والنظر فى جميع شئون الادارة المحلية من تقرير ميزانية السولة وأمور الأمن العام والمعارف والنافعة والأوقاف والبلدية وتقرير ما يراه فيها ومن النظام لها . وأما ماكان من أمور النافعة ويتعلق ببعض الوجوه بالأمور العسكرية او السياسة الخارجية كالسكة الحديدية فيرفعها الى العاصمة .

وأخذ الخليلب ومعه رشيد رضا فى الطعن فى توسيع المأذونية التى وصفها الشيخ رشيد رضا بقوله أنها ليست سوى توسيع لنطاق الاستبداد ، لأنها عبارة عن اذن المركز العام للولاة وغيرهم من الحكام الاداريين بأن يتصرفوا فى بعض الأمور بدون اذن من وزارة الداخلية فهى تستلزم قلة المسئولية واتاحة الجراة على الاستبداد بأنها ليست سوى توسيع للسلطة الشخصية (٢٤) .

ويلاحظ فى برنامج الحزب انطباقا يكاد يكون تاما مع آراء البرنس 'صباح الدين وتماثل شديد بينه وبين برنامج حزب الحرية والائتلاف الذى تأسس فى نوفمبر ١٩١١ . كان هناك تقارب بين

محب الدين الخطيب ورفيق العظم صديقه منذ سنة ١٩٠٨ مع صباح الدين هذا ففي رسالة من رفيق العظم اليه عندما كان الخطيب بالحديدة بتاريخ ١٩ أكتوبر ١٩٠٨ يبدى لرفيق تخوفه من جماعة الاتحاد والترقي بينما يبدى له ارتياحه من مسلك صباح الدين (٢٥) .

لكن حزب اللامركزية يزيد على حزب الحرية والائتلاف بكونه أكثر وضوحا في تحديد حقوق العناصر وفي اعطائه صلاحيات واسعة للمجالس المحلية في إدارة شئون الولاية واعطاء مجلس الإدارة حق انتقاء جميع موظفي الولاية عدا والي وقاضي القضاة .

وشرع الخطيب قلمه في نشر المقالات التي تطلب الإصلاح على قاعدة اللامركزية وفي التعاون مع الجمعيات الإصلاحية العربية الأخرى وخاصة جمعية بيروت الإصلاحية فقد أرسل الحزب رسالة ، بقد وجدت في أوراقه رسالة أرسلها حزب اللامركزية الى جمعية بيروت الإصلاحية في ٨ يناير ١٩١٣ وفيها يبدى سروره من نشاط تلك الجمعية ويقدم لتلك الجمعية برنامج الحزب لعله يكون دليل عمل لها ويفيدها ، انه قرر انابة عبد الكريم الخليل لايجال البرنامج الى الجمعية الذي سوف يوضع تحت تصرفها ليستوضحوا ما تود الاستيضاح منه .

فقد أراد حزب اللامركزية أن يعمل بالتعاون والتنسيق مع جمعية بيروت الإصلاحية حين رأى أن جوهر الدعوة في الاثنين واحد وهو توسيع اللامركزية وإصلاح أحوال الولايات وأن تكون للمجالس العمومية صلاحية الإنسراف على جميع أعمال الإدارة المحلية ، لكن الوقت لم يتسع أمام أعضاء جمعية بيروت فما أن انتهت من وضع لائحتها حتى قام الاتحاديون بانقلابهم في ٢٣ يناير ١٩١٣ الذي أطاح بالحكومة الائتلافية برئاسة كامل باشا بعد عودة أنور من

(٢٥) انظر الملاحق .

طرابلس يعلن هزيمة الدولة أمام دول البلقان . وأسرع الخطيب يكتب هذه البرقية باسم رفيق العظم رئيس الحزب الى والى بيروت « السوريون هنا مستاءون من مصادرتكم للجنة بيروت الاصلاحية المؤلفة بوجه قانوني » .

وكلف حزب اللامركزية الخطيب أن يعد الابحاث المختلفة عن أهمية الاصلاح في ظل اللامركزية . كما عهد اليه بطبع منشورات الحزب ودعواته للاعضاء ورسائله وشرح برامجه كما عهد اليه حفظ سجل محاضر الحزب وتعاون الخطيب مع زملائه رفيق العظم وحقي العظم والدكتور شبلي شميل في نشر المقالات بطلب الاصلاح على قاعدة اللامركزية .

لكن الخطيب كان له دور آخر هام فالى جانب عضويته في حزب اللامركزية كان معتمد العربية الفتاة في مصر . يقول في أوراقه : وكنت في الوقت نفسه معتمد العربية الفتاة في مصر ترسل الى منشوراتها من باريس فاطبعها وأرسل اليها ما أرسله وأوزع على البلاد العثمانية ما أوزعه (٢٦) .

ومن أهم ما تكشف عنه الوثائق الموجودة عند الأستاذ الخطيب أن جمعية العربية الفتاة لم تشكل سنة ١٩١١ كما يذكر الأستاذ محمد عزة دروزة في بحثه حول الحركة العربية الحديثة وإنما بدأت قبل ذلك بكثير (٢٧) .

فالأستاذ الخطيب يحتفظ عنده بوثيقة فيها أسماء الاعضاء المؤسسين للعربية الفتاة وبلدهم وتاريخ انتمائهم وملاحظات حول كل عضو وعما اذا كان هذا قد دخل كعضو مؤسس بطريقة مباشرة أو بواسطة أحد الاعضاء على النحو التالي :

(٢٦) مخطوطة بعنوان الجبل الذي عامر بمث العروة .

(٢٧) محمد عزة دروزة حول الحركة العربية الحديثة ج ١ ص ٢٧ .

الرقم المسلسل	الاساس	البلدة تاريخ الانتساب	واسطة الانتساب	ملاحظات بالرمضان
١	توفيق الناطور	بيروت ١٤-١١-١٩٠٩	مؤسس حقوقى ليسانس باريس	
٢	محمد رستم حيدر	بعلبك ١٤-١١-١٩٠٩	مؤسس مدرسة الحقوق السياسية بباريس والتاريخ والجغرافيا بالسوربون *	
٣	مصطفى الكيلانى	حماه ١٤-١١-١٩٠٩	مؤسس زراعى غريتوبل	
٤	عونى عبد الهادى	نابلص ١٤-١١-١٩٠٩	مؤسس	

وفى هذا المخطوط الذى يحتفظ به الاستاذ الخطيب لم يكن قد
درج اسم الاستاذ عونى عبد الهادى فعدل رثمه ليصبح رقمه المسلسل
٤ ويعدل رقم من بعده حسين صبرى الخوجة ليصبح رقم ٥ وكذلك
بالنسبة لمحمد المحمصانى الذى اُصبح رقمه ٦ قبل توفيق التميمى
الذى حمل رقم ٧ .

وهكذا تسلسل الاسماء حتى نصل الى رقم ٢٤ نجد اسم الاستاذ
محب الدين الخطيب وكتب امامه دخل عضوا مؤسسا عن طريق
عبد الغنى العريس بالمكاتبه .

ويحتفظ الاستاذ الخطيب بمجموعة كبيرة من الوثائق عن
العربية الفتاة ، قالى جانب هذا الدفتر السابق الاشارة اليه والذى
يحمل اسماء الاعضاء المؤسسين وتاريخ انتسابهم لديه مخطوط
مكتوب بالرمضان لصيغة القسم الذى يقسم عليه الاعضاء والذى
اقسمه الخطيب بالمراسلة من القاهرة وارسل بذلك الى باريس فقبل
عضوا فليده وثيقة تفيد قبوله عضوا بالجمعية والرسالة من عبد الغنى

العريس . كتب له العريس من باريس فى ٧ (شباط) فبراير ١٩١٣
يقول له :

أيها الاخ

قرىء قسمك فى جلسة ١ شباط ١٩١٣ فقبل وسجل اسمك
مع الاخوان وقرر المركز أن يطلق عدد ٢٨ عليك منذ ذلك التاريخ
فاقبل تحية اخوانك والسلام عليك .

كانت الجمعية كجمعية سرية قد اعطت لكل رقما سريا فى
التخاطب والمكاتبات . فعبد الغنى العريس كان يكاتب الخطيب الاول
رقمه ٢١ والخطيب رقمه ٢٨ كذلك جاءت التعليمات التالية : لتكن
كل مخابراتك من تحارير وغيرها هكذا العنوان : ع ٠ ف A.F.
والا يرسل شيئا فى البريد العثمانى وتحت هذه الكلمة ثلاثة خطوط
لزيادة التنبيه بشأنها .

كان من شروط العضو المنتمى الى العربية أن يكون كتوما
مخلصا مؤمنا بالعقيدة القومية العربية مطيعا لقرارات الاكثية
بدون قيد ولا شرط . ولم يكن من الميسور حسبا تكشف عنه أوراق
الجمعية قبول أى عضو فقد كان يقدم عنه تقريراً حتى اذا ما درس
الدراسة الوافية واستوثقت الجمعية من أهليته صدر القرار بقبول
انتسابه مبدئياً ثم عهد الى شخصين هما مقدمه واحد الأعضاء
بدراسة كافة أحواله وملابساته ونزعاته فى مبادئه الوطنية ثم صلاحية
أخلاقه ومتى تم هذا كله دعى الى تأديبه القسم أمامها فقط وهو
لا يعرف من أعضاء الجمعية غيرهما .

وكانت معظم الرسائل التى جاءت له من الجمعية فى باريس
تفبده عن اخبارها اولا بأول وتدعو الى التزام السرية التامة فى
مكاتباته وتعول عليه فى طبع منشوراتها .

كان العضو يقسم بالله ويشترطه أن يسعى فى تاييد غاية ماتصوب
اليه أمته وهى الاستقلال العربى التام والسعى فى جعل الأمة العربية
فى مصاف الأمم الحية . وان يقسم بالله وبشرفه وكذلك ان يحافظ
على أسرار جمعيته ويفضل مصلحتها ومصلحة اخوانه فيها على
كل مصلحة سواها . وان يطبع قانونها وأوامرها والا يحث بيمينه
والله على ما يقول شهيد .

وفى الوثائق التى لديه نجد الدستور الذى وضعه أعضاء الجمعية منهاجا لعملهم وان هدف الجمعية هو الاحتفاظ للامة العربية بحقوقها الطبيعية وتقول المادة الاولى من الدستور ان هدف الفتاة هو النهوض بالامة العربية الى مصاف الامم الحية ويرى أعضاء الجمعية ان ذلك هو ماينبغى عليهم عمله فهم يقررون فى مقدمة دستورهم حقيقة واقع الامة العربية وهى انها فى مؤخرة الامم الحية وانه لكى تحافظ على حقوقها الطبيعية فذلك واجب المفكرين من أبناء هذه الامة .

احسنت هذه الجمعية ان الامة العربية تحتاج الى من يحركها ومن يصرخ فيها ليعث فيها الحياة ومن هنا اخذت تصدر المنشورات التى تحمل اسم الصرخة .

فلقد اصدرت الجمعية ثلاث منشورات باسم الصرخات الثلاث كل منها مزيل يختم الجمعية الذى يتكون من نخلتين متعاقبتين يطلان الاحرف الاولى من رسم الجمعية ج ٥٠ ع ٥٠ ف وتاريخ نشوء هذه الجمعية سنة ١٩٠٩ وظل ذلك خاتم الجمعية حتى وجهت الجمعية رسالة الى محب الدين الخطيب ان يسارع بعمل خاتم جديد لها وذلك فى ٢٥ (نيسان) أبريل ١٩١٤ وأن يجمع بين النخلة والصقر بدلا من الحرفين ع ٥ ف ٠ وأن يكون الصقر مادا جناحيه وصاعدا من الأرض الى الشجرة دليل النهوض . وفى الصرخة الاولى دعوة الى ماتراه الجمعية فى نظام الحكم فجلالة السلطان يراس القوة الاجرائية وهى الصدارة والمشيخة ونظارات والخارجية والحربية والبحرية والعدلية والمالية والبريد والتجارة والسكك الحديدية والجمارك ووظيفة « المبعوثان » والاعيان والولايات يكون على رأس كل منها رئيس يعينه السلطان من اهل البلاد ومجلس نيابى ينتخبه اهلها

وتنبه هذه الصرخة الاتحاديين الى خطر تغافلهم . فنحن من العرب بالقوة المانعة والمادة المترعة تربطنا الرابطة الجميلة فى اقطار العرب . فان نادينا كانوا درعنا الاقوى وان انتدبنا كانوا صرحنا المنيع . فرجاؤنا من اهل الراى فى الدولة لا يضطرنا الى ان نوجه اهبصارنا حيث لا يشتبهون ويدفعونا الى ان نعقد حياتنا على مايرغبون . هذا ما نقوله والعاقل من انتصف لنفسه قبل ان ينتصف لغيره

أما المنشور الثانى الذى أصدرته جمعية العربية الفتاة باسم الصرخة الثانية والمحفوظ لدى الأستاذ الخطيب فكان نداء موجهاً الى أبناء العرب تبث الجمعية فيهم وتثيرهم وتنبهم أن الحياة المجيدة تتطلب من العنصر لحيد أن تكون ، نزلته ، أن تكون له ذات ، أن تكون له خاصية ، أن تكون له جنسية فانتم لا خاصية تحفظون ولا كرامة ترعون ، تحشرون كالسوائم أن وجدت مرعى أكلت وأن فقدته أنت نيا للذى تتجافى عليه المنازل .

وما فى هذه الصرخة أشبه كثيراً بما جاء فى كتابات الكواكبي التى خاطب قومه بأسلوب فى منتهى الأندة فى كتابه طبائع الاستبداد . والمعروف أن كتابات الكواكبي كانت كما يذكر الخطيب هى المنهل الذى نهل منه الشباب العربى الشئ الكثير .

ثم يوضح المنشور اضرار الحكم المركزى فنحن نستحلثكم - مخاطبا العرب - بالذى ربط قلوبكم على الاخاء الصميم وعقد نيات امرائكم على الدغاء اسريرف أن يتعالى كل عربى مهما انحطت درجته الى ضعف جامعته ، وان يتنزل مهما تسامت مرتبته الى نضرة جنسيته ويتبين البيان ان الغاية منه أن يفهم أبناء الأمة العربية حقيقة التاريخ الحاضر فيعلموا أن الدولة العلية أصبحت لا تستطيع أن ترد عنهم غارة المغيرين وتضرب مثلاً ضياع طرابلس وفشل الدولة فى البلقان .

وتدعو الجمعية أبناء العرب الى تناسى الطائفية وأن النزعات الدينية أدوات كانت تتخذها العاصمة لتفريق شمل العرب اجمعين ، فليكن كل المسحيين فى هذه الحركة موحدين فى جنسيتهم مع اليهود والمسلمين فالجنسية قد أوجدتهم قبل وجود الأديان .

أما الصرخة الثالثة ففيها هجوم شديد على الاتحاديين والدولة التركية وكان ذلك أمراً طبيعياً ذلك أنها صدرت بعد نكت الاتحاديين بما وعدوا به من اصلاحات للبلاد العربية بعد مؤتمر باريس فالجمعية فى هذا المنشور تدعو الى الانفصال وتضرب مثلاً بدولة اليونان التى انفصلت على الدولة فأصبحت أرقى من الترك بدرجات

« والجبل الأسود فكان آية في سرعة الانظام ويقول المنشور :
« وان ما قد كان لتلك العناصر التي انقذت نفسها من القبر التركي
وجعلت لنفسها مكانة ومنزلة قد تكون لامتنا العربية يل من المحقق
ان يكون لاسيما ونحن اليوم أرقى من تلك الأمم البلقانية عندما نادى
بحقها طالب لنفسها الحياة ولا غرر فان من يتخذ من الدول الأوروبية
ظهرا بالغ حقه »

وتكشف مذكرات الخطيب خلال هذه الفترة قامة من الانقسام
الواضح بين ابناء الامة العربية وسا سادهم من روح التعصب التي
فرقت بينهم .

ولذلك يسعد الخطيب كل السعادة حين يؤسس رشيد رضا دار
الدعوة والارشاد سنة ١٩١٢ فقد رأى ان العمل في انشاء هذا الدار
من الوسائل الهامة لعلاج الكثير من الامراض النفسية والاجتماعية
التي حاقت بالمسلمين في وقتهم الحاضر . كان رشيد رضا قد وضع
في مشروع مدرسته ان يختار طلبة هذه المدارس من طلاب العلم
الصالحين من مسلمي الاقطار ويفضل الذين هم في أشد الحاجة الى
العلم على غيرهم كاهن جاود والصين ونقوم بالمدرسة بتدريهم على
آداب الاسلام وأخلاقه وعباداته بحيث يطرد من المدرسة من يثبت عليه
الكذب او اظهار العصبية الجنسية او المذهب وارتكاب شيء من
المعاصي .

ويدعى الخطيب الى ان يكون أحد أساتذة هذه المدرسة يقول
في مذكراته « وأسس السيد رشيد رضا دار الدعوة والارشاد واتخذوا
لها مكانا في قصر شريف باشا على يمين الداخل الى جزيرة الروضة
من كوبرى الملك الصالح واختاروني مدرسا للجيولوجيا وبدأت
التدريس بنمط جديد لنت نظر طلبة هذه المدرسة الدينية الاسلامية
الى سرائر الله فى الكون وتكوينه وكان من طلبة تلك المدرسة الحاج
أمين الحسينى ويوسف ياسين ومحمد الشريفى وآخرون صاروا فيما
بعد كلهم علماء وكلهم يقولون لى حتى الآن أنت استاذنا للمحبة

التي استطلعت أن أعقدها بين قلبي وقلوبهم مدة الدراسة
وبعدها (٢٨) .

وخلال ذلك نشطت الدعوة الى عقد المؤتمر العربى فى باريس .
وقد لقيت فكرة عقد هذا المؤتمر ترحيبا كبيرا بين السوريين المغتربين
ويتضح ذلك من انرسائل عديدة التى يحتفظ بها الأستاذ الخطيب
يؤيد مرسلوها من أمريكا الشمالية واللاتينية فكرة عقد المؤتمر .
وكان اول ما اقدمت عليه لجنة اعداد المؤتمر التى عهد بأمانة سرها
الى عبد الفتى العريسي أن ترتبط بحزب اللامركزية فى مصر وكان
ذلك فى جلسة ١١ مارس ١٩١٣ ثم أرسلت فى ٤ من أبريل من نفس
العام كتابا الى اللجنة العليا للحزب تعرض عليه أن تكون للجنة
الحزب قيادة المؤتمر . ويجد الباحث تفصيلا لأعمال المؤتمر فى
الكتاب الذى جمعه محب الدين الخطيب ووضعه فى مطبعة البوسفور
سنة ١٩١٣ باسم المؤتمر العربى الأول . كاتب عبد الفتى العريسي
محب الدين فى نفس التاريخ الذى قررت فيه لجنة المؤتمر الاتصال
بحزب اللامركزية (٤ أبريل سنة ١٩١٩) يقول له :

نحن قررنا أن نلتحق بكم لنكون يدا واحدة فى العمل . وكان
العريسي قد كاتب الخطيب قبل ذلك فى ٢٠ (آذار) مارس سنة
١٩١٣ وهو فى الطريق الى لوزان من أعمال سويسره ليرتاح
قليلا من عناء الدرس يتعجل طبع منشور على صفحة واحدة يلتمس
أن يطبع له الخطيب منه ألف وخمسمائة نسخة ، وأرسل له يرجر
أن يصل النسخ سريعا .

ويقول له لا حاجة لأن أشرح لك خطورة عقد مؤتمر للعرب فى
هذا البلد (باريس) فقد كتبت لأخوان فى مصر ولا أخالك الا قد
اطلعت على الغاية .

وفى اليوم التالى لتلك الرسالة كان عبد الفتى العريسي قد
وصل الى ديجون فى طريقه الى سويسرا مسطرا رسالة أخرى الى

(٢٨) مخطوط لمحب الدين : الجيل الذى عاصر بث العروبة .

الخطيب بتاريخ ٢١ (آذار) مارس ١٩١٢ يسأله عن طبع المنشور ويقول له أوعز الينا رفيق بك (العظم) ان شفيق بك المؤيد يرغب في حضوره فعليك بتشجيعه ونحن سنكتب اليه والى المركز لأجل هذه الغاية وسنربط بالحزب رسميا وسنكتب اليه في هذا الأسبوع ونقرر في إحدى جلسات لجنة المؤتمر ان لجنة المؤتمر هي التي تقوم به في الظاهر وأما في الحقيقة فهي عصابتنا التي تقوم به في الخفاء كما تقرر في جلسائنا الرسمية . اذا كان لديك بعض الاخوان ممن يعتمدون عليهم في صدقهم وأمانتهم ووزانتهم فلکم ان تقدموا اسمه الى مركز جمعيتنا (ت) واسطى سيكون لكم عوناً في أعمالها في مصر . تقبل خالص أمانى والسلام عليك ، أخوك (٢١) وهو الرقم السرى لعبد الشفي العريسي .

كتب العريسي في الرابع من ابريل سنة ١٩١٣ الى محب الدين الخطيب ان يشجع عبد الحميد الزهراوى في الحضور لرئاسة لجنة المؤتمر وان يكون في استطاعته المجيء « فعليك بشفيق بك وآخر ينوب عن ولاية سورية كحقى بك » .

وبين أوراق الخطيب دعوة موجهة له من اللجنة العليا لحزب اللامركزية بتاريخ ٢١ مايو سنة ١٩١٣ وتدعوه لحضور اجتماعها والذاكرة في خطه المندوبين (الى مؤتمر باريس) وتلتبس اللجنة ان يحضر معه سجل المحاضر لاستخراج صورة من قرار انتخاب عبد الحميد أفندى الزهراوى واسكندر بك عمون كمندوبين للمؤتمر السوري العربى وأبرق الحزب الى المؤتمر بعد ذلك ما يفيد انتخاب هذه العضوين عنه كما ارسل رفيق العظم الى ندرة مطران من أعضاء المؤتمر يخبره عن « أن سفر مندوبى الحزب سيتم في اول باخرة قادمة من بورسعيد أو اسكندرية بعد يوم الخميس القادم ٢٢ مايو » .

وانعقد مؤتمر باريس ثم كانت مفاوضة الاتمادين لأعضاء المؤتمر وصدر الارادة السلطانية بالاصلاحات التي جاءت اقل من الشروط المتفق عليها مع المؤتمر ازاء ذلك لم يسع حزب اللامركزية السكوت فاصدر بياناً الى الشعب العربى في ٩ أكتوبر سنة ١٩١٣

شرح فيه حاجة الأمة الى اللامركزية وعدد فوائدها مشبها النظام المركزي بوضع أسرة يعيش أفرادها على جهود رب الأسرة دون أن تترك لهم الفرصة للاعتماد على النفس ، حتى إذا توفي ربه هلك أعضاؤها . وبين كيف أن الحزب رضى بشروط اتفاقية باريس مع كوندو دون برنامج الحزب ثم كيف صدرت الإرادة السنوية وهي أيضا أقل من الشروط المتفق عليها بل كانت صورة مشوهة عنها . وفي ٤ يناير سنة ١٩١٤ صدرت الإرادة السنوية بتعيين الزهراوى وستة آخرين من العرب فى مجلس الأعيان . ولعل أهم ما قام به الخطيب فى هذه الفترة هي محاولة رأب الصدع الذى أحاط بحزب اللامركزية ازاء هذا الأمر . فلقد أنبرى حقى العظم سكرتير الحزب يحمل حملة شمسواء على الزهراوى لكن الحزب حاول أن يلتصق للزهراوى العذر .

ولعل من أهم وثائق الحزب محاضر الجلسة التى عقدها الحزب بتاريخ الخميس ٢٢ يناير سنة ١٩١٤ .

وبدأ رشيد رضا يعرض على الحاضرين فيها ما كتب فى الجرائد من اعتراض بعض شبان العرب فى الاستئانة على قبول عبد الحميد الزهراوى عضوية الأعيان قبل تنفيذ الحكومة للإصلاح الذى وعدت به العرب . وأنه جاءت عدة مكتوبات عن الاستئانة وبيروت فيها بيان حقيقة الحال بعضها من السيد الزهراوى وبعضها من غيره . وجاءته رسائل الشيخ اسماعيل الحافظ الذى عين فى مجلس المعارف الأعلى ورئيسا للجنة التعليم باللغة العربية ، ومنها كتاب السيد عبد الغنى العريسي وملحقا لأخبار الاستئانة وبعض أولئك المعترضين لهم أهواء شخصية قال رشيد لا حاجة الى تسجيل اسمائهم فى محاضرنا وبعضهم اعترض برأى وحسن نية . وأن جماعة العرب الذين فى الاستئانة لا يرجى منهم عمل للعرب .

وقال رشيد ان الرجاء فى العمل قد انحصر فى جماعة حزينا وانما يستحسن اخواننا فى بيروت مشاورتنا للسيد الزهراوى دوام الاتصال به . ويقول اخونا الزهراوى ان رجال الدولة الاتحاديين هم الذين بيدهم زمام الدولة لا معارض لهم فيها الآن وأنه ليس أمامهم

الا جماعات الشعوب وهم العرب والآرمن والروم ، ووصف حالة كل منهم بما لا يخفى علينا ولاسيما حالنا . وقال ان هؤلاء الرجال يعترفون الآن بأغلاطهم وخطاهم السابق في حق العرب ويشعرون بالخطر الذي يهددهم من أوروبا وقد عزموا على تجديد شباب الدولة بكل ما في الوسع وأظهروا أنهم يحبون أن يتفقوا مع عقلاء العرب وفضلائهم ويتعاونوا ويعترفوا بحقوقهم . ويقول الزهراوى لرشيد رضا فى رسالته ان لديه أدلة وبراهين كثيرة تحمله على تصديق قولهم « وأننى اذا كنت لا أصدق فلى العذر ولكن هل الصواب فى هذه الحالة أن نتركهم وشأنهم ويبدعهم الدولة كلها أم الصواب أن يكون هو فى المركز يقف على حقيقة الحكم ويطلب بمالم ينفذ من الإصلاح » . ثم قرأ كتاب الشيخ اسماعيل وفيه أنه قال للأخوان فى المنتدى الأدبى على اعتراضهم على قبول السيد الزهراوى عضوية الأعيان أنه هو والسيد الزهراوى ما قبل المنصب الا بقصد الاصرار على المطالبة بالإصلاح الذى يطلبه العرب وانه واثق بان السيد الزهراوى يترك منصبه قطعاً اذا ظهر أن تركه خير لامته .

ثم قال السيد رشيد رضا لأعضاء حزب اللامركزية فى اجتماعهم أنه يرى أن رأس مال نجاح الأحزاب هو الثقة بالرجال العاملين والتمس منهم الثقة بالزهراوى .

وهنا قال عضو الحزب اسكندر عمون ان أعضاء المؤتمر العربى قرروا فى باريس ألا يقبل أحد الأعضاء التعيين فى وظيفة أو منصب الا بموافقة الجمعية المنتسب اليها ومعلوم أن السيد عبد الحميد من أهم رجالنا ومادام قد تعين فينبغى أن نعلن ثقتنا فيه .

ثم تحدث رفيق العظم فى الجلسة نفسها فأوضح أن اتفاقية باريس نفذت كلها الا اثنين منها . ولا ريب أن المجالس العمومية اليوم غيرها بالأمس وآخر أعداد جرائد بيروت التى جاءتهم وأرد منها أن امتيازات عظيمة وكبيرة أعلن مجلس عمومى بيروت تحويلها الى الأهالى وانه لم تبق ولاية عربية الا وفيها مدارس ثانوية (سلطانية) عربية . ثم لن كل معاملات الحكومة فى ولاية سوريا

وغيرها صارت بالعربية تماما . وهذا كل ما اتفقوا عليه في باريس قد نفذوه وبدأوا في تنفيذه الا المسائل المتعلقة بالمالية وهذا شيء هم معذرون به « وليس من الانصاف أن لا نعذرهم على ذلك الآن ، ومع ذلك ينبغي أن نقول في نياتنا أننا لانزال نطالب الحكومة فيما يتوقف عليه سعادة بلادنا » .

لكن الأزمة لم تنته فمضى سكرتير الحزب في تهجمه على الزهراوى ، فقرر الحزب أن يستدعى الزهراوى من الاستانة وأن يعقد جلسة لدراسة الموقف . وعقد الحزب جلسة في مساء يوم الجمعة ١٩١٤/٤/٢٤ اشتمت فيها الموقف وظهرت الأزمة بصورة عنيفة فاقترح رفيق العظم رئيس الحزب حل اللجنة المركزية للحزب . وهو الأمر الذى يتبعه حل الحزب .

اعترض محب الدين الخطيب على ذلك بقوله ان الحزب ليس هو اللجنة وإذا شاءت اللجنة أن تحل فلتدع الجمعية العمومية وتعرض عليها استقالتها ليصير انتخاب غيرها أما إذا كان الراى حل الحزب كله فيلزم عرض الفكرة على الجمعية العمومية أيضا .

ودعا حقى العظم الى مضاعفة الحزب لنشاطه حتى تشعر الجماهير بنشاط الحزب ويستعيد مكانته بعد موقفه من الزهراوى وكان رأيه « أما أن نعمل وننشط أو نحل الحزب » .

واقترح رشيد رضا دعوة مؤتمر للحزب وفروعه وأن يكتب بذلك المركز الى الفروع ويسألهم الراى فى عقد هذا المؤتمر . ولكن الخلاف بين رفيق العظم رئيس الحزب وحقى العظم سكرتيه لم تحل وإنما ازدادت تعقيدا فيذكر الخطيب انه بعد كتابة مسودة البيان الخاص بالدعوة الى المؤتمر رفض رفيق العظم توقيع كرئيس للحزب ورفض حقى العظم كذلك باعتباره مستقيلا من أعمال السكرتارية . وهنا بذل الخطيب جهده فى لم الشمل ويقول الخطيب : عندما علمت بهذا الوضع الذى شرجه لى حقى بك وطلب منى توقيع البيان بصفتى السكرتير الثانى للحزب تأكدت أن الخرق قد اتسع بين حقى بك ورفيق بك الذى يرى أن للعمل أوقاتا لا يصلح أن يعمل

فى غيرها ونجح محب الدين الخطيب فى ذلك حيث عقدت لجنة الحزب
جلسة ثانية بتاريخ ٢٥ أبريل ١٩١٤ برئاسة رفيق العظم وحضرها
حقى العظم ورشيد رضا واسكندر عمون وسليم عز الدين وصالح
رضا .

ولم يعقد المؤتمر فقد دهمت الحرب العالمية الأولى العالم بعد
ذلك بفترة قصيرة وعندها دخلت الحركة العربية فى طور آخر .

كان هذا التصدد الذى أصاب حزب اللامركزية قد جعله حزبا
عاجزا عن عمل تحرك جديد بعد مؤتمر باريس . وجاءت لمحبة الدين
الخطيب الرسائل من أعضاء حزب العربية الفتاة الذى انتقل مركزه
الى بيروت . أرسل له العريسي يفيد به بذلك ويطلب منه أن يختار
أربعة عشر عضوا أعضاء لمجلس شورى الحزب ويخبره أن المركز
العام سوف يتفاوت عدده بين خمسة وسبعة ويرجوه عند وصول
كتابه أن يختار أربعة عشر عضوا من الأسماء المذكورة ليؤلفوا
مجلس الشورى الذين سيكون عليهم امداد المركز العام بالأراء عند
الضرورة بحيث تبقى بقية الأعضاء فى جهل تام .

أما هذه الأسماء فهى : عبد الغنى العريسي ، محمد رستم
حيدر ، رفيق التميمي . عوفى عبد الهادي ، محمد الحمصاني .
عارف الشهابي ، بشير نصار ، توفيق النادور ، توفيق البساط .
رفيق سلوم ، محب الدين الخطيب ، زكى التميمي ، الدكتور أحمد
قدري ، عبد الحفيظ العريسي ، جميل مردم ، إبراهيم حيدر ، ومحمد
يوسف حيدر .

كذلك كاتبه محمد الحمصاني يدعو الى دعوة اللامركزية لعمل
مؤتمر فى القاهرة بعدمؤتمر باريس ويشكو له سوء الحالة .

« كل من يهتمون بالمسائل العربية يعلم ما هو عليه القوم من
السكون والجمود فى هذه الأيام ولذا لا أطيل بهذا المعنى . .
لكنى لم أعهد بقاءنا قبل اليوم مثل هذا الخسوف فى القسوة
والوهن فى العزائم والتلاشى فى الأفكار وقد فقدوا الثقة من نفوسهم

فاستولى اليأس عليها والقنوط من المستقبل ولايتأمل فيهم متأمل قط
الا ويخيل له أنهم سكان كهف أو أنهم في عالم الأحداث والمقابر .
هذا ولو ظلت الحال على هذا المنوال نخسر عما قريب كل ما ولدته
حركة العام الماضي وما قبله حتى انه أصبح اليوم من الصعب
انهاض الهمم الى عمل يتعلق بالحياة العامة . نحن كما تعلم بأمس
الحاجة الى التاهب لدرء مايحيق بنا من الأخطار داخلا وخارجا
بلا تردد ولاتريبص فقد اتسع الخرق على الواقع والا جاءنا يوم
والأيام حبالى يستعيل معه كل عمل . الحكومة العثمانية لا يوجب
منها شيء ولكن الأمل بمواعيدها ولو كانت صادقة فيما وعدت به
فانها لا تنفذه بل بالعكس فان بعض الإمارات قدل على أن كل ما فعلته
يرمى اليه غاية : فترى عقد جماعة الإصلاح . . فالحكمة تقضى أن
تكون على حذر من الموقف العدائى الذى لا يبعد أن تتخذه الحكومة
أما النتيجة التى احب الوصول اليها والتى هى الغاية من تحريري
فهى : أن خبر الحركة ماكان فى سكون فانا قد فكرت طويلا ولا ازال
أفكر مع بعض الأصدقاء بالوسائل التى تعيد للنفوس حماسها الأول
ومن جملة ما فراه وأهمه عند مؤتمر ثان فى مصر يقوم به الحزب
اللامركزى يدرى ما جربى فقد عقد المؤتمر الأول (باريس) ورسم
الخطط اللازمة التى يجب أن تسير عليها الأحزاب العربية فى السنة
الجديدة مع الاهتمام بدرسأهم مشاكلنا الحاضرة التى تتوقف عليها
حياة الأمة المستقبلية . وقد استطلعت هنا كثيرا من الأفكار فوجدتها
قابلة لمساعدة مثل هذا العمل وأنا على يقين من أن مؤتمرنا الثانى
سوف يكون أكبر وأكثر أهمية من الأول نظرا لقربنا من البلاد ويمكننا
مع مساعدة شعبكم أن نجعل المؤتمر يظهر بأكبر مظاهره . فنحن
نرى عقد المؤتمر ضرورى لأنه فضلا عن فوائده من جهات عديدة
تكون به سرنا على سنة الأحزاب الراقية سياسية كانت أو غير
سياسية . فارجوك أن تتعاون مع اخواننا بهذا الشأن ولى كل الأمل
أن الفكرة سوف تكون مقبولة وأنت تبذل جميع جهدها بتأييدها حتى
إذا ما تقررت تخايرنا بكيفية تحقيقه . . »

ولكن الخطيب لم يستطع أن يحقق فكرة عقد مؤتمر ثان للأحزاب
والجمعيات العربية يعقد فى القاهرة على غرار مؤتمر باريس بسبب
ما سبق ترضيحه من الخلاف الداخلى فى حزب اللامركزية .

وكان من الأمور الهامة التي شغلت الخطيب في هذه الفترة السابقة على اندلاع الحرب العالمية الأولى قضية محاسنة عزيز المصري وما أثاره ذلك من رد فعل قوى لدى رجال الحركة العربية . فأنبرى محب الدين الخطيب يكتب المقالات في صحيفة المؤيد منددا بهذا العمل مثل ذلك مقالة بتاريخ ٢٢ أبريل ١٩١٤ بعنوان عزيز المصري درس مؤلم وعبرة مرة وبداها بقوله :

جزاء ستمار جزائى على الهوى وكان يمتينى وفاء السموئل

وتشكلت لجنة منه ومن حقى العظم وجهت الدعوة في ٩ أبريل ١٩١٤ الى العديد من الشخصيات في مصر لحضور الاجتماع الذى سيعقد في الساعة الرابعة من بعد ظهر اليوم نفسه (الخميس) في أعلى قهوة سبيلندر للنظر في اتخاذ التدابير اللازمة بشأن الحكم الصادر أخيرا على البطل عزيز المصري وتأليف الوفود التى تتولى مقابلة أولياء الأمور والتوسل بالوسائل الفعالة لانقاذه .

وانعقد المؤتمر واتخذ القرارات الآتية :

١ - تأليف وفد من وجسوه وأعيان القاهرة للذهاب حالا الى الوكالة البريطانية وإدارات الصحف الكبرى من عربية وأجنبية وطلب المساعدة منها لأجل عزيز .

٢ - إرسال تلغراف الى البراند الأفريقية الكبرى والاشتراكية فى أوروبا وطلب معونتها بالطرق المناسبة وتلغراف آخر لجلالة السلطان و لجلالة ملك انكلترا .

٣ - إرسال تلغراف للتمس وشكرها على كتاباتها السابقة والتماس مواصلتها الكتابة واستغاثة انظار الشعب الانجليزى الى ان الشهود على عزيز كلهم أسافل متهمون بجرائم ويعرفهم المصريون الذين كانوا فى الحرب الطرابلسية وان الذين أبوا الشهادة أوثوا وطردوا من الجيش(٢٩) .

(٢٩) أوراق الخطيب : غير منشورة .

وانعقدت المؤتمرات التي حضرها شيخ الجامع الأزهر وطائفة كبيرة من أكبر علمائه (٣٠) . وأرسلت البرقيات إلى السلطان العثماني بامضاء الأستاذ الأكبر . ونشط فرع جمعية العهد في العراق يصدر المنشورات الثورية التي أرسلها إلى الخطيب فقد أصدر منشورا ثوريا بعنوان : عبرة باللغة للمبتلين بالتبعية التركية أن يعتبروا بها . وابتدأ المنشور يشرح قضية عزيز المصري ويبين كيف أن الأتراك انصفوا الضابط التركي أنور بينما انتقموا من الضابط العربي الذي قدم لهم الخدمات عشرين عاما . ثم يشير المنشور إلى أن الدولة العثمانية لم تقا تل أية دولة من الدول منذ مائة عام سوى الدول العربية والإسلامية ، في اليمن والعراق والكرك وحوران وبلاد الأرناؤول وبلاد الأكراد . أما الدول الأجانب فكانوا يظنون عليها الحرب وقتلوا زعماءهم ووقف الدفاع . والمنشور كله نداء ثوري يدعو العرب إلى الثورة ويحرض المنشور على اغتيال الولاة في الولايات العربية حتى يابى الولاة الأتراك تعيينهم في الولايات العربية . .

ثم خاطب البديان السوريين : قوموا بقوة رجل واحد وانفضوا الذل والمسكنة عن ظهركم وألقوا منكم عصابات قوية واقتلوا كل من تباذونه في بلادكم من رجال الدولة التركية الظالمة والحقوا بهم أيضا كل من يساعدها من العرب أنفسهم . اقتلوهم لأنهم خربوا بلادكم افقرؤا أوطانكم . قتلوا رجالكم . نهبوا أموالكم ، سبوا نساءكم . يتموا أطفالكم ، ضبعوا حقوقكم وهم اليوم يسعون لخراجكم من أوطانكم فمثلوا بهم أنتم أيضا خير تمثيل ولكن حاذروا أن تمسوا النساء والأطفال منهم .

ونجحت المساعي وأفرج عن عزيز المصري كما هو معروف فكان الخطيب من بين اللجنة التي نظمت حفل استقباله عند وصوله إلى القاهرة وفي مقدمة مستقبليه . فقد نظمت اللجنة الدائمة للدفاع عن عزيز المصري حفل الاستقبال في محطة العاصمة وأعلن في

الجرائد عن موعد وصوله ونظم له الاحتفال اللائق به كبطل عربى •
ويوضح ذلك الأوراق الموجودة عنده فى هذا الخصوص •

خلال ذلك كان الخطيب يصدر منشوراته التى تبث الحماس فى نفوس أبناء أمته العربية بعنوان الى الأمة العربية - الوطن فى خطر - نحن الآن فى شقاء البلاد فرغت من الرجال ومن النقود •
قدمنا أولادنا للعسكرية وأموالنا للاستانة لأجل أن ترقى الدولة فكان ارتقاؤها الى أسفل •

« والآن أمسينا وبيننا وبين رجال الاستانة سوء تفاهم • نحن نعتقد أنهم اخواننا وهم فى الظاهر يضحكون علينا وفى الواقع يرون اننا عبيدهم وان لهم أن يمنعونا حقوقا وهبها الله • وأن يخرسوا ألسنة أنطقها الله • وأن يعصروا من بلادنا خيراتها فيسقوا بها جوف الاستانة التى لا يمتلىء ويطون رجالها التى لا تشبع ••

• وكان اعلان الحرب العالمية الأولى بعد ذلك •

الفصل الرابع

اعتقاله في البصرة

من المعروف أن الدولة العثمانية لم تدخل الحرب العالمية الأولى حين أعلنت مباشرة برغم أن الصلات كانت وثيقة بينها وبين الألمان سواء في المجالات العسكرية أو الاقتصادية . فهناك البعثة العسكرية الألمانية التي وصلت إليها منذ ديسمبر ١٩١٣ تحت قيادة ليمان فون ساندرز أو مشروعات أسكك الحديدية والبنوك وغيرها . وكان لأور باشا دوره الكبير في تقوية النفوذ الألماني .

ود رجال الحركة العربية في هذه الأثناء أن تظل الدولة العثمانية على موقفها المحايد يقول الخطيب في أوراقه : كنا نتمنى لو أنها (الدولة العثمانية) حافظت على الحياد فلم تكن مع أى فريق لتجنب البلاد ويلات الحرب من جهة ، ولأننا وهذا مهم جدا وأحب أن أسجله - كنا نرى أن القومية العربية في دور المخاض ، وأنها لم تملد بعد ، وأنها تحتاج الى مدة أخرى طويلة لتستطيع أن تحبو ثم أن تقف على قدميها .

ويمضى الخطيب يوضح أنه لم يكن في العرب المسلمين عاقل واحد يفكر في الانفصال عن الدولة العثمانية قبل أن يتم استعدادهم لهذا الانفصال ، لكنهم كانوا يريدون أن تعترف لهم الدولة بحق العرب في الحياة . فيكون التعليم في سوريا والعراق والحجاز وجميع بلاد العرب باللغة العربية وأن تكون العربية لغة رسمية في البلاد العربية ، وأن يمثل العرب تمثيلاً صادقاً في الوزارة ومجلس الأعيان وسائر المراتب . هذا ما كانوا يحاولون اقناع الاتحاد والترقي به بعد المؤتمر العربي الأول ، في المحادثات التي كان يقوم بها الزهراوي من جانب ، وعبد الكريم من جانب ، وكل من أتاحت له فرصة الاتصال بالتركي من سائر الجوانب ومن هؤلاء سليمان البستاني الذي كان وزيراً للزراعة ، وكانت المكاتبات بينه وبين رفيق بك العظم متواصلة عن محادثاته في هذا الأمر ، ويصف الخطيب جماعة الاتحاد والترقي بأنهم كانوا مراوغين ، وحولوا هذه المعاني السامية إلى إرضاء البعض ببعض الوظائف وكان العرب يتمنون لو اقتنعت الدولة بحقهم في الحياة الحرة الكريمة .

ويقول الخطيب وكنا نتساءل : لماذا لا نكون مع الترك كالمجر مع النمساويين ؟ أما الانفصال فلم يخطر ببالنا قط . لا لأن العروبة لا تستحق الاستقلال فإنها أهل له أكثر من أي جنسية أخرى في الدنيا ، ولكن لأن العروبة تخلت عن صناعة الحكم دهرًا طويلًا ، فهي تحتاج إلى الوقت الكافي لتحقق هذه الصناعة مرة أخرى ، ولتسترد أخلاقها الأولى وثقتها بنفسها فإذا تم ذلك تم كل شيء بنفسه بلا عنف ولا فتنة ، ولا تعرض لمشاكل أخرى داخلية وخارجية .

ويكتب الخطيب في وثيقة أخرى لديه ، كانت الآراء متفقة ومتلاقية على أن مصلحة العالم الإسلامي والأقطار العربية ، في ملحمة الحرب العالمية الأولى هي الوقوف على الحياد ، وترك الفريقين المتنازعين على استعمار الأرض واستعباد الأمم يحطم بعضهم بعضاً (١) .

(١) أوراق الخطيب وكذلك رسالة دكتوراه ، سهيلة الرياوى : الحياة الحزبية في سوريا ١٩٠٨ ، ١٩٢٠ .

وكان الراى الغالب لدى رجال الأحزاب والجمعيات العربية سواء العربية الفتاة أو المركزية وغيرها عدم تصفية الحساب مع الدولة العثمانية فى هذه الحرب . كتب أحمد مختار بيهم أحد زعماء بيروت الاصلاحيين وعضو مؤتمر باريس العربى بتاريخ ٢٦ أكتوبر ١٩١٤ أى قبل خمسة أيام فقط من دخول الدولة العثمانية الحرب ، الغينا أحزابنا السياسية ، وتناسينا اختلافاتنا الداخلية لأن المصلحة المشتركة تقضى بذلك . وسوف يرى اخواننا الترك ولاسيما الاتحاديون من أعمالنا فى هذه الحرب ما يظهر لهم عظم اخلاصنا للعرض العثمانى ورفائنا فى خدمة الوطن المشترك . ونحن الآن على أحسن مايرام مع حزب الحكومة الذى أظهر وطنية عظيمة فى هذه الأزمة الشديدة وسنظل كذلك أن شاء الله الى الأبد (٢) .

ويرسل رشيد رضا رسائل الى من يثق بهم فى سوريا يحثهم على الولاء للحكومة ونشر فى جريدة الأهرام فى ٢٦ سبتمبر ١٩١٤ خطابا عاما نشر خلاصته فى المنار قائلا انه يثبته فيها ليكون وثيقة تاريخية بعد أن منعت الحكومة العثمانية دخول الجرائد المصرية الى مملكته وفى هذه الرسالة يشكر رشيد رضا السوريين على اخلاصهم وطاقاتهم للدولة وكفهم عن طلب الاصلاح منها وتقديرها لأحوالها الحاضرة ، حتى انكم ساهمتم فى هذا أرقى أمم الأرض التى سكنت عن جميع مطالبتها ومنازعاتها الداخلية .» (٣) .

وبدأت الأحزاب العربية تفكر فى الوضع القائم وتخطط لما تتبعه . فلدى الأستاذ الخطيب وثيقة من حزب العربية الفتاة بعنوان « تعليمات عمومية مؤقتة فيما يجب عمله اذا دخلت الدولة العثمانية الحرب الأوروبية وصارت سوريا عرضة لخطر احتلال أجنبى » . ويتضمن خطة الحزب فى هذا المجال انه يجب على كل اللجان العربية وقبل كل شئ أن تتعرف بجميع من فى البلاد من ضباط العرب

(٢) أسعد دافر ، نوبة العرب ص ١١٥ نقلا عن سليمان موسى : الحركة العربية ص ٩٨ أمين سيمد - ج ١ ص ٥٧ .
(٣) ارجع الى المنار مجلد ١٧ ج ١٢ بتاريخ ١١/١٨/١٩١٤ ص ٩٥٥ .

النظاميين والجندرمه سواء فى ذلك العاملون منهم أو المتقاعدون والمستقبلون - ومجموع طلاب المدارس العربية من أبناء العرب ، وأن تتألفهم وتأخذ عليهم العهود بالاخلاص للحركة العربية والدفاع الوطنى حتى نستوثق من أنهم أصبحوا قوة لها وللوطن وتأخذ الوسائل الكافية لاعتصام هؤلاء الضباط فى الامكنة الآمنة التى تمكنهم من عمل مايجب عليهم .

ويرى الحزب ضرورة تأليف لجنة مركزية فى احدى البلاد السورية الآمنة من الضباط والملكيين وتضع برنامجا بكيفية قيام هؤلاء الضباط بتنظيم أمورهم العسكرية لأجل الدفاع الوطنى وحفظ الأمن فى البلاد وإدارة الأحكام العرفية عند الحاجة إليها وتشكيل عصابات من البدو والنصيرية وغيرهم على حسب الحاجة التى تقدرونها والحوادث التى يحتمل حدوثها ولأجل تنظيم الحكومة المؤقتة بحيث لا تبدأ الحركة مالم ييتمن الأشخاص . وعلى كل لجنة أن تبذل منتهى السعى لتوسيع تشكيلاتها وتكثيره سواء الرجال العاملين فيها وتنظيم ماليتها ، واتخاذ كل ذى قوة فى البلاد نصيرا وأن تؤسس فروعاً أخرى فى البلاد والعصبيات والقرى التابعة للمكان الموجودة هى فيه ، وأن يكون لها مركز أساسى فى سوريا كما يكون هو الوسطة بينها وبين المركز العام .

وتضمنت توجيهات الحزب ارسال أشخاص اكفاء الى رؤساء القبائل العربية القريبة من المدن لتفهمهم خطر الموقف والاتفاق معهم على المساعدة فى الدفاع الوطنى والاستقلال عند أول نداء يوجه اليهم(٤) .

أما حزب اللامركزية فكان يرى ضرورة تجنب دخول الدولة العثمانية الحرب لأنها على حد قول رفيق العظم رئيسه : لو دخلت فى هذه الحرب كانت نهاية أجلها ولاسيما إذا تحقق النصر للاتفاق الثلاثى وأندفعت أطماع الروس وغيرهم من الحلفاء الى حل المسألة

(٤) أوراق الخطيب الخاصة بالعربية الفتاة .

الشرقية . وطلب الحزب من فروعه اجابة سريعة على عدد القوة الموجودة عنده والتي يمكن الارتكاز عليها عند الحاجة لعمل عام وماهى المساعدة المادية التى يمكن للفروع بها اسعاف المركز والاماكن الآمنة لفرد أو أكثر ممن يناط بهم ادارة الحركة الوطنية وتأمين معيشتهم وعما اذا كان لديهم امكانية ارسال شخص يثق الفرع فيه الى جهة يعينها المركز ليقضى من هذه الجهة التعليمات اللازمة واذا استحال للفرع ارسال شخص للمركز لهذا الخصوص فهل لديه الاستعداد لاستقبال موفدين من قبل المركز .

وقال الحزب فى بيانه ، علينا معاشر العرب أن نفكر من الآن فى الوسائط التى تقى استقلالنا من الزوال ومن الواجب المقدس على حزينا الذى له نوع من التشكيلات وكل أفرادها من اهل الوطنية الصادقة والغيرة على الوطن والحرص على سلامة الاستقلال أن يكون فى مقدمة المفكرين فى هذا الأمر العامل على اتخاذ الوسائط الناجحة لسلامة الوطن وحياة بنيه .

لم يكن حزب الفتاة واللامركزية هما الحزبان الوحيدان اللذان بدءا التفكير فيما ينبغى عمله فقد كان هناك بالاضافة اليهما حزب الجامعة العربية .

أسس رشيد رضا هذا الحزب فى القاهرة بعد اعلان المشروطية ونهايه الى دمشق وما حدث لهفى الجامع الاموى فيها من اعتداء عليه مما سبق ذكره . ووصف الشيخ رشيد لهذه الحادثة بأنها هتنة مدبرة لأسباب تتعلق بانتخابات المبعوثين وأن الحكومة بدأت تتدخل فى حرية الانتخابات ولذلك امتعض وجهاء البلدة من جمعية الاتحاد والترقى وانصارها(٥) . وأحس السيد رشيد رضا كما أحس رفيق العظم وغيره من رجال الحركة العربية أن حكومة الاتحاد والترقى سوف تكون على أيديهم انحلال الدولة العثمانية .

(٥) المرجع السابق وكذلك أوجع الى المنار م ١١ - ٢٠ يناير ١٩٠٩ .

وفى المقدمة التى كتبها رشيد رضا فى كتاب لآثار رفيق العظم
نكر أن هذه الجمعية السرية أسست للتأليف بين أمراء جزيرة العرب
وللتعاون والاتفاق بين الجمعيات السياسية التى أنشئت فى الولايات
العربية وفى الأستانة لمقاومة تعصب الاتحاديين وضغطهم على العرب
ولحفظ حقوق العرب فى الدولة والعمل لمستقبلهم .

ويذكر أن تأسيس هذه الجمعية كان ضروريا لأن أفة العرب
المفسدة لجميع مواهبهم الفطرية هى التفارقة والاختلاف وكان الملجأ
لها انكسار الدولة العثمانية فى حرب البلقان والخوف على البلاد
العربية أن تتخطفها الدول المستعمرة ، فرأى المؤسسون أن قوة
العرب فى جزيرتهم وأنها لا يمكن الانتفاع بها إلا بتأسيس اتحاد حلقى
يجمع بين أمرائها وكان قد سبق لها تمهيد من بعض المؤسسين ثم
وضع له النظام الذى يرجى تنفيذه . وذكر رشيد رضا أن عرض
جمعيته هى السعى لاتحاد بين أمراء جزيرة العرب فى شكل حلف
بينهم والتعاون على عمران البلاد والدفاع عنها والتعاون بين
الجمعيات العربية فى سوريا والعراق وغيرهما .

مهمة الخطيب :

حين أعلنت الحرب وقبل دخولها الدولة العثمانية أخذت وزارة
الخارجية البريطانية تجمع المعلومات عن موقف العرب ومشايخهم
فى الجزيرة العربية .

وفى الوثائق البريطانية تقرير يعث به شيتام (القائم بأعمال
المعتمد البريطانى) فى ٧ سبتمبر ١٩١٤ عن الحالة فى الجزيرة
العربية بناء على معلومات تجمعت لدى مكتب المخابرات ووصل
التقرير لندن فى ٢١ سبتمبر .

يبدأ التقرير بالمصاعب التى لاقتها الحكومة العثمانية فى
السنين الأخيرة فى تهدئة الحالة فى الجزيرة العربية ونتيجة لذلك
فقد ظلت السلطة (التركية) تتدهور تدريجا فى ذلك الاقاليم . وقد
ظهرت بوادر نشير الى اتجاه واضح نحو التكتل من جانب كبار

عوائل العرب أمثال ابن السعود حاكم نجد والادريس حاكم عسير وشريف مكة ومن المحتمل أيضا أن يتجه ابن الرشيد في هذا الاتجاه. وهدف الجميع التخلص من السلطة التركية والعمل لأن تكون بلاد العرب للعرب . وهناك ما يشير إلى أن سمو الخديوى في مصر يقوى إلى حد بعيد هذا الاتجاه ويبدل المال ويرسل الرسل وهو يرمى في النهاية للجلوس على كرسي الخلافة في حالة طرد الأتراك من الجزيرة العربية .

ويوضح التقرير الذى بعث به شيتام إلى أنه قبل اعلان الحرب الأوروبية ومنذ اعلانها بذلت الحكومة (التركية) مجهودات ضخمة لتصل إلى تفاهم مع مشايخ العرب الرئيسيين لتضمن حيادهم الذى يميل إلى أن يكون حيدا دائما يميل نحوهم أن لم يكن معينا لهم . والاحتمال كبير في انجاح مجهوداتهم كما يبدو على كل حال فانه قد وضع تماما أن شريف مكة اتخذ موقفه الواضح مع تركيا ليكون هذا الالتقاء كما يبدو جزءا من حركة الرابطة الاسلامية العامة التي ترسم خططها استانبول ويبدو أن ثالثا يتكون من عبد العزيز (شاويش) وسليمان البارونى وشكيب أرسلان (درزى) يكون المحرك الرئيسى لهذا الاتجاه الاسلامى ، وليس هناك من شك في أن رسلا قد بعثوا لا للجزيرة العربية وحدها بل أيضا للهند ومصر وطرابلس وإلى جميع الاقطار الاسلامية لبث الدعاية وانشاء جامعة في المدينة وتلك أيضا حقيقة تستحق الملاحظة . وقد ظل الضباط الأتراك يتوافدون بأعداد متزايدة من استنبول إلى موانئ الجزيرة العربية على البحر الأحمر وتدل التقارير على أن عدد الجنود الأتراك ارتفع في حامية مكة إلى ستة عشر ألفا (٦) .

تبدو أهمية هذه الوثيقة من أوراق وزارة الخارجية البريطانية إلى أن لديها معلومات عن تحرك اسلامى من جانب الحكومة العثمانية منذ أعلنت الحرب العالمية الأولى وأن القائمين على هذه

(٦) نقلا عن مكى شبكة : العرب والسياسة البريطانية في الحرب

العالمية الأولى ص ٢٠ .

الحركة شكيب أرسلان وعبد العزيز جاويز وسليمان البارودي .
وتقول الوثيقة أيضا ان شريف مكة أخذ موقف الانحياز لتركيا . وهذا
ما يدفع بعض الباحثين الى القول ان ذلك كان السبب الذي جعل
كتشنر يرسل بعد ثلاث أيام من وصول التقرير الى لندن (١٢ يوم
٢٤ سبتمبر) تعليماته الى ستورز ان يختار رسولا يرسل بطريقة
سرية الى الأمير عبد الله يسأله اذا أجبر النفوذ الألماني المسلح في
استنبول الخليفة ضد ارادته وارادة الباب العالي للقيام بأعمال
عدائية وحرب ضد بريطانيا ، فماذا يكون موقفه ووالده وعرب
الحجاز ؟ مع بريطانيا أم ضدها وهو ما قام به ستورز (٧) حيث جاءه
رد من عبد الله في آخر اكتوبر أبرق به شيتام في نفس اليوم (٣١
أكتوبر) ١٩١٤ ويقول شيتام ان الرسالة حذرة ولكنها ودية ومشجعة
فهو (الشريف) يرغب في علاقة قوية مع بريطانيا ولكنه يتوقع
وينتظر وعدا كتابيا منها بعدم التدخل في شؤون جزيرة العرب
الداخلية وفي حماية الأمير من اعتداءات خارجية أجنبية وعثمانية .
والشريف نفسه (كما تقول البرقية) في محادثة سرية مع الرسول
عبر عن نفسه بحرية ووضوح قائلاً مدوا اليها يد المساعدة ونحن من
جانبنا لا نعين بتاتا هؤلاء المعتدين .

أوردت هذه الوثائق البريطانية لأوضح أنني وجدت من بين
وثائق محب الدين الخطيب وثيقة صادرة من المركز العام للجامعة
وموقعة باسم رشيد رضا الذي كان الاسم المستعار له (الناموس)
يصف شكيب أرسلان بالدرزي وعبد العزيز شاويش بالمنافق الذي
كان يجاهر بعداوة العرب قبل ان يذهب الى الأستانة ويكون آلة
للاتحاديين .

تبدأ المذكرة الصادرة من المركز العام للجامعة العربية
فتوضح :

ان إنجلترا وروسيا وفرنسا تجتهد في اسقاط الدولة العثمانية
وازالة استقلالها وهذا مما كان يخشاه كل مسلم لأنها كل الرجاء
للحكم الاسلامي .

ثم تقول الوثيقة : علمنا عن ثقة أن إنجلترا اقنعت حلفاءها بعدم التعدي على بلاد العرب الا بقدر الضرورة القاضية بمقاومة الترك المحاربين وتعترف مع حلفائها باستقلالهم وإذا هم أعلنوه من تلقاء أنفسهم وحينئذ تحمي جميع سواحلهم من كل من يتعدى عليها من الترك وغيرهم وإذا طلبوا من يد مساعدة من الخارج تساعدهم بقدر ما يقتضيه الحال وتراء معقولا ممكنا ولا تطلب أن يكون لها في بلادهم رأى ولا قوة عسكرية ولا غير عسكرية وإذا تعرضت الآن لبعض السواحل العربية فغرضها اخراج الترك منها فإذا أقنعتها العرب انهم هم الذين يتولون الملك فيها والدفاع عنها فأنها تتركها في الحال وهي لا تطلب منهم أن يساعدها على حرب ولا غير .

وتمضى المذكورة لتوضح ان غرض إنجلترا من هذه السياسة الجديدة مع العرب اقناع منسمى الهند بانهم حماة الاسلام والسلطة الاسلامية المستقلة وتكثير أصدقائها من المسلمين بدلا من تكثير اعدائها وكانت تكفي من هذا معنى بصدقة الترك والدفاع عنهم فمادام الترك القليلو العدد صاروا حربا لها ولحلفائها واضطرت للقضاء عليهم اذا قدرت صار من المتعين أن تساعد العرب بدلا منهم ان لا يصلح غيرهم للاستقلال الاسلامي وحماية المعاهد المقدسة والقيام بالخلافة وهم يعلمون بحق أن مسلمي الهند وغيرهم اذا ينسوا من السلطة الاسلامية المستتلة وحماية الجزيرة بقوة اسلامية محصنة فانه لا يؤمن انضمامهم على إنجلترا وغيرها من الدول المستعمرة لبلادهم . وقد صرح غير واحد من الانجليز بهذا الاعتقاد وإذا كانوا يرون أنهم كانوا ينتفعون بصدقة الترك في الهند في منتهى قوتهم وأمنهم فكيف لا يرون هذا في العرب الآن .

ويرى المركز العام للجامعة العربية ان العرب قد سنحت لهم الآن أفضل فرصة لهم شعئهم وجمع كلمتهم اذا هم اغتصموا واعطوها حقها من الوحدة والاستعداد تكون هذه الحرب الكبرى من حسن حظهم وحظ الاسلام بل تكون من عناية الله تعالى بدينه وحرمة وقوم رسول عليه الصلاة والسلام وسائر المسلمين فيجب على جميع زعمائهم في الجزيرة العربية وغيرها أن يتحدوا ويقووا أنفسهم فان

سقطت حكومة الترك لا قدر الله يكون للاسلام دولة كبيرة مستقلة بخبرتها وان بقوا وظفروا. يكون بعضهم لبعض كالبنيان يشد بعضه كما يقتضى الحق والعدل من غير أن يكون التركى سيد العربى والعربى مسودا مقهورا ومن لم يرض بذلك يكون خارجا عن هدى الاسلام والحق والعدل فيقيم ويحشى فى وجهه التراب .

وفى وثيقة حزب المركز العام للجامعة العربية اذا فرضا أن الانجليز مخادعون فيما يقولون الآن أو فرضنا أن الله لم يسخرهم غيرة على دينه وحرمة وأنهم لم يقولوا اننا نساعدهم العرب ونحميهم من الخارج من غير أن يكون لنا دخل فى شئونهم أليس الواجب علينا حينئذ أن نكون أشد اجتهادا فى جمع كلمتنا والاستعداد للدفاع عن أنفسنا وحرمانا وسائر بلادنا ؟ بلى وقد نشرت الجامعة العربية من زهاء أربع سنوات دعوة الى وحدة العرب أثبتت فيها ذلك .

ثم تقول ليس من قواعد جمعية الجامعة العربية عداوة الترك ولا العدوان عليهم بل هى تسمى دائما للاتفاق معهم ما أمكن الاتفاق وانما غرضها أن تكون البلاد العربية عامرة آمنة والأمة العربية عاملة عزيزة قوية تقدر أن تحمى نفسها ولا تكون عالة على الترك متكلّة على حمايتهم ويؤيد ذلك الحال الحاضرة فاذا فرضنا أن انجلترا أو ايطاليا أرادت الاستيلاء على سواحل اليمن أو عسير ثم التوغل فى داخليتها فماذا يقدر الترك أن يعملوه للدفاع ؟

فهذه نيتنا الصالحة مع انه نم يثبت لنا أن الترك يريدون بنا خيرا الى اليوم .

قد قام أنور باشا ناظر الحربية العثمانية أخيرا بدعوة دينية وقد ثبت لدى الجامعة العربية أن الغرض من ذلك سياسى لا دينى وأنه كان باغراء دولة ألمانيا وأن من أغراضهم تية خداع العرب حتى لا يعملوا لأنفسهم شيئا ولأجل أن يسهل على أنور باشا استخدام كل ما لديهم من الرجال والمال عند الحاجة اليها فى مثل هذه الحرب ومن الدلائل الكثيرة على هذا أنه لم يعتمد فى بث هذه الدعوة الدينية على أحد من المؤمنين الصادقين والعرب المخلصين وانما اعتمد على

مثل شكيب أرسلان (الدرزي) وعبد العزيز شاويش المتفق الذي كان يجاهر بعبادة العرب قبل أن يذهب الى الأستانة ويكون آلة للاتحاديين ومع ذلك بقيت الجامعة العربية مخصصة للأمة التركية وللدولة العثمانية مع سعيها لغرضها الأساسي من وحدة العرب وترقيتهم .

ثم يقول المركز العام للجامعة العربية انه بلغه قبل هذه الحرب أن الاتحاديين في الأستانة اتفقوا مع دولة المانيا على جعل البلاد التركية دولة مدنية على النسق الأفرنجي في كل شيء ، تابعة للاتحاد الجرمانى وأن تكون البلاد العربية التي لا تترك لغتها وستتترك مستعمرات تابعة للدولة التركية والا يكون فيها قوة عسكرية منها بل تكون مجردة من السلاح . وأن يحاشى أمراء الجزيرة الأقوياء كالإمام يحيى والأمير بن مسعود مؤقنا إلى أن يتم استعداد الدولة البرى والبحرى وتتمكن من معاملة العرب بالقوة وأن يقنعوهم بأنهم يماشونهم ويصالحونهم لأجل الدين والمصلحة العامة المشتركة ولما عزموا على الحرب هم والألمان صار لهم من بث الدعوة الاسلامية فى العرب مصلحة أخرى وهى استخدامهم كما تقدم - ومع هذا كله لم تحمل الجامعة العربية عملا ولم تقل كلمة ضد الترك والدولة لأن مقصدها خدمة العرب لا عبادة الترك ومضادتهم .

ويرى حزب الجامعة العربية فى دولة المانيا انها أصحاب اثره وطمع تستخدم غيرها بقدر حاجتها اليه ولا يرجى أن ينتفع منها أحد ولذلك كان من شروطها فى سكة حديد بغداد أن يكون جانب الخط ملكا لها الى مسافة عشرين كيلومترا حتى لا ينتفع منه أهل البلاد نفعا يذكر فاذا انتصر الالمانيون وصار الترك والعرب عبيدا لهم وانما ساعدوا الدولة العلية فى هذه الأيام لتحارب معهم فهو مساعدة لأنفسهم وهم يدعون صحبة الدولة منذ ربع قرن ولم ينفعوها بشيء بل ساعدوا ايطاليا على امتلاك مملكة عربية كانت تابعة لها والنصة على امتلاك البونسة والهرسك .

ثم ينهى الحزب زعماء العرب فى الجزيرة وفى كل مكان أن يفتنوا الفرصة الحاضرة التي اشتعلت فيها جميع الدول الكبرى

بأنفسها ويلموا شعثهم ويعاهد بعضهم بعضا على الوحدة والتعاون والاستعداد احفظ سلطنة الاسلام من الزوال على حسب القواعد التي وضعها جمعية الجامعة العربية وبثها فى جميع البلاد . .
 وفضلهم من يبدأ بعد يده لمصافحة غيره ومعهده على ذلك .

ويوضح أنه من راعه من أمراء الجزيرة تعدى الانجليز فى هذه الأيام على شىء من سواحل البلاد العربية وخاف عاقبة ذلك فعليه أن يجتهد فى اخراج من فى الميناء المعتدى عليه من الترك ووضع بعض العمال من العرب مكانهم وتبليغ القائد الانجليزى فى البر أو البحر أن البلد فى يد العرب وبلغنا أنكم تعهدتم بعدم الاعتداء علينا فالمرجو أن تتركونا وشأننا ، حتى اذ كانوا لم يحتلوا البلد فان كانوا احتلوه فعلا فيكون التبليغ من الحاكم العربى القريب منه نحو هذا .
 وبهذا يعرف صدق الانجليز فى وعدهم أو عدمه والمرجو تبليغ المركز العام للجامعة ما يحصل من ذلك .

ثم ينتهى البيان الى القول أنه من قبل اعطاء عهد عليه وميثاق على قبول ما بلغته اياه الجامعة العربية من مقاصدها فليبلغها ذلك ويطلب منها ما يحتاج اليه من المساعدة لتجتهد فى القيام به بمشيئة الله تعالى .

والمنذرة موقعة من رشيد رضا باسم الناموس .

من دراسة هذه الوثيقة يتضح أن الجامعة العربية (٨) بدأت تحركا عربيا القصد منه التصدى لما حملته الوثائق البريطانية من أخبار الى وزارة الخارجية البريطانية أن هناك تحركا من جانب الدولة يقوده شكيب أرسلان وعبد العزيز جاويش وغيرهما . وتنبه الوثيقة السابقة امراء لجزيرة وخاصة ابن السعود والامام يحيى أن الدولة العثمانية ستتجاهلهم بصفة مؤقتة حتى تستطيع الأفراد

(٨) يذكر أمين سعيد ص ٢٩ ج ١ فى كتابه الثورة العربية ان حزب الامركزية هو الذى أرسل الخطيب ، وهذا خطأ ، فالخطيب سافر مندوبا عن الجامعة العربية .

بهم بعد ذلك وتَحمل الوثيقة على سياسة المانيا واطماعها فى البلاد العربية وتدعو الى انتهاز فرصة الحرب التى شغلت بها الدول الكبرى فبتم اتحادهم وتعاونهم وان كانت لم تبين شكل هذا الاتحاد والتعاون وان كان يتضح من الوثيقة أنه اتحاد على نحو ما نبهت اليه الجامعة العربية منذ أربع سنوات أى كما نص عليه ميثاق هذه الجمعية وهو اتحاد فى شكل تحالف بين مشايخ وأمراء الجزيرة • والواضح أن هذا الاتحاد الذى دعت اليه الوثيقة هو اتحاد يخدم فى النهاية المصالح البريطانية وان لم ينص على ذلك صراحة لكنه منها أن هناك وعدا أعطى من قبل الانجليز لهذه الجمعية بدليل ما جاء فيها من تعليمات أن من تقع بلده فى يد الانجليز أن يسارع الى ابلاغ القائد الانجليزى فى البر والبحر أنكم تعهدتم بعدم الاعتداء علينا • وبهذا يعرف صدق الانجليز من عدمه •

تلك اذا كانت المهمة التى كلف بها الخطيب من قبل جمعية الجامعة العربية وقد رجعت فى دراسة هذه المهمة الى ماكتبه الخطيب بخط يده عن مذكراته عن هذه المهمة والمدة التى قضاها فى السجن والى يجدها القارئ فى ملاحق البحث • كذلك رجعت الى رسائل رشيد رضا اليه والمذكرات التى قدمها رشيد رضا للسلطات البريطانية فى مصر والالتماسات التى قدمها الخطيب ورفيقه الى السير برس كركس وقمت بالاضافة الى ذلك بالرجوع الى الوثائق البريطانية التى اشارت الى هذا الحادث وما يخرج به الباحث منه • وقبل مناقشة الوثائق البريطانية ينبغى توضيح أن الخطيب ذكر فى أوراقه انه بينما كانت جمعية الجامعة العربية تفكر فى مهمته كانت العربية الفتاة ترى هذا الرأى أيضا • كانت الظروف توحى الى العربية الفتاة انه بعد اعلان الدولة العثمانية النفير العام وكانوا يسمونه (سفربرلك) ينبغى أن يتم التشاور مع الزعماء العرب فى موقفهم من اعلان الدولة العثمانية للحرب لأن الأمر اكبر من أن يتفرد به المثقفون والشباب بل اكبر من أن تتفرد به سوريا ، « وبينما كانت جمعية السيد رشيد ورفيق بك تدبر معى أمر قيامى برحلة الى ابن سعود لبيسط هذه المسائل معه واخذ رايه فيما يراه من خطة صالحة للقومية العربية كلها ، لأنه كان من مهمتى أن اصل الى البصرة

ايضا للاجتماع مع السيد طالب النقيب الذي كان على اتصال دائم بالمراسلة مع حزب اللامركزية لاتفاوض معه شفاها فيما نحن مهتمون به . وكان من مقتضى هذا التدبير انه بعد سفرى الى ابن سعود سيسافر غيرى الى الامام يحيى وثالث الى الشريف حسين ورابع الى الادريس فى عسير لتجميع آراء جميع زعماء العرب ونرسم خطة يوافق عليها الجميع - بينما كنا فى هذا ونحن فى مصر كانت العربية الفتاة ترى هذا الرأى أيضا وترى أن يكون عن طريق جماعة مصر بواسطتى ، وكنت أنا الى يوم سفرى من مصر لا أعلم أن العربية الفتاة تشاركنا فى ذلك . وبعد سفرى بأسابيع استطاعوا فى بيروت ان يرسلوا الشيخ كامل القصاب الى مصر بجواز سفر لرجل من طرابلس الغرب حداث لأن اعلان النفير العام فى الدولة العثمانية منع سفر العثمانيين جميعا ، فلجأت العربية الفتاة الى هذه الطريقة لسفر الشيخ كامل على باخرة ايطالية كانت ايطاليا لاتزال على الحياد . وكان سفر الشيخ كامل من مظاهر شجاعته لأنه أقدم على مخاطرة لا يعرف أهميتها الا من يعزف حال الدولة العثمانية فى ذلك الحين .

وللأسف وصل الشيخ كامل بعد سفرى بمدة فاحتار كيف ينفذ رسالته لأنه مأمور بتنفيذها بواسطتى . ومع ذلك اضطر الى الاجتماع برفيق بك والسيد رشيد ومنهما على ائى سافرت لنفس الامر الذى جاء من أجله .

فى الوثائق البريطانية نجد أن شيتام أرسل فى ٢٦ أكتوبر ١٩١٤ الى وزارة الخارجية البريطانية برقية يقول فيها . . سبق أن تلقت دائرة المخابرات استيضاحات من مسئولين فى جماعة الحركة العربية ممن يقيمون فى القاهرة ، حول الموقف الذى ستتخذه الحكومة البريطانية اذا ما أعلن الأتراك الحرب ، وقد أعطيناهم جوابا حسب منطق برقيتكم . لقد أرسلوا مندوبين يعتمد عليهم واخبروهم بانفسهم الى الجزيرة العربية وفلسطين لكى يبلغوا الرسالة شفويا الى الزعماء العرب فى تلك الاقطار ووضعت تحت تصرف قادة الحركة مبالغ ضخمة وزيادة على ذلك بعث المشهورون من عرب مصر برسائل الى أصدقائهم أصحاب النفوذ فى الاقطار المذكورة يحثونهم

فيها على بذلك أقصى مجهود لاقناعهم بالتخلي عن الأتراك لمصلحتهم الخاصة • ويقول شيتام ان هؤلاء الزعماء في القاهرة لا يتوقعون من بريطانيا في الوقت الحاضر أكثر من موقف كريم نحو طموحهم للحكم الذاتي وتأكيدات للعون الأدبي عندما يحسن الوقت لتنفيذ خططهم • ولكن بدون شك في حالة الحرب اذا طلب منهم أكثر من المقاومة السلبية يجب امدادهم بالأسلحة والذخيرة مثلما أيد الطليان الادريس أثناء الحرب الإيطالية التركية •

والحاقا ببرقيته السابقة بعث شيتام بعد ذلك بيومين (١٩) في ٢٨ أكتوبر) يقول فيها ان زعماء القومية العربية في القاهرة بعثوا بمندوبيهم للجهات كما يلي : الى بيروت ومنها الى دمشق وحلب وحمص ومنطقة حوران وإلى الخليج ومنها الى العراق وابن السعود وإلى جدة ومنها مكة والحجاز عموما وأيضا لجنوب وشرق فلسطين وفي النية ارسال مبعوثين للامام يحيى والادريس بعد مضي بعض الوقت ولكنه من الصعوبة العثور على الرجال المناسبين لهذه المهمة • وقد أبحر الموكول اليهم المهمة للخليج في يوم ٢٦ أكتوبر على باخرة إيطالية من السويس الى بومباي ومن هناك الى الكويت • وعليه فيجب اخطار حكومة الهند بذلك وهما محب الدين الخطيب وعبدالعزیز العتيقي • رجاء تسهيل السلطات في بومباي لمهمتهم وفي الكويت يتصلان بالمقيم البريطاني ويعملان سويا معه (*) •

وفي الوثائق الجيدة لدى الأستاذ الخطيب وجدت بطاقة اعتماد من الجمعية مكتوب فيها : حامل هذه الرقعة الأخ محب الدين الخطيب معتمد من جمعية الجامعة العربية في العراق وشرقي الجزيرة العربية للدعوة الى مقاصدها وابلاغ دعوتها لأهلها والمستعدين لها والتوقيع الاسم الرمزي لرشيد رضا (الناموس) •

ثم رجعت الى مراسلاته منذ بدأ مهمته الى صديقه وشريكه عبد الفتاح قتلان في مكتبته في القاهرة مع رشيد رضا والمعروفة

باسم مكتبة المنار • فهو يكتب له من لحج يذكر أخبار ورحلته أولاً بأول •

ويطلب الخطيب في رسالة لصديقه التي أرسلها من لحج أن يرفع له قضية ضد صحيفة المؤيد مطالباً بالتأخر من مستحقاته طرف هذه الصحيفة •

من المقطوع به أن الخطيب ورفيقه سافرا باذن من السلطات الانجليزية لتيسير المهمة يتضح هذا من وثيقة قدمت للمسير هنري مكماهون باللغة الفرنسية تقول الوثيقة ونصها بالكامل عند الأستاذ الخطيب :

Son Excellence Sir Henry McMahon
Haut Commissaire de Sa Majesté
Britannique
en Egypt
En ville

Excellence,

Me prevelant de la symmathie que le gouvernement de sa Majesté Britennique tenoigne aux elements non tures de l'empire ottomen, je me parmette de vous soumettre ce que suit :

Al'issue des declerations que S. Ex Sir Edward Grey a faites en faveur des arabes vers le mois de Novembre 1914, Muheib Eddine Effendi, fut chargé d'une amission speciale en Arabie a une partie de Mesopotamie au vu de quelques miliaux officie's britanniques au Caire et au Soudan. Il s'embarque donc muni d'un sauf conduit signé par le commandant en chef des forces britanniques en Egypt.

فتوضح مقدمة الوثيقة التي قدمت للسير هنرى مكماهون فى القاهرة بالتماس التدخّل للإفراج عن الخطيب انه أوفد فى مهمة خاصة لمقابلة موظفين بريطانيين سياسيين وأن سفره بتصريح من القائد العام للقوات البريطانية فى مصر .

يؤيد هذا القول ما جاء فى مذكرة الخطيب عن مدة سفره واعتقاله والإفراج عنه والتي أرفقت بملاحق هذا البحث أنه لم يكن يعلم شيئاً عند سفره عن وقوع الحرب بين الحلفاء والدولة العثمانية . فلما وصل الى بومباى صباح يوم السبت ٧ نوفمبر « علمنا أن الحلفاء قطعت بين تركيا وروسيا وكذا بين الحلفاء جميعاً . في الرغم من تشدّد البوليس على قبة الدول الأخرى من ركاب باخرتنا فقد وجدنا منه مساعدة وإكراماً . ورأيناه يعرف اسمى واسم رفيقى قبل أن نعرفه نحن له ، فاستتبطننا من ذلك أن حكومة بومباى تلقت من مصر تلغرافاً يتضمن التوصية بحسن معاملتنا .

وفى يوم الثلاثاء ١٠ نوفمبر دعينا الى دائرة رسمية عالية فى بومباى فقابلنا رئيسها وكان بين يديه أوراق (دوسيه) تتعلق بى ورفيقي فكان يقرأها ويوجه إلينا بعض الأسئلة عن سفرنا والمكان الذى نقصده . وبعد خروجنا من هناك جاءنا البوليس بورقتين رسميتين مضمونهما التعريف بأسمائنا ومحل إقامتنا والأذن لنا بالإقامة فى بومباى لأن ذلك لا يكون بغير إذن رسمى فى هذه الأيام « (١٠) » .

ومن بومباى كتب الخطيب رسالة الى صديقه يصف له المدينة وأنها رغم حداثة عمرها فإن الذى يطوفها يعتقد أنها أعظم من القاهرة ويشكو له عدم معرفته اللغتين الهندية والانجليزية « ولو أنى أعرف لسانهم بل لو أنى أستطيع البيان والتبين بالانجليزية لاستأنست بها أكثر مما حصل لى ولأمكننى التوسع بعرفة الأخبار من الصحف التى تصدر هنا .

(١٠) وثائق خطية لدى الخطيب .

وصاحبنا الشيخ عبد العزيز العتيقي استطاع أن يكون ترجمانا
لى بخمسة عشر كلمة هندية تعلمها فى سفرته الماضية وسفرتة
الحاضر ٠٠ (١١) .

ومن بومباى ركب الخطيب الى بوشهر مارا بالكويت ، ولما
رست الباخرة فى ميناء بوشهر خرج اليها من ذلك الثغر بوليس
انجليزى كان اول عمله أنه جاءنا وطلب الاطلاع على جواز
(باسپورت) كل واحد منا ، فأطلعنا عليهما وعلى الورقتين
الرسميتين اللتين أخذناهما من حكومة بومباى فأظهر رغبته فى
الاطلاع على صناديقنا وأمتعتنا ، وبعد التفتيش الدقيق بمساعدة
بوليس سرى أفغانى يعرف اللغة العربية مع أن البوليس الانكليزى
أيضا يقرأ ويفهم هذه اللغة - لم يجد عندى شيئا من الأوراق يستحسن
أخذه الا شهادة من جناب المستر ريتشارد سن فيس قنصل انكلترا
فى الحديدة وقمران فى اليمن اعطانى اياها بعد استقالتي من وظيفة
ترجمان التى كنت موظفا فيها عنده من سنة ١٩٠٧ - الى أواخر
سنة ١٩٠٨ . وكنت أظن أن البوليس سيعبدل عن تشديده علينا بعد
اطلاعه على هذه الشهادة والجوازين التى فى أيدينا ، ولكن الأمر
جاء بعكس ما ظننت فانه دعا أربعة من الجنود الهندية كانوا مسلحين
٠٠ كأنهم مهياون من قبل لأن يجعلوا معنا ومنذ تلك الساعة صرنا
ممنوعين من الذهاب الى الكويت التى أجز لنا من قبل المسافر
اليها (١٢) ٠٠

نقل الخطيب بعدها الى المحمرة على الباخرة (مجيدية) من
بواخر شط العرب ودجلة وكانت غاصة بالعساكر الهند ٠ وفى
صباح يوم الجمعة ٢٧ نوفمبر نزل البصرة حيث أخذته الجنود
الانجليزية الى مكتب الماجور براونلو حاكم البصرة العسكرى
« حيث يوجد عدد من كبار رجال الحملة وبعض موظفى القنصلية
السياسيين فسألونا أسئلة كثيرة عن المكان القادمين منه والمكان

(١١) رسالة من الخطيب الى عبد الفتاح قتلان مخطوطة .

(١٢) مخطوط للخطيب « الجيل الذى عاصر بعث المروية » .

الذاهبين اليه وعن سبب سفرنا والمهنة التي نحن نشتغل بها فكنا نجيبهم بالصدق والصراحة ٠٠ وانى تاجر كتب فى القاهرة ومحرر فى جريدة المؤيد ٠٠ وطلبنا منهم أن ياذنوا لنا بارسال تلغراف الى معارفنا فى مصر وأن ذلك مفيد فى سرعة مجيء خبر رسمى الى الحكومة الانكليزية فى البصرة بأننا معروفون لدى الحكومة المصرية ورجال الدولة البريطانية هناك غرقض طلبنا ٠٠» (١٣) ٠

وأودع الخطيب مع رفيقه سجن العشار ٠ وفى وثائق له يصف سوء المعاملة فى السجن ٠ ويحتفظ محب الدين الخطيب برسائل أرسلت اليه من رشيد رضا فى هذه الفترة يخاطبه فيها باسم « ولدنا العزيز » ويبدى رشيد رضا قلقه لعدم وصول رسائل من الخطيب ٠

ويخشى رشيد رضا أن تكون المكتوبات التى أرسلها الى الخطيب قد ضاعت وأهمها فى نظره اثنان صورة المذكرة التى تبينون على قواعدها دعوتكم انتم ورفيقكم الذى فيه ورقة الاعتماد المختومة (١٤) ٠

كما أرسل له رشيد رضا تفويضا بتحصيل اشتراكات المنار فى الهند وعمان والكويت والعراق « ويقول للمشاركين « فالمرجو اعتماده ودفع المطلوب منكم له وما عهدنا اليه بذلك مع ثقتنا الدائمة بأنكم ترسلون ما عليكم من تلقاء انفسكم الا لتعذر الارسال بواسطة المصارف (البنوك) والبريد (البوسطة) فى مدة هذه الحرب التى يخشى أن يطول أجلها المزعوم مع شدة الحاجة التى ألجأتنا الى تأخير أجزاء المجلة بحيث عزمنا على توزيع أجزاء السنة فى سنتين (مع حساباتها سنة واحدة) ٠٠ وقد اشتد غلاء الورق وقل جوده وعمال المطبعة يأخذون أجورهم كل اسبوع ٠٠٠ »

ويحتفظ الخطيب فى وثائقه بالتماسات قدمها الى السلطات البريطانية فى البصرة للافراج عنه ووضح فيها أن رشيد رضا طلب

(١٣) المرجع السابق ٠

(١٤) مخطوط لدى الخطيب ٠

منه أن يسافر الى جهات العراق ونجد لمقابلة زعمائها وابلأغهم عن لسان جمعية الجامعة العربية « أن ممثليها في مصر علموا علما أكيدا من رجال حكومة جلالة الملك الذي في القطر المنصري أن دولة بريطانيا العظمى عزمت عزمها نهائيا على مؤازرة العرب فيما يطلبون من تحسين أحوالهم وجمع شملهم وخلصهم من الادارة التركية المرتبكة التي يديرها موظفون في بلاد العرب موظفون ليس لمصلحة البلاد الحقيقية أهمية عندهم وأن علينا نحن العرب أن لا نخذع بأضاليل الألمان والمنضمين اليهم وأن نقابل بالجميل كل من يفعل جميلا معنا ٠٠ ويذكر الخطيب في التماس آخر أن استمرار سجنه سينتج عنه استغناء جريدة المؤيد عنه ٠ وتوالت التماسات الخطيب ففي ٢٥ ديسمبر (قدمنا عريضة أخرى ذكرنا فيها ما هو مشهور عن عدل الحكومة الانكليزية وأننا بريئون من كل عمل يخالف قوانينها وسياساتها ورجا أن يسمح له بمقابلة حاكم البصرة ٠ »

خلال ذلك تتابعت رسائل رشيد رضا الى الخطيب ورفيقه وكانت ترسل الى شخص قريب للعتيقي في الكويت وقد وصلت كلها مفتوحة ومختوم عليها « فتحت بمعرفة الرقيب » ومعظمها كما يقول صديقهما في رسالة لهما أخذ خمسة وخمسين يوما من القاهرة الى الكويت ٠

أبلغهما رشيد رضا أن مندوب الجامعة سافر الى اليمن وآخر الى عسير ومعهما مذكرة أرسلت لهما صورتها وجاء فيها ٠٠ لو كان يوجد من الترك في المواقع والموانئ على السواحل العربية منصفين وبلغهم أن الانكليز يقولون انهم لا يريدون الاستيلاء على شيء من بلاد العرب وانما يريدون طردهم منها وتركها لأهلها من العرب لبادروا في كل موقع يرون أنفسهم فيه ضعفاء الى تسليمه لأهل الوطن من العرب ورضوا بأن تنجو البلاد من الاحتلال الأجنبي بتولى أهلها ادارتها الملكية والعسكرية ولكن قلما يوجد منهم من يرجى فيه مثل هذا الانصاف ٠

وأما العرب فإن لديهم الآن ما يجربون به صدق وعد الإنكليز بعدم الطمع في بلادهم وبالإعتناء بهم بالاستقلال فيها إذا تولوا شئونها دون الترك وذلك بأن يقرعوا بهذا الأمر حيث يتيسر لهم ويطلبون من الإنكليز ترك ما احتلوا من ثغورهم إذا أجابوا الطلب انقطعت أعداؤهم وعلموا أنهم أسعد الناس حظا في هذه الحروب الذي كان شقاؤها يعم العالم . هذا وأن سواحل سوريا لم يذن منها أسطول انجليزى ولا فرنسى ونصارى السوريين ناسعون لاقتناع معتمد فرنسا والإنكليز بوجود احتلال تلك السواحل ولكن سعينا لعدم التعدى على بلادنا لا يزال هو الناجح والرسائل موقعة باسم (الناموس) وهو الاسم الرمضى لرشد رضا .

وبعد خمسين يوما من بقاء الخطيب في السجن دعاه الكولونيل سير برسى كوكس وأخبره أنه سيرسل تلغراف الى مصر ولكن مضت شهور دون طائل فجدد الخطيب شكواه . وفى شهر مايو زار حاكم الزبير السير برسى كوكس وعرض عليه أن يضمن عبد العزيز العتيقى إذا كان خلاصه من السجن متوقفا على ضمانه فاجابه أن وقت خروجه لم يحن بعد - وفى صباح ٢٣ يونيو استدعى برسى كوكس الخطيب وأخبره أن الرد على برقيته جاءت مع البريد ولم تأت بالبرق وأنه وصل مؤدنا بالعودة الى مصر . فطلب العتيقى عدم الذهاب الى مصر لأنه لا شغل له فيها بل هو يرغب فى الإقامة عند والده فى الزبير (البصرة) فأخبره كوكس أنه سيظل بالسجن الى أن تجرى مخابرة جديدة مع مصر بشأنه « لأن الأذن جاء من مصر بخروجكما من السجن لعودا الى مصر » . وسافرا الخطيب مساء يوم ٢٧ يونيو بينما بقى رفيقه فى السجن فوصلها فى ١٥ يوليو ١٩١٥ .

يحتفظ الخطيب بالشهادة التى أعطيت له من سير برسى كوكس بتاريخ ٢٧ يونيو وجاء فيها أن حامل هذه الشهادة مسموح له أن يذهب من البصرة الى القاهرة ليقدم نفسه للسلطات البريطانية على ثقة الحكومة (١٥) .

(١٥) نصتها طرف الاستاذ الخطيب .

وفى ١٦ فبراير أبرق نائب الملك فى الهند الى مكماهون البرقية التالية :

برقيتكم المؤرخة ٩ فبراير بشأن عبد العزيز العتيقى ومحب الدين الخطيب أبلغنى كوكس أن الشخصين المذكورين معتقلان فى البصرة . . . لقد أعتقلهما ضابط المخابرات العسكرية فى بوشهر لأن أجوبيتهما على الأسئلة التى وجهت لهما لم تكن مرضية وذلك المراسلات والمنشورات التى كانت معهما أنهما كانا على اتصال مع السيد طالب النقيب الذى كان موقفه آنذاك محاظا بالشكوك . وكانت هناك أيضا ائتمارات تبعث على الاشتباه بأنهما كانا على علاقة بالمرسل الأتراك الذين اعتقلوا فى كراتشى . لقد تمت دراسة المراسلات المذكورة ، بمزيد من العناية وتبين أنها تنحى اسلاميا أكثر مما تنحى عربيا وهى ضد المسيحية ويرى كوكس أنه من غير المستحسن اطلاق سراح الشخصين فى البصرة ولكن اذا كان اعتقالهما لا يحظى بموافقة سلطات القاهرة فهو يقترح ارسالهما الى بومباى بصدمة أسرى حرب ومن هناك يتم تسفيرهما بعد أخذ الاحتياطات الضرورية .

ويتضمن الملف ملاحظات على هذه البرقية جاء ذىها الشخصان المذكوران غادرا مصر فى أواخر أكتوبر وكان الترتيب أن يزورا المعتمد السياسى فى الكويت الذى كان عليه أن ينسّق ترتيبات سفرهما . وقد تبين أنهما كانا يحملان كتابا يتضمن خطبة طارق بن زياد وخطاب الخليفة عمر عند وفاة الخليفة أبى بكر وخطاب الخليفة على فى الحث على الجهاد وقصيدة شاعر أندلسى يتألم لمصير بلاده أزاء فتح الأسبان لها .

عاد مكماهون فأبرق فى ١٩ فبراير إعادة الخطيب والعتيقى الى القاهرة لكنه لم يلبث أن بعث فى اليوم ذاته برقية أخرى قال فيها انه من الأفضل ابقاء الرجلين فى البصرة شريطة تزويده بالمعلومات المتوافرة عن افادتهما وموقفهما .

وردا على البرقية الأخيرة أرسل كوكس الرسالة التالية الى مكماهون وهى بتاريخ ١٨ مارس ١٩١٥ اشارة الى برقيتكم بتاريخ

١٦ فبراير الى حكومة الهند واتباعا لتعليماتها « لى الشرف أن تقدم مقادير مترجمة من دفتريين وجدا بين أوراق محب الدين الخطيب وعبد العزيز العتيقي . وهذه المقتطفات تؤلف المادة التي بنى عليها الرأي القائل بأن لهما ميولا اسلامية وعربية وبسبب ذلك لم يكن من المستحسن اطلاق سراحهما في البصرة .

١ — يجب أن نذكر أنهما غادرا القاهرة قبل اعلان الحرب ووصلتا الى هناك في الأوقات المعتادة لما كان هناك شك في السماح لهما بالذهاب لمقابلة الشخصين اللذين كانا متوجهين لمقابلتهم ولكنهما وصلا الى الخليج بعد اعلان الحرب مع تركيا .

« ان ضابط المخابرات في بوشهر الذي كان له عميل على ظهر السفينة التي كانا يسافران عليها تلقى تقريراً من ذلك الرجل عند وصول السفينة مؤداه ان الشخصين يثيران الاشتباه ويوصى باعتقالهما . وتم التفتيش وتبين انهما كانا يقراسلان مع طالب النقيب الذي كان يومذاك بمثابة عدو لهما بعد أن رفض الاتفاق معناه وقد قام مفتش الشرطة في الخليج بالتحقيق وقدم تقريراً قال فيه انه يعتقد أن الخطيب والعتيقي على علاقة برسل سبق اعتقالهم في كراشي لذلك جيء بهما الى البصرة وأبقيا في منزل فيها رهن الاعتقال ومايزالون هناك حتى الآن » .

٢ ان والد العتيقي رجل محترم وغير مؤد وهو من الزبير ومن الاشارات ذات الدلالة انه لم يحاول التوسط في قضية ولده ، . . (وهذا مخالف لما ذكره الخطيب في مذكرته من أنه عرض ضمانته ولده فرفض كوكس وقال ان التعليمات لم تأت بعد للافراج حتى يبحث مسألة الضمانة) .

ثم تمضي الرسالة التي بعث بها كوكس تقول : في الوقت نفسه أشعر أن القضية ضد هذين الشخصين الذين أحرزوا قسما من التعليم لا تستدعي استمرار اعتقالهما في ظروف شديدة وصعبة وطبقا لرغبتكم بعد اطلاعكم على الرسالة فأننى اقترح الطلب من

حكومة الهند أن تحتفظ بهما في بيت ريفي في الهند حيث يمكن أن يبقيا تحت اشراف الشرطة ويسرنى أن أتلقى جوابا برقيا منكم .

ثم أرسل كوكس في ١١ يوليو ١٩١٥ الى حكومة الهند يقول فيها ان محب الدين الخطيب غادر البصرة متوجها الى بورسعيد رانه سمح للعتيقي بالعودة الى اهله في الزبير (١٧) .

ومن هذه الوثائق البريطانية يتضح أن الذي دفع الى اعتقال الخطيب والعتيقي موقف طالب النقيب من السلطات البريطانية في ذلك الوقت والاعتقاد بأن دورهما اسلامي على حد ما تزعمه الوثائق أكثر منه عربي نتيجة لما عثر معهما من خطب لطارق بن زيادة وغير تلك من المكاتبات التي تدعو الى بعث اسلامي أو الى يقظة اسلامية .

ومن الوثائق البريطانية المتعلقة بموضوع طالب النقيب مع البريطانيين يتضح ما يلي :

في ٣٠ نوفمبر ١٩١٤ كتب شكسبير الذي أوفد لمقابلة بن سعود بعد وصوله الى الكويت الى كوكس، أن السيد طالب النقيب غادر الكويت يرافقه خمسون من أتباعه يوم ١٦ الحالي قاصدا نجد لمقابلة بن السعود كما يبدو في الظاهر . ولكن من محادثة مع السيد شيخ مدارك الصباح بحضور المندوب السامي البريطاني وعن معلومات محلية من مصادر أخرى فالوقوف بالنسبة للسيد طالب كما يبدو هو كما يلي : أمره الأتراك بالسفر الى نجد للحصول على تعاون بن سعود . وخوفا على مركزه في البصرة في حالة احتلال البريطانيين لها حاول الحصول على شروط من حكومة جلالة الملك ويبدو أن أخبار مفاوضاته في هذا الصدد علم بها الموظفون الأتراك في البصرة وأدرك

(١٧) نقلا عن سليمان موسى : وجوه وملامح .

India Office L P S/11 Vol. 95.

(١٨) مكي شبكة : العرب والسياسة البريطانية ص ٤٢ .

F.O. 371 2479, Shak. to Co; 9 Nov. 1914.

سيد طالب مغية ذلك والآثر المباشر عليه وعلى عائلته أن هو بقي في
النصرة وعليه خوفا من حياته تحول الى الكويت حيث قدم عروضه
مرة أخرى للمندوب البريطاني .

وفي ١٤ نوفمبر كتب كوكس يأمر ببقائه في الكويت كدليل على
خضوعه وكرهيته لحسن سلوك أهله في البصرة ولذلك عندما وصلته
الأخبار عن مغادرة النقيب للكويت أنزعج عندما علم حسب قول
الشيخ مبارك الصباح سافر سرا الى جهة في طريقه الى بريدة ،
لقابلة بن السعود دون أن يودع الشيخ ولو أنه كان ضيفا عليه في
منزله .

وتخوف الانجليزى أن تكون أحد مهام النقيب لابن السعود
هى تعليمات الباب العالي الأصلية لحشد العرب ضد بريطانيا .

ويكتب شكسبير لكوكس أن هروبه هذا حرمه من أى وعود
كانت تقدم له وأن احتجازه بالقوة سيؤدى الى إثارة شعور العرب
ضد بريطانيا .

من هذه الدراسة اعتقد أن الخوف من اتصال بين محب الدين
الخطيب وطالب النقيب كانت أحد الأسباب التى حدث ببقاء الخطيب
هذه الفترة فى الاعتقال فى وقت كانت السلطات البريطانية مشغولة
بحملتها على العراق .

بقيت رواية سليمان فيضى الذى كان اليد اليمنى للسيد طالب
النقيب وقد جاء فيها ، عدت يوما الى دارى فوجدت بطاقة - أى
بطاقة بريد - باسم لاسناز محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار
المصرية ، وقد كتب على ظهرها ما يأتى : ان محب الدين الخطيب
وعبد العزيز العتيقى قد توجهوا الى البصرة بمهمة سياسية فأرجو
ان تروج مهمتهما . اسرعت الى محل اقامتهما ، فعلمت ان البوليس
قد أوقفهما ، فذهبت الى الموقف وعبثا حاولت مكاتهما هناك . وبعد

أيام علمت أن الانجليز أعادوها إلى مصر مخفورين ٠ وجدت بعد ذلك بعض الحوادث التي كشفت عن غطسة الانجليز (١٩) ٠٠

عاد الخطيب إلى مصر ولم يتم مهمته ولم يستطع الاتصال بعبد العزيز بن سعود ولا بغيره وفي مصر علم الخطيب أن العربية الفتاة أرسلت كامل القصاب إلى مصر كما سبق القول والذي علم يسافر الخطيب فسافر هو إلى مكة وكان فيها ضيفاً على الشريف حسين وأبلغه برغبة العربية الفتاة في عمل خطة موحدة للزعماء العرب خلال هذه الحرب لكن الشريف لم يدل له برأي ٠ وعادت العربية الفتاة فأرسلت فوزى البكرى وكان من الذين شملهم التجنيد فسافر من دمشق إلى مكة لتأدية الخدمة العسكرية في حرس الشريف فأطلعته الجمعية على مفاتيح الشريف إذا ما كان يرغب الانضمام إلى الزعماء الوطنيين في سوريا والعراق في حركة لانهاض العرب من كبوتهم ولاستعادة مجدهم الغابر ولنيل الاستقلال فيما إذا لم تتمكن الدولة العثمانية من اصلاح الادارة اصلاحا حقيقيا يجعل البلاد بأمن من استيلاء الأجانب الذين يتحينون الفرص لاحتلال هذه الديار واستعمارها إذ أن كل عربي أصبح مدركاً غايات الاتحاديين السيئة وقصدهم الجنوني بتتريك العناصر غير التركية (٢٠) ٠

وكان رشيد رضا قد قدم مذكرة إلى عبد الله الصغير وكيل وزارة الداخلية في مصر يوضح له خطأ تفكير الانجليز في جعل سوريا والحجاز تحت حمايتهم كمصر أو يضمها إلى مصر بإقامة سلطان منها تحت حمايتهم ويقول في المذكرة إذا كان اعلان الحماية

(١٩) سليمان فيضى : في غمرة النضال ، فصل بعنوان : البصرة في

عهد الاحتلال الإنجليزي ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ ٠

(٢٠) سليمان موسى : الحركة العربية ص ١٠٢٧ ، فايز الفصين :

مذكراتي من الثورة العربية ص ٢٠٢ ٠

على مصر لا يجعل الحرمين ولا شيئاً من أركان الاسلام موقوفاً على رضا دولة غير مسلمة ولا ينافى وجود حكومة مستقلة كل الاستقلال تقيم شعائر الاسلام اذا ما كان ما ذكر كما ذكر ولم يرض به مسلمو مصر فهل يرضى مسلمو سوريا والعراق وغيرهم من العرب والعجم والهنود وقوع تلك البلاد المقدسة وسياج الحرمين (الحجاز) تحت سلطة دولة غير مسلمة وهم يعلمون ما يترتب على ذلك مما أشرنا إليه ؟ (٢١) .

ثم الحق ذلك بمذكرة قدم فيها ايضاحات للسلطات البريطانية في مصر ينصح فيها انجلترا أن مساعدها للعرب على حفظ بلادهم واستقلالهم فيها يتفق كل الاتفاق مع مصالحها السياسية والاقتصادية . . . فإذا ثبت هذا ولو في الجملة فالمعقول أن تبدأ هي بتنفيذه دون العرب وأن يكون البدء بتصريح سياسي لا يحتمل التأويل بضمان ذلك لهم والقيام بعمل يدل على ذلك كترك ما استولت عليه من البلاد العربية للعرب أنفسهم وهذا يكون خير تمهيد لاقتناع حلفائها موافقتها السياسية على هذه السياسة المثلى . . .

ويشير رشيد رضا في هذه الوثيقة أن هذا رأيه ورأي اخوانه المقيمين في مصر الذين يرون أن منتهى ما يمكنهم من السعى لخدمة أمتهم وبلادهم في هذا الزمن العبوس القمطرير هو ان يبلخوا دولة بريطانيا العظمى آراءهم وأمانيتهم التي يعتقدون أنها أمانى العرب والمسلمين كافة (وقد فعلنا) فان أسعدهم الحظ بقبول طلبهم شكروا بما استطاعوا من قول وعمل ولا يكون نصيبهم من عملهم حينئذ كنصيب من ذهب من اخوانهم الى البصرة باذن السلطة البريطانية هنا فالقوتهم الحكومة الانجليزية في السجن هناك ولا تدري من تقبل

(٢١) ارجع الى نص المذكرة في ملاحق البحث .

الشفاعة بالافراج عنهم واذا لم يسعدهم الحظ بقبول طلبهم فانهم لا يشتغلون بالسياسة العربية ولا غيرها البتة بل ينتظرون تصاريق الاقدار والله يفعل مايشاء ويختار(٢٢) .

وليس هناك فى الوثائق ما يكشف لدور محب الدين الخطيب بعد عودته الى القاهرة وانما وجدت عنده وصايا تركها شهداء مشائق جمال باشا السقاج ومن غير المعروف كيفية وصولها اليه فى القاهرة وكان الخطيب من جملة الذين حكمت عليهم محاكمة جمال باشا غيابيا بالاعدام ولم ينفذ فيه بالطبع لوجوده فى القاهرة(٢٣) .

(٢٢) ارجع الى نص ملحق الذاكرة فى الملحق . والاشارة هنا بالطبع الى محب الدين الخطيب والمتبقى .
(٢٣) سليمان موسى : وجوه وملامح ص ١٤٠ .

الفصل الخامس

خدمته مع الشريف حسين

بعد مجيء الخطيب الى مصر من البصرة أعلن الشريف حسين ثورته على نحو ما هو معروف في ١٠ يونيو ١٩١٦ وبعد أن جاء الشريف الفاروقى الى مصر معلنا تسليم نفسه للسلطات البريطانية فى جملة الدردنيل كاتب الشريف حسين فى ٥ ديسمبر ١٩١٥ عرفه بنفسه وقال انه أحد الضباط الذين بايعوا الشريف وعرض على الشريف حسين أن يكون وكيله فى مصر .

ويقول الخطيب فى مذكراته أن الدار التى اختارها الشريف الفاروقى للعمل باسم الوكالة العربية كانت فى عمارة واقعة بأول شارع المدايح - شارع شريف الآن - مجاورة لدار الاهرام وهى على الجانب الايمن من الشارع . . . وكان أنصار القومية العربية يترددون على الوكالة العربية وفى طليعتهم عزيز المصرى وكان يلذ له سماع غؤاد الخطيب وهو يترنم بقصائده البليغة عن القومية العربية . . . وعزيز المصرى هو الذى أشار فى تلك الفترة باستدعاء نورى السعيد

من معتقله في الهند ، وكان قد فر من استنبول الى مصر بعد محاكمة عزيز على قى شباط ١٩١٨ ومن مصر ذهب الى البصرة فارسله كوكس الى الهند ٠٠ ولما اخذ الشريف حسين يطلب من الوكالة العربية ومن الشريف الفاروقى الاعوان له من شباب العرب ورجالاتهم ، كان الشريف الفاروقى يرسلهم له دون سابق علم الشريف حسين بأسمائهم أو معرفة شخصياتهم فالاختيار يقع عليهم من القاهرة ٠٠ « لكن الخطيب يوضح أن الاختيار عليه جاء بالاسم ببرقية صدرت في رمضان ١٣٣٤ (يوليو ١٩١٦) أى في الأسابيع الأولى من قيام الثورة (١) »

ويرجح الخطيب أن الذى زكاه لدى الشريف هو الشيخ كامل القصاب ممثل العربية الفتاة الذى وصل الى الحجاز قبل الثورة .

وفى الوثائق البريطانية ما يفيد أن اجتماعا عقد بين عزيز المصرى وشيخام أبرق هذا الأخير للخارجية البريطانية فى ١٦ نوفمبر ١٩١٤ اقترح عزيز على الانجليز التحقق من وجود ضابط عربى فى الجيش التركى اسمه نورى السعيد . وأبرقت وزارة الهند بذلك الى نائب الملك فى ١٩ نوفمبر ١٩١٤ وردت حكومة الهند فى ٨ ديسمبر ١٩١٤ بأن طالب النقيب ذهب لابن السعود ولا ثقة فيه مطلقا ٠٠ أما مزاحم الأمين ونورى السعيد فانهما فى البصرة . وأفادت الوثيقة بمقابله نورى السعيد لبرسى كوكس وأنه لم يقتنع بما يدعى اليه نورى السعيد (٢) وتبع هذا ارسال نورى السعيد الى الهند وعاود عزيز مساعيه لدى السلطات البريطانية فى مصر حتى استدعت نورى السعيد الى القاهرة .

(١) يقول الخطيب ان نص البرقية الخاصة بذلك كل معفوفا فى اوراق الشريف الفاروقى التى جمعها ابن عمه وطبعها فى بغداد بعنوان (مقدرات المراق) .

(٢) نقلا عن مكى شبكة ص ٦٢ .
F.O. 371 — 2140. India Office 8 Dec. 1914.

يقول الخطيب انه سافر الى الحجاز مع نوري السعيد . وفي الوثائق التي نشرها أمين سعيد أن أول قافلة من الجنود العرب غادرت السويس للالتحاق مع الشريف كانت بتاريخ أول أغسطس ١٩١٦ (٢ شوال ١٣٣٥) كانت تتألف من ٧ ضباط منهم نوري السعيد (٣) .

سافر الخطيب بعد عيد الفطر كما يقول لتأسيس مطبعة أميرية لحكومة الحجاز واصدار جريدتها الرسمية القبلة .

ويحتفظ الأستاذ الخطيب بأعداد صحيفة القبلة التي كان مديرها بين وثائقه وأوراقه . وقد أختار اسم القبلة من الآية الكريمة : « بما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه » .

وقد تصدرت هذه الآية الكريمة كل أعداد الصحيفة كما تصدرها اسم محب الدين الخطيب مدير الجريدة واسم المطبعة الأميرية في شعب جياذ وأعلن أن الصحيفة جريدة دينية سياسية اجتماعية تصدر مرتين في الأسبوع لخدمة الاسلام والعرب .

والشيء الذي ينبغي توضيحه أن أول عدد لصحيفة القبلة صدر بتاريخ ١٥ شوال ١٣٣٤ هـ (١٦ أغسطس ١٩١٦) ومعنى هذا أن الخطيب بدأ منذ وصوله الى الحجاز يستعد على الفور لاصدار هذه الصحيفة . فقد استهافت هذه الصحيفة بالطبع الدعوة الى الاهداف التي من أجلها ثار الشريف حسين وأخبار انتصاراته على القوات التركية والمنشورات التي كانت تصدر لتوضيح مساوئ الاتحاد والترقي والتي تبرر السبب لثورة الشريف حسين . وقد عهد الى محب الدين الخطيب بالاضافة الى ادارته للصحيفة واصداره لها تحرير هذه المنشورات التي كانت توزع بين القبائل العربية في الحجاز بهدف كسبها الى جانب الثورة . وتبين أوراقه الكثير من

هذه المنشورات • كان كل منشور يشير الى سابقه • « اما بعد فانا لا نرتاب واثناء للباري جل شأنه بأن منشوراتنا السابقة قد اثبت بعشيقته ان تعالي وتيسيره الغاية المقصودة من نشرها نعلم من اردنا اعلامه عن البشر عدوما والمسلمين خصوصا أسباب نهضتنا ونسوداقتنا العقلية والنقنية •

والنا تيننا بعشيقته الله تعالى واتباعا لحكمة ما اراده بقوله عز من قائل (لينذركم الله الذين آمنوا امانا) رايانا أن نالفت أنظار جميع المسلمين الى جناية اخرى من جنائيات المتغلبة التورانيين تربوا على كل ما تفرغ عليه قبل الاوان وقتل على ما في نفوسهم من المروق والطفيلين •• كيف لا وقد ثبتنا بالعيان والنظر ما تعدى هؤلاء المتغلبين في هذه المرة على الآهوات والأحياء من أفراد العالم الاسلامي بنهيم وسابهم كل ما تحتويه حجرة بنهيم عليه أفضل الصلاة وأزده التسليم من هداياهم وتركاتهم التي ارادوا بها تكريم ساحته الباهرة •• ••

• ونعظمى المنشورات تدعو الى الثورة •

« وعلى هذا فانا نعلن لن بقي من مسلمي المملكة التركية وخصمينا جيدها وقوادها بأنهم اذا لم ينهضوا لاسقاط حكومة هؤلاء التورانيين الأغرار ويعلموا براءتهم منهم فانا نقطع آخر أمل لنا بمودة ربهنق الاسلام لتلك المملكة وتكون فاتحة براءتنا فيها على اسم سلطاتها من خطب الجمعة التي أبقينا اسمه فيها حتى الآن حربنا لنثار اسلامه واملا بقيام من يخلص البلاد من المتغلبين عليها « وقل اسماوا فسيبري الله عملكم ورسولة » « وش الأمر من قبل وبعد وهو ولي التوفيق » •

ولم تكن الذبلة تزرع في انحاء الحجاز فقط بل أرسلت الى العراق • فتجد وجدت في وثائقه طلبا من المقيم السياسي في بغداد يطلب ارسال عشرين نسخة من كل عدد من أعداد القبلية ويدفع ثمنها في المكتب العربي • كذلك جاءته رسائل من الخرطوم من ابراهيم ديمتري عشيقه يقول له نحصلت في يوم واحد على أكثر من خمسين

مشاركاً . ولو كان لدى متسع من الوقت لكنت أجمع لك أسماء
الكثيرين من الذين يرغبون الاشتراك . أرسلت كذلك الى مصر غم
بين الرسائل عنده رسالة من شخص اسمه « حمود جيد الايوبى
الى السيد محب الدين مدير القبة الغراء ان مسلمى مصر لمعجبون
كثيرا بحسن نظام القبة الوضاعة وجمال ترتيبها شاكرين لكم شكرا
جزيلا عملكم الخالص فى خدمة البيت المحمدى الأعز والعرش
الهاشمى . . . وانهم (مسلمو مصر) يريدون بين الجوانح وصميم
القلوب دامت القبة فى ظل صاحب الجلالة العربية الهاشمية . . . »

وأرسل عونى عبد الهادى من باريس فى ٢٥ أبريل سنة ١٩١٨
يرجوه ان يكون مراسلا لهذه الصحيفة يقول له : طنب الى بعض
الاخوان اعمل وأياهم فى هذه العاصمة على خدمة بلادنا ان أسعى
اليك لاكون محررا لجريدة القبة فهم يعتقدون أن ذلك يفيدنا هنا
فائدة كبيرة . اسم جريدة القبة كبير عند الساسة الفرنسيين لأنها
لسان حال الأمة العربية فإذا كنت أعمل كمخبر لهذه الجريدة فأنى
أتوصل بفضلها الى ما يصعب الحصول بدونه . »

« كنت كتبت الى حضرة الزعيم بك العظم بهذا الصدد وشرحت
له أهم الأسباب التى طلبت اليه فى مساعدتى فى أن اكون محررا
لجريدتى القبة والاهرام ورجوته مساعدتى دون أن أحظى منه بخبر
الى الآن . لذلك رأيت أن أكتب اليك رأسا . »

« انى لم أزل ولن أزل على دين من قتلوا من اخواننا العريسي
والمحمصاني وعارف وسليم عبد الهادى وأن ارتد عن هذا الدين
بعض اخواننا فى السياسة فانا لن ارتد ولن أبغى عنه عوضا . »

ويقترح عليه عونى عبد الهادى أن يرسل له مقالة او مقالتين
فى الأسبوع وليتمس برسالة ورقة اعتماد وتقويض مختم بختم
الجريدة وان تكون على نسختين بالعربية والافرنكية .

ولكن لم أجد بين أوراق الخطيب ما يفيد أنه أرسل لعونى
عبد الهادى بما يطلب وأخذ الخطيب فى صحيفته بنشر ما ترى حكومة

الشريف نشره من أخبار تقدم قواتها في انحاء الحجاز مطاردة للقوات التركية أو أخبار باعفاء بعض عربان جهينه والشمال الذين بالوجه والمويلح والعقبة من الزكاة وغيرها من الموضوعات .

وفي المذكرات التي كتبها الخطيب خلال هذه الفترة يلمس الباحث قربيه من الشريف حسين وأنه كان يلتقى بالشريف يستشيريه فيما ينشره في صحيفته ويعرض عليه كثيرا من المقالات والشريف يشير بنشرها أو تعديل فيها أو منع نشرها حتى أصبح الخطيب موضع ثقة الشريف فكثيرا ما كان يأخذ بما يراه الخطيب تجاه مقالات ومنشورات الصحيفة .

ويطلب منه الخطيب استحضار محررين للصحيفة من مصر موافق الشريف على استخدام الشيخ علي الغاياتي وإبراهيم سليم النجار ليكتبيا عن الحركة براتب شهري (٣) وكان الشريف قد كلفه في اليوم السابق لذلك (١٩١٧/٢/٢٨) بكتابة منشور عن نقله لمجوهرات الحجرة النبوية خشية أن تسرق .

ونذكر الخطيب أنه كان من وراء استدعاء الشريف حسين لعزیز المصرى للعمل في تنظيم جيش الشريف فقد الح هو وصديقه الشيخ محمد كامل القصاب على الملك حسين بالاستفادة من عزیز المصرى ونبوغه العسكرى وسمعته المهيبة عند الترك ، بحيث أو حضر الى الحجاز وتولى ادارة القوة العسكرية فيه فان رجال الجيش التركى يعتبرون ذلك كأنه جيش جديد أضيف الى الجيش الذى يقاتلهم فى سبيل استقلال الحجاز وبلاد العرب عن حكمهم المفقوت . وبعد الحاح متكرر لم يشأ الشريف حسين ان يطلب عزیزا المصرى مباشرة وصراحة بل قال اكتبوا له ليحضر ، « فكتبت رسالة شبه رسمية الى الوكالة العربية بان نرجو عزیز على الحضور وان يقام له بأسباب راحته » .

ويذكر نورى السعيد فى كتابه ، محاضرات عن الحركات

(٣) اول مارس سنة ١٩١٧ مذكرات الخطيب .

العسكرية للجيش العربى فى الحجاز وسوريا(٤) أن عزيزا وصل الى الحجاز فى شهر سبتمبر سنة ١٩١٦ بعد اتصالات أجراها معه الفاروقى وتزكية المسئولية الانجليز له .

لما حضر عزيز الى مكة استقبله الملك (على حد قول الخطيب) ببرود ثم خلا به فى جلسة سرية طالت أكثر من ساعة وفى نهايتها أعلن توجيه لقب أمير الى عزيز المصرى وتعيينه وزيرا للحربية لكنه لم يمكنه من أى عمل ولم يجعل فى يده أى وسيلة تمكنه من تنفيذ مايراه .

وطبقا لرواية الخطيب فى مخطوطه السابق الإشارة اليه بعنوان « سيرة جيل » « أنه لما ضاق صدر عزيز المصرى من هذه الحال زار الملك زيارة أخرى وقال له : انه لم يحضر الى الحجاز ليحمل لقب أمير أو وزير وإنما حضر ليعمل ، وقد طال أمر احتلال الترك للمدينة بقيادة فخرى باشا ، فذكر للشريف أنه يستطيع انتزاعها من يدهم بقوة خفيفة يقودها بنفسه إذا أمده الشريف بمقدار من الرشاشات والمدافع الخفيفة الحمل ثم تكون القوتان - النظامية واليدوية الموجودتان فى رايغوينبع ردها له عن ورائه تلبى طلبه بالتقسيم السريع اذا طلبها ، وبذلك يصل الى الغرض بعشر الوقت الذى يصل اليه لو بقوا على ما هم عليه الآن . فاعتذر الملك حسين بأن الانجليز لا يلبون طلباته فى الأسلحة والمهمات التى يبعثونها له ويلج عليهم بطلبها . بل يرسلون له غيرها مما لا ينتفع به . واستشهد له بالمدفعين الضخمين القليلى الفائدة الذين أرسلوهما على الباخرة التى حضر عليها محب الدين ونورى السعيد وما احتاج اليه نقلهما من جدة الى مكة ثم الى رايغ من خيول استرالية صعبة الخدمة والمثونة ، وبعد ذلك لم يكن لهذين المدفعين من فائدة غير صوت طلقاتهما العالى الذى تكون فيه جعجعة بلا طحن . فقال له عزيز المصرى : هل تأذن لى بأن أذهب الى رايغ وأبحث عما ينقص فيها

(٤) نودى السعيد : معاشرات عن الحركات العسكرية للجيش العربى فى الحجاز وسورية ص ١٦ . نقلا عن سليمان موسى : الحركة العربية ص ٢٩٣ .

من طلباتي ثم اذهب بنفسى الى مصر فأطلب رسميا باسم وزارة الحربية الحجازية هذه الطلبات ولا اعود الا وهى معى ثم اتخير من الضباط والجنود من يصلح للحملة الخفيفة التى اريد تشكيلها وأجرب حظى فى عمل سريع أعتقد أنه يقتصد لنا تسعة أعشار الوقت فقال له الملك ببرود أعمل ما تشاء وقام عزيز المصرى من عنده متوجها مع أول باخرة قامت من جدة الى رابغ . وفى رابغ انتظر أول باخرة قامت منها الى السويس وما كاد يبحر متوجها الى السويس حتى كتب الملك ارادة سنية الى محمود القيسونى أفندى اليوزباشى يومئذ فى الجيش المصرى والمعار للحجاز بأنه وجه اليه وزارة الحربية وأمره ان يباشر أعمالها وأن يتصل بالقوة النظامية التى فى رابغ وينبع ويبلغها بأنها أصبحت مرتبطة به بصفته وزيرا للحربية الحجازية . . »

وهناك يوميات له كتبها عندما كان يعمل مع الشريف حسين
كتب فيها بتاريخ ١٩١٧/٢/٢٢ .

« علمت اليوم أن عزيز المصرى سافر الى مصر بلا استئذان
فعد ذلك استقالة وشاع تعيين القيسونى ولكن لم يعلم بذلك أساسا
رسميا الا أن الناس أخذت تذهب لتهنئته . »

« دعانى الملك الى القصر أنا والشيخ كامل (القصاب)
والدكتور منير أحمد فلما استقر بنا المقام قال الملك أن منير أخبر
قاضى القضاة أن لديه معروضات بخصوص عزيز المصرى . فأخذ
منير يذكر اخلاص عزيز فأظهر الملك تأله وقال « اننا لم نملا عين
الرجل قد ظهر اننا غير متفقين فى الراى وهناك أشياء كثيرة سوف
تتفرقونها . فأجاب منير بأنه يخشى من تعلق الضباط به فأجابه الملك
(من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الشفان الله
حتى لا يموت) فاللهضة باقية وان ذهب عزيز فمن كان جاء لأجل
شخص فلا حاجة لنا به ومن جاء لأجل العرب ونهضتهم فلا تزال أمامه
واجباته . وأشار الى راي عزيز فى السياسة المزدوجة والى أن
عزيزا كان يتحرج ويتجافى وحينئذ سرحت له أنا والشيخ كامل

باعتقادنا ورأينا في عزيز وضعف سياسته وأن دساتره انحدرت بنا
رسفره مفيد لنا .

وحين ترك عزيز المصبرى خدمة الجيش وعاد الى القاهرة
وسقط الحسين عن عرشه الهاشمي كتب الخطيب دراسة له في مجلة
الزهراء (٥) بعنوان الحسين بن علي كما رأيت في ثلاث سنوات
صدر بمناسبة سقوط الحسين فقال ان موقفه من عزيز المصري يدل
على سوء ظن الملك حسين بالناس وموقفه في طريق العمل الجدي
الصائب وذكر فيه بينما كان في عمله في الجريدة (القبلة)
في أحد الأيام وكانت على أهبة الصدور ، اذ اتصل به الملك تليشونيا
وأمر بالحضور اليه في القصر الملكي لأن جماعة من السوريين
والعراقيين والمصريين الموجودين في مكة يجتمعون عنده . ووصل
محب الدين الى هذا الاجتماع متأخرا وكان الاجتماع أوشك ساء
الانقضاء . فلما وصل محب الدين « قال الملك محمود القيسوني
اطلع محب الدين على الرسالة التي معك ، ولما أطلع عليها محب
الدين رأى أنها رسالة رسمية من وزير الحربية محمود القيسوني الى
نوري السعيد قائد القوة النظامية في الجبهة يبلغه فيها أن الارادة
السنية الهاشمية صدرت بتوجيه وزارة الحربية اليه وأمره أن يبلغ
القوة النظامية بأنها أصبحت مرتبطة به وأنه مستعد للنظر في
شؤونها .

ولما وصلت الرسالة الى محمود القيسوني حضر بها الى الملك
وأطلعته على ما كتبه نوري السعيد وقال له أن هذا الضابط متمرد
على الارادة السنية الهاشمية وصدق الملك ودعا كل من في مكة من
السوريين والعراقيين والمصريين وأطلعهم على الرسالة وسألهم ما هو
جزاء الضابط الذي يتصرف هذا التصرف ؟ وكان أول من تكلم فؤاد
الخطيب الشاعر وكان وكيلًا لوزارة الخارجية فقال : ان جزاء مثل
هذا العمل في البلاد الأخرى الاعدام . وسكت الآخرون . وعندئذ

(٥) مجلة الزهراء المجلد الاول المجلد الثالث ص ١٩٠ - ٢٠٠ : الحسين

ابن علي كما رأيت في ثلاث سنوات .

وصل الخطيب فذكر له الملك أن فؤاد الخطيب يقول ان جزاء ذلك الاعدام وقد أدرك محب الدين أن الموقف خطير وأن من وراء نوري السعيد كل من معه من زملائه من الضابط العراقيين والذين كانوا في جمعية العهد التي أسسها عزيز ومعنى ذلك حدوث فتنة في جيش الشريف فأجاب محب الدين :صدق الشيخ فؤاد فان جزاء ذلك في البلاد الأخرى الاعدام . الآن الضابط الذي يفعل ذلك تكون خزانة الدولة قد قامت بأعباء معيشتة في سنوات السلم ، وتكون الدولة قبل ذلك قد علمته في مدارسها وكونته لمثل هذا اليوم . والحالة التي نحن عليها لا تنطبق على ذلك ، فالضابط الذي كتب هذه الجملة المستنكرة قضى سنوات السلم السابقة في غير حكومتنا وتعلم قبل ذلك في مدارس غير مدارسنا ، وفي هذه السنة حضر إلينا لا للممتعة والاستفادة بل لينخرط في جبهة القتال في سبيل حركة كان يتمناها منذ دخل في جمعية العهد على يد قائد له مكانة عسكرية وهو عزيز على المصري الذي ينتظرون في الجبهة أن يعود من مصر ليشارك معهم في قتال يعتقدون أنه مشرف لهم . وقد يكون الضابط كاتب هذه الجملة مخطئا ومنهورا ولو كنت مكانه لم أكن لأتصرف تصرفه ، ولكن اذا فكرنا في الأمر من وجهة نظره ومن جهة رابطة بعزيز المصري ، ثم لتقديره لعزيز المصري لأنه قائد فني من أركان الحرب فأننا لا نخطيء اذا عذرنا . وحملنا تصرفه على اندفاعه في الرغبة لنجاح المهمة التي قام بها لا لخيانة الجهة التي هو يخدمها . وما يدرينا لعل له زملاء لو كان القلم بيدهم لكتبوا مثل ماكتب . وعلى كل حال فالتشبيه الذي ذكره الشيخ فؤاد الخطيب بين هذا الحادث وبين أمثاله في البلاد الأخرى هو تشبيه مع الفارق .

ولما انتهى محب الدين من كلامه أثنى عليه الملك . . . وبعد انتهاء الاجتماع وذهاب الخطيب الى المطبعة الأميرية في الحجاز لباشرة طبع القبلة فوجيء بدخول نوري السعيد عليه يشكره وعندما سأله كيف عرف بالاجتماع ومتى حضر من الجبهة الى مكة فأجابه أنه علم به من بعض العراقيين الذين حضروا آنفا وأنه قبض عليه في مكان عمله وأرسل تحت الحفظ الى جدة ومنها الى مكة ، وقد مضى عليه بمكة يومان تحت الحفظ في دار الحكومة (التي

كانوا يسمونها الحميدية) ثم أطلق سراحه فى هذه الساعة ليعود الى عمله .

ويستدل الخطيب على هذا الحادث أنه نتيجة خطأ الملك فى معاملته لعزیز المصرى وسوء ظنه به وخوفه من أن القوة التى يريد أن يكون على رأسها قد يستعملها فى تكوين سلطة يزاحم بها سلطة الملك وأولاده « ولو كان يحس فى طية القلوب وقراءة ما فيها لأدرك أن عزیز المصرى كان مخلصا وأن مجيئه للتعاون على الخير والنجاح » .

وهذا الذى يقرره الخطيب عن عزیز المصرى يتناقض مع تصريحه للملك حسين حين أشار عليه بالاستغناء عن عزیز أن سفره معيد لنا .

بالبحث فى أوراق الخطيب يجد الباحث ما يفسر هذا التناقض فى رأى الخطيب فى عزیز المصرى ذلك أن النزعة الاقليمية كانت واضحة لدى المتعاونين مع الشريف حسين واخذ الحجازيون ينظرون الى السوريين والمصريين والعراقيين الذين جاءوا للعمل مع الشريف نظرة من استنأثروا دونهم بالمناسب ومن ذلك نجد فى مذكرات الخطيب عندما كان فى الحجاز فهو يكتب بتاريخ ١٩١٧/٢/٢١ أنه لاحظ فى هذا المساء أن الشريف يحب أن يقنع الحجازيين باخلاصنا لهم ورغبتنا فى خدمتهم فقد قال للقاضى (قاضى القضاة) وكان نسيه الشيخ عابد موجودا أن تعيين محب الدين أمر ضرورى لى ان أجعل أحد عمال الدين فى خدمة هذا البلد وأهله وكان ذلك على أثر قول القاضى : ان عبدكم محب الدين أخبار فى مقالة القلب والابدال » .

ويكتب الخطيب بعد ذلك فى ١٩١٧/٢/٢٢ . قال أبى شيخ الحرم اليوم للدكتور نديم صلاح أن الشيخ على المالكي أخبره أن السوريين سقطوا من عين سيدنا فأولاد البكريين أبعادوا كل واحد لجهة وهو لا يعيا بالآخرين وأن الشيخ كامل (القصاب) تكلم فى المدرسة على أهل مكة فأجابه أحد التلاميذ أن أهل الشنم قتلوا

الحسين فوجم الشيخ كامل ولم يجب •• ويقول أبو شيخ الحرم ان
هذه الأكاذيب وصل خبرها لجلالة الملك •

وقد أوضحنا في كتابنا عن عزيز المصري من الوثائق البريطانية
ما ذكر كاسباب لابعاد الشريف لعزیز المصرى غير تلك التى أوردها
الخطيب فى مذكراته وأهمها اتصاله بالكولونيل ولسن وطلبه
صلاحيات لانشاء قوة نظامية وماكان من حديثه مع نيوكمب وما
أقضى به الكولونيل نيوكمب لعزیز عن اتفاق بريطانيا وفرنسا بشأن
سورية ومانقله عزیز للشريف وتبع هذا مكاتبة الشريف يسأله عن
الحقيقة وأبرق ولسون بذلك فى ١٧ مارس ١٩١٧ الى كلايتون يحيطه
علما برسالة الشريف وقدم ولسون توصيته الشخصية أن يجرى
اطلاع الشريف على الهدف الحقيقى لبعثة سايكس بيكو • ويجد
القارئ تفصيلا لذلك فى كتابنا المشار اليه (٦) •

وكان لمحِب الدين الخطيب اليد الطولى فى اطلاع الملك حسين
على افكار رجال الحركة العربية وخططهم وأمانيتهم ومن جملة ذلك
فكرة الوان العلم العربى التى كانت العربية الفتاة قد اقترحتها قبل
الثورة • وقد حدث الخطيب الأستاذ سليمان موسى فى هذا
الموضوع فى رسالة منه اليه بتاريخ ٢١ مايو ١٩٦٦ قائلا :

« ولما دعانى الملك حسين الكبير لأتعاون معه فى بداية الثورة
العربية الاولى ولإصدار له جريدة القبلة كان يرفع على بيته وفى
المناسبات علما أحمر عنابيا يسميه علم الشريف، نمتى فاقترحت أنا
والشيخ محمد كامل القصاب الألوان الثلاثة للعلم العربى فاعتذر بأن
عندهم علم أبى نمتى ، فقلت له : يمكننا أن نستعمل اللون الأحمر
العنابى فى زاوية العلم فيكون منه فى موضع القلب • ومن ثم وافق
وصار للعلم أربعة ألوان (٧) •

(٦). نقلا عن سليمان موسى : الحركة العربية ص ٣٩٥ •

F.O. 882/6, 638/33, 34.

F.O. 371/3396.

(٧). سليمان موسى : وجوه وملامح ص ١٢٠ •

والعروف أن رجال الحركة العربية دار تفكيرهم قبل الحرب على أن يكون لهم علم قومي خاص بهم وبحث بعض الشبان العرب من مؤسسى المنتدى الأدبى مسألة هذا العلم وتوصلوا الى القول بأن علم المستقبل يجب أن يتألف من ألوان أربعة هى الأبيض والأسود والأخضر والأحمر ثم بحث جمعية العربية الفتاة هذا الموضوع فى اجتماع لاعضاء مركزها الرئيسى عقد فى شهر مارس ١٩١٤ فى مكتب جريدة المفيد فى بيروت واتخذوا قرارا لهم بأن يتألف علم الدولة العربية المستقلة من ثلاثة ألوان : الأبيض ويرمز للدولة الأموية والأسود ويرمز للدولة العباسية والأخضر رمز الدولة الفاطمية وفى ١٨ مارس سنة ١٩١٤ كتب محمد المحمصانى عضو الفتاة رسالة خاصة الى زميله محب الدين الخطيب وكان يقيم فى القاهرة رسالة جاء فيها ما يلى :

‘ قررت (اناء) أيضا فى جلستها الأخيرة أن يكون شعارنا
الألوان الثلاثة التى تمثل الدولة العربية الثلاث : أخضر فأبيض
أسود (٨) ’

وقررت تكليفك بعمل ختم لها بحرفى ع . ف مع صورة نخلة
تاركة لحسن ذوقك انتخابك شكل ذلك الختم .

وعرض محب الدين الخطيب هذه الرسالة على زملائه فى حزب اللامركزية العثمانى فرد سكرتير الحزب (حقى العظم) برسالة بعث بها الى المحمصانى جاء فيها أن أعضاء اللامركزية يستحسنون الفكرة وقرروا الأخذ بها . وقد استهل حزب اللامركزية بيانه الذى نشره بعنوان (الصرخة الثالثة) وجهه الى أبناء الأمة العربية بالعبارات التالية التى تتضمن اشارات واضحة الى ألوان العلم العربى سلا ما أيتها الأمة سلام برأمين . يظله فى (سواد) الليل (بياض) الضمير و (خضرة) الأمل اليقين .

(٨) أوراق الخطيب وكذلك سليمان موسى : الحركة العربية ص ١٣٦

و (اناء) رمز للجمعية .

وقد أخذ الشريف حسين بوجهة نظر الخطيب في مسألة العلم وأبلغ مواصفات العلم الى السير هنري مكماهون وطلب اليه اعطاء التعليمات للسفن البريطانية والحليقة في البحر الأحمر أن لا تتعرض بسوء للقوارب العربية التي ترفع ذلك العلم ، وأبلغه أيضا أن هذا العلم مؤقت وأنه سوف يصبح علما رسميا تبلغ مواصفاته الى جميع الدول . وقد أبرق المكتب العربي في القاهرة بذلك في ٧ يوليو ١٩١٦ (٩) .

ونشرت جريدة القبلة في ٢٨ مايو ١٩١٧ بيانا رسميا جاء فيه أنه قد تقرر رفع العلم العربي ذي الألوان الأربعة . وقال البيان أن العلم الجديد يتألف من مثلث أحمر اللون (عنابي) تلتصق به ثلاثة ألوان أفقية متوازية هي الأسود من فوق ثم الأخضر ثم الأبيض . وأوضحت القبلة أن اللون الأسود هو رمز راية (العقاب) التي كان النبي عليه أفضل الصلاة والسلام يرفعها في حروبه ، وهو اللون ذاته الذي اتخذته العباسيون شعارا لهم ، وأن اللونين الأخضر والأبيض كانا أيضا من الشعارات التي رفعها العرب قديما ، وأن اللون الأحمر العنابي هو لون الراية التي اعتاد الاشراف أن يرفعوها منذ عهد الشريف (ابي نمنى) الذي عاصر السلطان سليم العثماني وقالت القبلة أن اللون العلم الجديد جامعة لرموز الاستقلال العربي في كل ادواره التاريخية (١٠) .

وقد أشار الدكتور أحمد قدرى في مذكراته الى أن العربية الفتاة هي التي أوحى للشريف حسين باتخاذ ألوان العلم العربي الأربعة المعروفة وليس في روايته هذه تعارضا مع رواية الخطيب لأن الأخير كان عضوا معتمدا للعربية الفتاة في القاهرة كما هو معروف أما جعفر العسكري فيذكر في مذكراته حسبما ذكر الدكتور زين نور الدين

(٩) رسالة الشريف الى مكماهون في ملف الأرشيف البريطاني وكذلك

نقلا عن سليمان موسى الحركة العربية ص ١٣٧ .

F.O. 141/461.

F.O. 882/4 No. 1G 851.

(١٠) ارجع الى عدد القبلة المذكور بين أوراق الخطيب .

في كتابه نضال العرب في سبيل الاستقلال (١١) في أثناء اقامته اسيرا عند الانجليز في مصر عرض عليه الجنرال كلابتون نمونجا للعلم العربي وقال له (هذه هي رايتكم العربية بالوانها العربية لقد اعد الملك حسين تصميمها بنفسه) .

وهذا يناقض ما ذكره مارك سايكس من أنه هو الذي وضع ألوان العلم العربي واقترحها على الشريف حسين فهناك رسالة منه الى ريجنالد ونجت تتضمن اقتراحا بعلم عربي جديد يحل محل العلم الأحمر الذي رفعته الثورة خلال عامها الاول وقد ارفق برسالته تصاميم مختلفة لكي يقع الاختيار على واحدة منها (١٢) .

ومن الأمر التي يستفيد بها الباحث من أوراق الخطيب كذلك خلال خدمته مع الشريف حسين حديثه عن العملة التي استخدمتها حكومة الشريف فيقول في مذكراته بتاريخ ١٩١٧/٣/١ أن : ممثل للحكومة الفرنسية في الحجاز حظي بالثول يدى جلالة الملك وعرض على اسماع جلالته مسألتين :

١ - أن تكون النقود العربية على نظام الفرنك وقيمه ذهب وفضة .

٢ - أن تعتبر الفاتورة الأصلية في تقدير أثمان البضائع في الجمرک عند أخذ الرسوم عليها .

فأجابته جلالته على المسألة الأولى بأنه لاحظ في مقاييس النقود الحجازية اتساع دائرة التعامل النجاري بين الحجاز والهند .

وقال في المسألة الثانية سبق لنا تخيير التجاريين أن تجمرک بضائعهم بموجب الفاتورة الأصلية ويجبروا على البيع بحسبها مع اضافة المصاريف الحقيقية وبيع قليل أو أن تجمرک بحسب سعرها في أسواق الحجاز فاختاروا الثانية .

(١١) زين نود الدين : نضال العرب في سبيل الاستقلال ص ٢٥ ،

نقلا عن سليمان موسى : الحركة العربية .

(12) Share Leslie, Mark Sykes, His life and letters P. 274.

وأخبره ممثل الحكومة الفرنسية ان جمال باشا أمر بسحب قوات المدينة والسكة الحجازية الى جنوب فلسطين .

وبالطبع ذلك لم يتحقق فقد ظلت قوات المدينة حتى انتهاء الحرب .

ويقول الخطيب في نفس مذكراته : في مساء اليوم بعث الى جلالته بصورة النقود للنظر مرة ثانية قرايتها وكتبنا حسب تعدينا وزيدت كلمة (عاصمة الحكومة العربية الهاشمية) .

وبعد سنتين من عمل الخطيب مع الشريف حسين التمس منه أن يسمح له بإجازة يقضيها في مصر وسافر الخطيب في سنة ١٩١٨ الى مصر وقد أصدر رئيس الوكلاء قاضى القضاة عبد الله سراج قرارا بتعيين خلف له هو الشيخ عبد الملك الخطيب في ادارة المطبعة والجريدة .

سافر محب الدين الخطيب الى مصر ومن مكاتبة لرشيد رضا يرى الباحث قطيعة حدثت بينهما فيكتب له رشيد رضا معاتبا انه عندما حضر من الحجاز لم يتصل به ويشكو له زميله في المطبعة عبد الفتاح قتلان الذى أخذ ينشر الشائعات حول رشيد رضا وموقفه من الحركة العربية « . كنت أنتظر تزورنى بعد مجيئك من الحجاز فأشرح لك المسألة وافوض لك أمر حلها وإن كنت شريكا فيها متحدا بعيد الفتاح تمام الاتحاد ، . . . أننى لا أبالى بعد بعداوة أحد ولا صداقته الا فى الحق مادمت أعلم أننى على الحق ، ولا أفرط فى صداقة أحد ومودته بل لا أترك معاملة تاجر ولا صانع بتقصير منى عن عمد وسوء نية . اقول انك تعلم ذلك ان لم أكن وأهما ذلك ، أدركت أن أمير هذه البلاد (مصر) وأعلاما نفوذا كان معاديا لى وكان يتبعه فى ذلك أعظم ما فى هذه البلاد من القوى الأدبية كالأحزاب والجرائد الاسلامية (ومنها المؤيد واللواء) وشيخ الأزهر ولم أكن مياليا لذلك ولا مهتما أقل الاهتمام بأزله . ولكن عبدالفتاح الذى يجهل ذلك هو ومن كانوا يجتمعون عنده فى المكتبة والبيت من أصحاب الفتن والدسائس قيطعون فى وحدى تارة وفى حزب اللامركزية أو زعمائه تارة حتى أنهم كثيرا ما صرحوا بأننا نستحق

الاعدام وأنه هو العاقبة التي سننتهي اليها حتى سواء ذهبت بلادنا من أيدي الترك كما يرجحون أو بقيت في أيديهم ٠٠ وقد كان كل من يجيء من الحجاز أو غيره ويلتقي بهم ويجالسهم يصير عدوا لى وقد يخفى على ذلك زمنا طويلا كما جرى لخالد أفندى الحكيم فقد كنت عرفتة عند السيد الزهراوى فى بلده معرفة مودة ولما جاء الى مصر لم أعلم بمجيئه الا بعد عدة أيام ٠

ويلتمس رشيد رضا فى رسالته الى الخطيب أن يلتقى به لنسمع منه رأيه فى مسألة المكتبة وكذا فى خطبتكم فى سياستكم العربية والحجازية وأن يعيد اليه الصحف الذى أخذها منه قبل سفره الى الحجاز ٠٠

أوردت هذه الوثيقة لرشيد رضا لعلها تفسر السبب الذى من أجله لم يظهر اسم رشيد رضا ضمن الموقعين على مذكرة السوريين السبعة التى قدمت عقب اذاعة البلاشفة لاتفاق سايكس بيكو ٠ فقد قال الخطيب انه اثناء اقامته فى مصر اشترك فى وضع المذكرة التى قدمها عدد من السوريين الى السلطات البريطانية فى مصر واللى عرفت باسم مذكرة السوريين السبعة وقال ان صاحب الفكرة هو الشيخ كامل القصاب الذى كان رفيقه فى السفر من الحجاز الى القاهرة ٠ وأن الذى وقعها معه عبد الرحمن الشهبندر ، فوزى الكرى ، خالد الحكيم ، مختار الصلح ، رفيق العظم ، كامل القصاب ٠

فلم أجد بين أوراق الخطيب ما يثبت عودة العلاقات بينه وبين رشيد رضا الى ما كانت عليه قبل الحرب ولعل فى عدم رضا الشريف حسين عن رشيد رضا عندما زار الحجاز بعد اعلان الثورة وخطبته أمام الحسين وعدم رضاه عن تلك الخطبة ما لم يشجع الخطيب وهو يعمل مع الحسين على ازالة الجفاء بينهما خاصة وأن الخلاف دب بين رشيد رضا وشريك الخطيب فى المكتبة (عبد الفتاح قتلان) ٠

وبعد اقامة الخطيب فى مصر فترة أجازته عاد الى الحجاز ليستأنف عمله كما كان من قبل وقد أشاد الملك عبد الله به فى فى

مذكراته بعنوان الامانى السياسية نشرت سنة ١٩٣٨ فقال : « ومن الذوات الذين سبقت لهم خدمات جليلة للقضية العربية والذي احب على ما يظهر أن يتوارى لتكون خدمته خالصة لا لغرض ذاتى الرفيق المحترم السيد محب الدين الخطيب الذي تركته بمكة سنة ١٣٣٤ ولم أراه الى اليوم والذي كان الوالد (الشريف حسين) له فى منتهى النوفاء . وقد استمرت جريدة القبلة تحمل اسم صاحب الامتياز محب الدين الخطيب حتى آخر عدد منها(١٤) » .

والى جانب صحيفة القبلة أصدر الخطيب جريدة الارتقاء جريدة علمية أدبية تاريخية صدرت أسبوعية وكان أول عددها فى نوفمبر سنة ١٩١٧ (الخميس ١٨ شوال ١٣٣٥ هـ) فى مكة المكرمة يكتب فى أعلاها لأستسهل الصعب أو أدرك المنى - صحيفة لخدمة النشء الجديدة من الشعب العربى وأنصار الأدب .

الدراسة التى أصدرها الخطيب فى ٢٥ أكتوبر ١٩٢٤ فى مجلة الزهراء بمناسبة سقوط الحسين بعنوان : « الحسين بن على كما رأيته فى ثلاثة سنوات » قال فيها أن الحسين عندما تولى (إمارة الحجاز) رسم لنفسه خطة أساسية وهى أن يستعين بقوة الدولة العثمانية على خسف شوكة جيرانه أمراء الأقطار العربية الأخرى ، ولإسيما السيد الإدريسى والامام بن سعود ليقتنع الأستانة بأخلاصه لها ، وليوسع نطاق إمارته بعضا الترك ، وليجعل لنفسه هيئة بين القبائل . . ان الاتماديين لم يحفظوا للشريف حسين باشا هذا الجميل ، بل كانت لهم أيضا خطة فى الحجاز يترقبون ألورص لتنفيذها - وهى أن يزيلوا إمارة الأشراف نهائيا ويجعلوا البلاد ولاية تدار بما يشبه إدارة المستعمرات . . وهو (الشريف) يمتاز بذكائه النادر فى فهم شئون الحجازيين واستكشاف ضمائهم المكين . . وقص الخطيب فيها كثيرا مما لاحظته من عادات الشريف أو نظام حياته مما يجعلها من الوثائق الهامة تفيد الباحث الذى يتناول الشريف حسين خلال توليه أمر الحجاز بالدراسة .

(١) الملك عبد الله : الامانى السياسية نقلا عن سليمان موسى :
وجود وملاح ص ١٤٤ .

الفصل السادس

دورة مع الحكومة العربية في دمشق

ظل الخطيب يعمل مع الشريف حسين مديراً لصحيفة القبلة وعطبة الحكومة العربية الهاشمية حتى دخل الجيش العربي دمشق بقيادة الأمير فيصل فاستأذن محب الدين حسين أن يزور دمشق لرؤية أقاربه وأسرته هناك فأذن له الشريف على أن يعود في أول فرصة • وأوصى ابنه فيصلاً عليه بكتاب كتبه الشريف بخط يده يقول الخطيب أن الشريف كان قلماً يكتب بخط يده بل يكلف كاتبه السيت أحمد السقاف بكتابه ما يريد لكن أمعانا في اظهار الحب للخطيب والثناء عليه كتب الشريف توصية للخطيب موجهة لابنه فيصل بوصيه بالخطيب خيراً ويثنى عليه •

يذكر الخطيب في مخطوط له أن سفره من الحجاز إلى الشام كان برفقة الأمير علي شقيق الأمير فيصل حيث قضيا مدة بالمدينة المنورة إلى أن تم الإصلاح المؤقت لسكة حديد الحجاز فسافرا عليها مغادرين المدينة في يونيو ١٩١٩ •

فبعد سفر فيصل الى باريس وعرضه للقضية العربية امام مؤتمر الصلح جاءت لجنة كنج كراين كما هو معروف .

فى هذه الفترة الحاسمة عيذت الحكومة العربية فى دمشق محب الدين الخطيب مديرا لمطبوعاتا . فقد وجدت فى أوراقه أنه بعد عودته الى مصر طلبا قدمه لقيد اسمه فى نقابة الصحفيين فى مصر ذاكرا فيه تاريخ حياته الصحفية . جاء فيه : عينته حكومة سوريا مديرا للمطبوعات مع جريدتها الرسمية (العاصمة) ومطبعة الحكومة بأمر رقم ٧٥٦٣/٢٠٢٣ فى ٢٠ يوليو ١٩١٩ .

قرر الخطيب اصدار صحيفة العاصمة مرتين اسبوعيا على غرار ما كان يفعل فى صحيفة القبلة التى كان يصدرها فى الحجاز ودراسة هذه الصحيفة (العاصمة) يرى الباحث صورة واضحة ومفصلة للأحداث التى مرت بها الحكومة العربية فى دمشق . رغم أن جريدة العاصمة حملت اسم جريدة الحكومة الرسمية (١٣٣٧ هـ) إلا أن الدارس لها يحس بفرق كبير بينها وبين القبلة لهذه الأخيرة كانت أشبه ما تكون بصحيفة وقائع تصدر الأخبار التى يسمح الشريف حسين بنشرها . أما صحيفة العاصمة فكانت أشبه ما تكون بصحيفة حزبية للعربية الفتاة التى كانت المسيطرة على دقة الأمور فى سوريا خلال تلك الفترة . وامتلات بالمقالات الحماسية التى أخذ الخطيب فيها يذكر اعتزازه بعودة الحكم العربى الى دمشق بعد أن حرمت منه مئات السنين فيقول مثلا تحت عنوان عروسى بلاد سام : استيقظى يا عروسى بلاد بنى سام والماسة ربوع الشام . فالزمان قد استدار مرة أخرى . استيقظى فإن النوم قد مضى ودور السكينة والتراخى قد انقضى (١) .

وفى أعداد أخرى يخاطب علم سوريا يكتب يقول : النجمة البيضاء (٢) لقد خفقت منذ عشرة أيام فى أجواء سوريا فخفت لك

(١) صحيفة العاصمة اول مارس (آذار) ١٩٢٠ .

(٢) العلم هو علم الثورة التى قادها الشريف حسين مشافا اليه نجمة مبابية بيضاء فى وسط مثلث احمر .

قلوب السوريين سرورا ٠٠ هي رمز الارتقاء ٠٠ هي رمز الثبات ٠٠
تلاى أيتها النجمة البيضاء شعاعك في الأفئدة الكثيرة (٣) ٠ وفي
الأكواخ الفقيرة وفي الأدمغة الصغيرة والكثيرة وفي الجموع الفقيرة
الى أن يعم النور مواطن النور ٠٠

وحين وصل الخطيب الى دمشق دعتة جمعية العربية الفتاة
لتكون عضوا في لجنتها المركزية التي تشرف على ادارة الدولة من
وزراء ستار ونيط به ادارة تحرير الجريدة الرسمية للحكومة واسمها
العاصمة وأبيح له أن يكتب فيها المقالات التوجيهية كما يشاء بلا
مراقبة ٠

صدرت العاصمة في وقت حاسم من تاريخ الحركة العربية وهو
وقت زيارة اللجنة الدولية z لجنة كنج كراين الى سوريا « فكان
دورها هاما في تعبئة الشعور القومي وموافاة قرائها بتطور الحوادث
أولا بأول ٠ كانت هذه الصحيفة مع صحيفة المفيد الدمشقية ورئيس
تحريرها خير الدين الزركلي وهو زميل الخطيب في العربية الفتاة
يؤديان دورهما في حملة التوعية الصحفية ومن ذلك ما كتبه عثمان
قاسم في جريدة المفيد فصلا حول تعيين الجنرال غورو مندوبا ساميا
وقائدا للجيش الفرنسية في سوريا يقول :

وليعلم كل مستعمر جاس خلال هذه الديار ان سوريا غير
مراكش وان دون سوريا فرط العتاد وليثقوا بأن اليوم الذي يتعين فيه
عصير سوريا على غير رغائب أهلها لهر يوم عصيب وفاتحة حرب
تشب لظاهما في العالم العربي من أقصى أفريقيا الى أقصى آسيا ،
فحذارا يا أبناء سوريا حذار فان الموت الشريف خير من حياة
ملؤها الذل ، وضعوا نصب أعينكم غاية واحدة هي الاستقلال
التام (٤) ٠

(٣) صحيفة العاصمة ١٨ مارس (آذار) ١٩٢٠ ٠

(٤) المفيد : ٢٠ أكتوبر ١٩١٩ ٠

كانت الصحافة هي المجال الذي رأى الخطيب أن يعطيه قدره الكبير من الاهتمام وقد سئل الأستاذ الخطيب عما إذا كانت المقالات التي يكتبها يتفق على عناوينها ومضامينها بقرار حزبي أم كانت تعبر عن رأيه الشخصي فقال ، بالطبع لم تكن هذه المقالات تعبيراً عن رأي شخصي فقط ، لأنها كانت تمثل رأي الأحزاب والشعب ولكن عناوينها لم تكن بقرار حزبي لأن وحدة الهدف كان متفقاً عليها وهي الاستقلال التام . فتحت عنوان وظيفة الارشاد كتب يقول :

ليس سواد الأمة قاصراً على طبقة المتعلمين والاعيان وتجار الحواضر الذين يقرأون الصحف اليومية ويراقبون سير السياسة العلمية والاختراعات الصناعية بل سواد الأمة هي المتكون من جماهير العمال وسكان القرى والعمال والحاكفين على شق الأرض واستنباتها ، قهؤلاء الذين يجب على المتعلمين أن يصرفوا همهم الى تنوير قلوبهم وعقولهم ، وترقية مواهبهم ومداركهم ليتكون للأمة رأي عام بواسطتهم (٥) .

ولذلك لم يقصر الخطيب جهده على العمل في مجال الصحافة في هذه الفترة الحاسمة من تاريخ الحركة العربية فقد رأى ضرورة تأسيس معهد علمي يقوم بتتقيف الناشئة في ٢٤ سبتمبر سنة ١٩١٩ مؤسسة علمية أطلق عليها اسم المعهد العلمي وجاء في البيان الذي نشره بهذا الخصوص :

« ان الأمة التي عقدت عزمها على الأخذ بأسباب الحياة ، والتحلى بصفات الرجولة لا ينتظر أن يدوم لها صفاء الايام بين الأنام أو يجلو لها الدهر عن ثغره حسن الابتسام الا اذا اعتمدت على تكوين قوتها على جانب التربية والتثذيب وغرست مسائل استقلالها في روض العلوم الخصيب . »

ومضى الخطيب في بيانه يقوم « ولقد بدأت ناشئة دمشق تدرك هذه الحقيقة وتحمل بمقتضاها ، وفي جملة ذلك شروعها بتأسيس

غرف للقراءة وقاعات للدراسة العملية على نحو الذى يرى القارئ
تفصيله فى نظام هذا المعهد العلمى الجديد .

« وبما أن هذا العمل النافع قد حصل بمساعدة كثير من أهل
الفضل رأيت اللجنة الادارية للمعهد العلمى أن لهم فى ذمتها حق
التنويه بفضلهم والاشادة بذكورهم فنشرت هذه الكراسة ذاكراً فيها
هؤلاء المحسنين باحسانهم ، مضيعة الى نظام المعهد بيانات تفصيلية
لوارداته ونفقاته جامعة لكل ما يتعلق بالمعهد العلمى من ساعة
التفكير بتأسيسه الى ساعة نشر هذا البيان . وسننشر بعد هذا
كراسات أخرى لكل ما يتجدد من شئون هذا المعهد معلنين أسماء
من ينضم الى أعضائه العاملين على ترقيته وبيانات مفصلة بما يهدى
اليه من كتب وصحف ومجلات وما تجود به نفوس المحسنين اليه من
قليل أو كثير والله من وراء القصد .

وقد صدر هذا البيان بتوقيع كاتب لجنة المعهد العلمى محب
الدين الخطيب وفى أوراق الخطيب التصريح الذى حصل عليه من
رضا الركابى بصفته حاكم سوريا العسكرى فى ٢٤ سبتمبر-
سنة ١٩٠٩ .

نوافق على ما جاء فى تقريركم عقد النية مع رفقاتكم الأماثل
— على تأسيس غرف قراءة ومدرسة ليلية باسم المعهد العلمى طبق
البرنامج الذى رسمته لنا طى التقرير المذكور راجين لكم التوفيق
والنجاح فى هذا المشروع الذى يعود على الأمة والوطن بالترقى
والفلاح على أن يتعهدوا كل البعد عن الأمور السياسية والتوقيع
حاكم سوريا العسكرى العام رضا الكابى . وكان السبب فى هذا
التنبية الى ابتعاد المعهد عن الأمور السياسية أن النظام الذى اقترحه
الخطيب له كان يتضمن انشاء مؤسسة ثقافية دون أن يكون لها
أهداف سياسية . فقد تضمنت لائحته :

١ — افتتاح غرف للقراءة لمطالعة الصحف والمجلات والكتب
العلمية والادبية المنورة لأذهان الناشئة والموسعة لمعارفهم .

٢ — تأسيس قاعات دراسة تعطى فيها دروس فنية لمن يريد
الاستعداد لدخول المدارس العليا .

٣ - تخصصيص دروس للشبان فى الانشاء العربى والخطابة .

٤ - تعلم بعض اللغات الغربية .

٥ - القاء دروس ليلية للاميين يتعلمون فيها مبادئ القراءة والكتابة والحساب وتلقى عليهم فيها مواظ اخلاقية .

وتضمن بيان لجنة المعهد كذلك انه لا مانع من انضمام اى شاب وطنى اليها مهما كان مذهبه والحق المنسوب اليه ، واللجنة تعد نفسها متضامنة مع كل فئة تسعى وراء هذه الغاية العلمية والتهديبية .

وقال البيان الغرض من هذا العمل علمى تهتيبي محض وليس له ادى علاقة بالامور السياسية والمذهبية . وكل مساعدة تسدى الى هذا العمل مادية كانت او معنوية ، وكل هدية تهدي للمعهد من كتب او صحف او غيرها تقبل مقرنة من اللجنة بالشكر . ونصت المادة السابعة من نظام لجنة المعهد انه لما كان نشر اللغة العربية اولا وتنوير اذهان العامة ثانيا هما الغاية المقصودة بالذات من هذا العمل فانهما يكونان مجانا ونقرر ان يقوم كاتب اللجنة (محب الدين الخطيب) بدعوة اللجنة الى الاجتماع فى الاحوال الطارئة ولا رئيس لهذه اللجنة وانما ينتخب الاعضاء واحدا منهم فى كل جلسة لادارتها .

وجدت بين اوراق الخطيب قوائم الذين فازوا بالانتخاب للجنة الادارية لهذا المعهد واحتفظ الخطيب فى هذه الانتخابات الشهرية بوظيفة كاتب اللجنة .

راى محب الدين الخطيب ان دوره فى تثقيف الشباب العربى فى هذه المرحلة الحاسمة دور هام وخطر والاجتماع به وتنويره واجب قومى .

لكن الخطيب بالاضافة الى دوره فى الصحافة وفى هذه الحركة التثقيفية كان له دوره السياسى كذلك فحين وصل الى دمشق - كما يذكر - فسمى ليكون عضوا فى اللجنة المركزية لجمعية العربية الفتاة وشاهد الاحداث عن كثب وشارك فيها .

أسس الخطيب مع زميله الشيخ محمد كامل القصاب للجنة الوطنية العليا في دمشق على أن يكون في البلاد الأخرى من سوريا لجان وطنية فرعية . ونشر قرار اللجنة العليا في جلسة يوم الاثنين ١٧ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٩ يتضمن ما يلي :

المادة الأولى : يتألف في كل حي من أحياء العاصمة السورية الثمانية والأربعين وفي كل بلد من البلاد السورية التابعة لها لجنة وطنية مرتبطة باللجنة الوطنية العليا من مندوب لجان الأحياء . . . وقوام كل لجنة من اللجان الفرعية من ستة أعضاء إلى اثني عشر عضوا ينتخبون انتخاباً قانونياً من أفراد الحي أو البلد الذي تنتمي اللجنة إليه .

نادت اللجنة أن غايتها اتخاذ كل الوسائل لحفظ وحدة البلاد السورية والذود عن استقلالها التام ومقاومة كل مبدأ يرمي إلى تأسيس قومية غربية تهدد كيان البلاد السورية والوحدة السورية . . . كما أخذت على عاتقها تنمية كل قوى البلاد اادية والمعنوية وتنظيم تلك القوى وحسن الاستفادة منها في سبيل الذود عن سوريا ويقضى ذلك انعاش الروح القومية العربية وتوثيق روابط التضامن والتعاون فيما بين الأفراد والجماعات والطوائف كذلك قررت اللجنة الوطنية العليا تعزيز اساعى العلمية والفكرية والاقتصادية والتوسل بكل ما من شأنه ايصال سوريا الى مصاف الأمم المحترمة .

وصدرت التعليمات الى كل لجنة فرعية في كل حي أو بلد أن يقوم بإرشاد أهل الحي أو البلد الى ما يجب عليهم نحو وطنهم بحسب الظروف والأحوال وتوثيق الألفة والمحبة والتفاهم بين أهل الحي حتى يكونوا كعائلة واحدة وتقوية الروابط الوطنية والقومية بين أبناء الوطن الواحد كلهم على اختلاف طوائفهم وأحيائهم وبلدانهم وتضع نصب عينيها تحويل الأمة كلها الى كتلة واحدة قوية تشعر بشعور واحد وتسعى لمصلحة واحدة .

وفي قرار اللجنة العليا الذي نشر في دمشق مطبوعاً في الحي الذي كان يقيم فيه الخطيب بدمشق (القيصرية) تضمنت المادة الرابعة

أن على كل لجنة فرعية استعمال الأساليب الحكيمة للامتزاج بأفراد
الحى أو البلد المنسوبة اليه وتوثيق الروابط معهم وجعلهم متقادين
لها فى كل المصالح والمشاريع العامة بحيث لا يقوم الأماهى بعمل له
علاقة بالحى أو البلد الا بمشورة اللجنة وبقرار منها ولا يعمل اعم
من ذلك الا بقرار من اللجنة العليا وعلى اللجنة الفرعية أن تنفذ
قرارات اللجنة العليا التى اعتبرت نفسها واسطة الارتباط بين كل
اللجان الفرعية الوطنية المؤسسة فى كل الأحياء والمرجع الأعلى
لها وهى تبلغ كل اللجان الفرعية القرارات اللازمة لتوحيد المساعى
وتهتم بكل ما يرد عليها من اقتراحات الفروع سواء أكانت مرسلة
من الفرع رأساً أم بواسطة المندوبين الموجودين فى اللجنة العليا
والذين يحضرون نيابة عن كل حى^(٦) . ونظمت اللجنة نفسها بحيث
لا يكون لها رئيس دائم بل خصصت لكل جلسة رئيس بأكثرية
الأصوات .

كان الهدف من عمل اللجنة الوطنية العليا كما يقول الخطيب
فى مذكراته تحويل دمشق وسائر المدن السورية الى ثكنات عسكرية
والأمة الى أمة مسلحة . وجاء ذلك عقب اذاعة نبأ اتفاق إنجلترا
وفرنسا على احلال الجيوش الفرنسية محل الجيوش الانجليزية فى
المنطقة الغربية من سورية وكذلك كيليكية واذاع المؤتمر السورى
بياناً الى الشعب أعلن فيه أن واجب الأمة التى يمثلها فى أمانيتها
ورغائبها يقضى عليها بالدفاع عن وحدتها واستقلالها وشرف قومها
الى آخر نسمة فيها تأييدا لـرغائبها التى أبدتها وتأميناً لوحدة بلادها
التي هى فرصة للتقسيم واستقلالها وهو عرضة للضياع^(٧) .

وكان عدد ممثلى الأحياء فى ابتداء أمرهم ٤٨ ممثلاً وكانوا
يجتمعون كل أمسية فى حى من الأحياء وطبقا لقرار يتخذونه من
قبل . فكانت اجتماعاتهم أشبه ببرلمان شعبى محلى متنقل يجتمع

(٦) المادة الخامسة من نظام اللجنة الوطنية العليا ، من أوراق
الخطيب وقد طبع قرار اللجنة فى مطبعة الترقى دمشق سنة ١٩١٩ .
(٧) أمين سميد : ج ٢ ص ٩٤ .

كل يوم في حي من الأحياء بدلا من اجتماعه في دار خاصة وأخذ عدد أعضاء اللجنة يزداد تدريجيا حتى بلغ المائتين في شهر ديسمبر ١٩١٩ وما قررته اللجنة في جلسة عقدتها يوم ١٨ نوفمبر في منزل عبد الرحمن اليوسف تأليف لجان فرعية لجمع المال اللازم للحركة الوطنية بنسبة اثنين في المائة من ثروة كل فرد من أفراد الأمة (٨) .

وقد امتاز الاجتماع الذي عقد في ٢ ديسمبر في النادي التجاري بدمشق باشتراك بطريك الروم الأرثوذكس ومطران السريان والمفتي والعلماء وبعد المناقشة والتأخذ والرد تقرر باتفاق الآراء لزوم الدفاع عن الوطن ودعوة كل طائفة من الطوائف الوطنية بواسطة رئيسها الروحي وزعمائها للاشتراك في الدفاع . وأهم ماقررت اللجنة تأليف كتبية من المتطوعين يبلغ عددها الألف تقوى تجهيزهم وإرسالهم الى ميدان القتال كما قررت إرسال وفود الى البلاد السورية للاتفاق على توحيد الخطة . وفي ١٠ ديسمبر ١٩١٩ أعلن الشيخ كامل القصاب في جلسة عقدتها اللجنة أنه قابل رجال الحكومة وأنهم على وفاق مع الشعب وأن الأمة قررت الدفاع وأن بعض رجال حي الميدان قد تطوع فعلا وسيضربون خيامهم غدا في المزة وكذلك سيفعل أهل الشاغور وأن الأخبار الواردة من بعلبك والبقاع تقول أن أهلها على استعداد للانضمام الى الحركة الوطنية .

وتطورت الأحداث باتفاق فيصل كلمنصو وعودته الى دمشق وينكر الخطيب في مذكراته أنه لما عاد فيصل الى دمشق وخرج المستقبلين فسأل عنه فقال له أخوه الأمير زيد أن محب الدين أصيب برصاصة في فخذه وهو يقلب مسدسه وهو الآن في منزله تحت العلاج فقال له فيصل بصوت خافت « ياليتها كانت القاضية » سمع ذلك أسعد داغر منه وأخبر الخطيب بذلك ويفسر الخطيب سبب العداوة التي أبداهما فيصل نحوه أنه (فيصل) باتفاقه مع كلمنصو أصبح في موقف يتناقض مع إيمان الرأي العام السوري ومع الاتجاه الصريح الذي ذهب فيصل من سوريا الى أوروبا ليدافع عنه وليتكلم باسم الأمة بما لا يخرج عنه ولا يخالفه .

(٨) المرجع السابق ص ١٠٢ .

ومن المعروف أن فيصلا سبقته الشائعات انه اتفق مع الفرنسيين وسلم لهم في جزء من سوريا واعترف بهم كأمم واقع محتل لجزء من بلاده فتخذ موقف الدفاع عن نفسه يتضح ذلك من خطبته في مساء الخميس ٢٢ يناير ١٩٢٠ في النادي العربي بدمشق . أنا والله لا تخفينى قوة الحكومة ولا قوة الجمعيات وإنما أخاف التاريخ والمستقبل وأخاف أن يقال فلانا عمل عملا لا يليق بآبائنا وأجداده الذين كانوا يسعون وراء الاستقلال وأرجو الأمة أن تعلم باننى في الغرب مثل ما أنا هنا لا أبذل كلامى سوا كفى أمام السياسيين أو فى احرج المواقف ومبذى هو أن تكون بلادى مستقلة .

ويحس فيصل بأزدياد المعارضة ضده فيقول نحن فى حاجة الى التعاون . الى التعاضد الى التكاتف الى العمل ، الى الود . . .

ويصف الخطيب موقف فيصل بعد عودته وتوقيعه لاتفاق فيصل كلمنصو أنه موقف المذبذب لا يغطى عواره كل ما أوتي من نكاه ومرونة . ويذكر الشيخ رشيد رضا أن فيصلا صب جام غضبه على اللجنة الوطنية العليا وعلى الشيخ كامل القصاب وباعتباره المحرك لهذه اللجنة وجاهرت العربية الفتاة فيصلا - على حد قول الخطيب بالمعارضة الصريحة (٩) . فقد عقدت هيئتها الادارية الثانية اجتماعا سريا فى منزل الدكتور أحمد قدرى وحضر فيصل الاجتماع ومعه مشروع اتفاهه مع كلمنصو فلما عرضه تم الاقتراع ضده فدافع عنه فيصل وقال أن رفض المشروع معناه إعلان الحرب على فرنسا فقالت الهيئة باستعدادها لإعلان الحرب على فرنسا وأنجلت. معا وانتهى الاجتماع باصرار الجمعية على رفض المشروع . .

وحاول فيصل اقناع أعضاء العربية الفتاة بمشروع اتفاهه فقابل بعضهم منفردين يحاول اقناعهم بمشروعه ثم استشار رضا الركابى الذى أشار عليه بأن يعمل لاقالة الهيئة الادارية للجمعية

(٩) المنار : م ٣٢ ج ٩ ص ٧١٢ - السيدة سهيلة الريمادى : الحياة الحزبية فى سوريا رسالة دكتوراه .

واستبدلها بأخرى ويوافق فيصل مبدئياً ويتم عقد لقاء في منزل رضا الركابي .

ويقول الخطيب « جاهرته العربية الفتاة بالمعارضة الصريحة وفي اجتماع لها في منزل الحاكم العسكري الفريق علي رضا باشا الركابي سمع تصريحات متعددة بأنه فرد في جماعة وأنه ينبغي له أن لا يقطع أمراً إلا بموافقة من يتكلمون باسم الأمة ومن يحملون أماناتها » . كان توفيق الناطور أحد أعضاء الجمعية قد خاطب فيصلاً في عنف وحده بهذه الصيغة فأجابه فيصل : أنا لا أكون ملكاً ختاًما أي لا يكون ملكاً بالاسم مهمته أن يختم على ما يقرره غيره فأجابه الجمعية أن الأمة تعيش في عصر الشورى والملك الذي لا تؤيده جمهرة المثليين للأمة لا يتمتع بالقوة التي يحتاج إليها في سلطانه . وبدأ فيصل يتصدى لهذه الحركة المناوئة له . فأصدر أمره بتعطيل عدد من الصحف منها جريدة الدفاع الدمشقية التي كان يصدرها الزركلي والتي تعكس وجهة نظر اللجنة الوطنية العليا ثم استعان ببعض من أسماهم الخطيب بالرجعيين في تأسيس الحزب الوطني السوري .

وقد تشكل هذا الحزب في ٢٥ يناير ١٩٢٠ اثر اتساع الانشقاق بينه وبين العربية الفتاة فانضم الي فيصل عدد من أعضاء هذه الجمعية وعدد من الأعيان والوجهاء ولذلك أطلق عليه حزب الذرات فكان منهم الشريف ناصر ، عبد الرحمن اليوسف ، فوزي البكري وكان رئيس هذا الحزب عبد الرحمن اليوسف وسكرتيه محمد الشريفي (١) .

وكان الهدف من تأسيس هذا الحزب مواجهة اللجنة الوطنية العليا والعربية الفتاة على نحو ما يقرر مصب الدين الخطيب في مشكراته ولم يطل عهد المشادة فقد وضع لها الجنرال غورو من بيروت حداً بالانذار الذي وجهه الي فيصل بعد أن مرت بالحكومة العربية في سوريا التطورات المختلفة التي لا مجال لسردها .

(١٠) عزة دروزة : الحركة العربية الحديثة ج ١ ص ٨٦ - ٨٧ .

ويعصف الخطيب أحداث هذه الفترة في مذكراته • كانت العربية الفتاة قد أودعت في منزله عددا من الأسلحة والبنادق تسلمتها الجمعية من ياسين الهاشمي قبل أن يخطفه الانجليز في سيارة عسكرية تأخذه الى مدينة الرملة في فلسطين • وقام الخطيب بتوزيع هذه الأسلحة على أفراد الحى الذى يسكن فيه فى دمشق وهو حى انقيمرية دفاعا عن النفس ذلك أن الأمن أصبح مختلا فى العاصمة السورية الرصاص يسمع فى أنحائها احتجاجا على قبول فيصل للانتذار الفرنسى وبادر الأهالى بترشاد اللجنة الوطنية العليا الى حمل السلاح والخروج الى ميسلون وفى مقدمتهم يوسف العظمة وكانت النهاية للدولة العربية فى سوريا •

وتوارى الخطيب فى أحد منازل ذوى قرياه بعد يوم ميسلون الى أن تمكن من تغيير مظهره وانفق بعض أقاربه مع تاجر جمال من أعيان النجديين من آل البسام فى دمشق على أن يسافر محب الدين برا مع قافلة من الابل ورعاتها وكانت على أهبة السفر من دمشق عن طريق فلسطين وسافر الخطيب منتكرا فى زى تاجر جمال ووصل الى بحيرة طبرية ومدينة صفد ثم واصل سفره مع القافلة حتى بلغ يافا • وفى يافا تمكن من استخراج جواز سفر باسم مستعار هو عبد الله بنو الفتح راستطاع بهذه الوسيلة أن يسافر منها الى القاهرة بالقطار •

وفىها كان مستقره عرض عنه نجيب الارمنازى أن يحل محله فى تحرير الأهرام ولبث يعمل فيها نحو خمس سنوات الى أواخر سنة ١٩٢٥ وكان فى خلال ذلك قد أسس الى جانب المكتبة السلفية ومطبعتها - مجلة الزهراء وهى مجلة أدبية اجتماعية شهرية استمرت عدة خمس سنوات بدأت فى أغسطس ١٩٢٤ •

ثم أسس صحيفة الفتح فى مايو ١٩٢٦ الى نوفمبر ١٩٤٨ وعن طريقها مضى يكمل رسالته فى خدمة أمته العربية فقد حفلت بالدفاع عن القضايا العربية المختلفة وتصدى لها الاستعمار فى بعض البلاد العربية بمنعها من الدخول ومثال ذلك ما حدث فى سوريا إبان الحكم الفرنسى لها ومضى الخطيب يكمل رسالته حتى وافته المنية فى ديسمبر سنة ١٩٦٩ •

قائمة المصادر

(عربية)

وثائق غير منشورة :

اعتمد البحث على الوثائق العديدة التي يحتفظ بها ابن المرحوم الاستاذ محب الدين الخطيب في مكتبته والتي اشرت الى بعضها أثناء فصول هذا البحث .

وفي مقدمة هذه الوثائق :

- ١ - سيرة جيل مخطوط كتبه المرحوم محب الدين الخطيب .
- ٢ - الجيل الذى عاصر بعث العروبة .
- ٣ - وثائق جمعية النهضة العربية .
- ٤ - وثائق مراسلاته مع رفيق العظم حول جمعية الشورى العثمانية .
- ٥ - وثائق اعلان الدستور (مكاتباته مع رفيق وحقى العظم) .
- ٦ - وثائق حزب اللامركزية .
- ٧ - وثائق حزب العربية الفتاة .
- ٨ - وثائق حزب الجامعة العربية .
- ٩ - مذكرات رشيد رضا التي قدمت لرجال الدولة البريطانية . ١٩١٥ .

- ١٠ - رسائل الخطيب في مهمته الى الخليج .
 - ١١ - مذكراته عن اعتقاله في البصرة والالتماسات التي قدمت للسلطات البريطانية بخصوص الافراج عنه .
 - ١٢ - مذكراته أثناء عمله مع الشريف حسين .
 - ١٢ - مذكراته مع اللجنة الوطنية العليا - لجنة المعهد العلمي .
- وثائق غير منشورة :

(أوروبية)

F.O. 371 — 2140 — 2143

F.O. 371 2479 — 2480 — 2481 — 2486

F.O. 882/4/882/14 —

882/12/882/16

882/13

المراجع العربية :

- ١ - أحمد أمين
زعماء الإصلاح في العصر الحديث .
- ٢ - أمين سعيد
الثورة العربية الكبرى مجلدان مطبعة الحلبي بدون تاريخ .
- ٣ - أمين الريحاني
ملوك العرب .
- ٤ - توفيق بروج
العرب والترك في العهد الدستوري العثماني معهد الدراسات العربية ١٩٦٠ .

- ٥ - رجب جراز
الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب • مجازرات في معهد
الدراسات العربية ١٩٧٠ •
- ٦ - رفيق العظم
آثاره مقدمة بقلم رشيد رضا •
- ٧ - سليمان فيضي
في غمرة النضال بغداد ١٩٥٢ •
- ٨ - سليمان موسى
الحركة العربية بيروت دار النهار ١٩٧٠ •
- ٩ - سليمان موسى
وجوه وملاحم مطبوعات وزارة الثقافة والشباب ، الحكومة
الأردنية ١٩٨٠ •
- ١٠ - ساطع الحصري
نشوء الفكرة القومية بيروت ١٩٥٦ •
- ١١ - ساطع الحصري
البلاد العربية والدولة العثمانية مطبوعات معهد الدراسات
العربية ١٩٥٧ •
- ١٢ - سهيلة الريمأوى
الحياة الحزبية في سوريا ١٠٥٨ - ١٩٢٠ رسالة دكتوراه •
- ١٣ - صلاح القاسمي
آثاره مقدمة بقلم محب الدين الخطيب ١٩٥٩ •
- ١٤ - عبد الكريم غرايبة
سوريا في القرن التاسع عشر •
- ١٥ - محمد أنيس
الدولة العثمانية والشرق العربي ، الانجلو بدون تاريخ •

- ١٦- محمد بهجة البيطار
بحث عن الشيخ احمد النويلاتى الفتح المجلد الرابع عشر .
- ١٧- محمد عبد الرحمن
برج عزيز المصرى والحركة العربية ، الاهرام ١٩٧٩ .
- ١٨- محمد عزة دروزه
حول الحركة العربية الحديثة ج ١ صيدا ١٩٥١ .
- ١٩- مصطفى الشهابى
القومية العربية مطبوعات معهد الدراسات .
- ٢٠- منير شبيكة
الحرب والسياسة البريطانية فى الحرب العالمية الاولى بيروت
١٩٧١ .
- ٢١- محمد النين الخطيب
المؤتمر العربى الأول القاهرة ١٩١٣ .
- ٢٢- محمد ظاهر العمرى
تاريخ مقدرات العراق السياسية ج ١ بغداد ١٣٤٥ هـ .

مراجع أجنبية :

- Bremond : Le Hedjaz dans la Guerre Mondiale Paris
1931.
Khedourie (Elie) England and the Middle East (London)
1956.
Khedourie (Elie) In the Anglo-Arab labyrinth 1976.
Philip Magnus : Portrait of an imperialist
Stein, Leonard : Syria London 1926.
Storrs, Ronald Orientations Lord. 1937.
Zeine The struggle for Arab independence Beirut 1960.

الدوريات :

- أعداد القبلة : ويحتفظ بها الأستاذ الخطيب
- العاصمة : وهي موجودة كذلك بعض أعدادها في مكتبة الأستاذ الخطيب

• المنار : ١٩٠٩ - ١٩١٢

المفيد

- المؤيد : الأعداد من أكتوبر ١٩١١ إلى ديسمبر سنة ١٩١١

المقتبس

الفتح

الزهراء

ملاحق البحث

الملحق الأول

صورة تقريير

عن شهر أكتوبر ونوفمبر ١٩٠٧

جزيرة قبران (اليمن) ليلة الجمعة ، ٦ ديسمبر ، ١٩٠٧

اخوتي الافاضل :

أظن أننا قد مر على الفتنا وإخائنا من الزمن ما يكفي لأن نكون من الشجاعة بمكان لانتزع فيهم عن الثبات على الأساس من مبادئنا ولو مهما اعترض سبيلنا من العقبات وناب أقدامنا من العثرات ، نحن ثابتون فالصدفة والثبات رأس مالنا وعدتنا على هذه الحياة الجليلة الوعرة ليس إلا .

كنا في أول ارتباطنا (نرش على الموت سكرًا) لأجل أن تحلو الحياة لنا ، لأجل أن ترتبطوها قد ارتبطنا .

يجب بعد الآن أن نتكلم بالحقائق ، يجب أن نعرف كل شيء ويجب أن لا نتعافل عن شيء . نعم ، يجب أن نتجرأ فنتجرع كل ما يلزمنا شربه مما يسمى حقيقة ؛ لأنها دوائنا وإن كانت مرة في بعض الأحيان ، فإذا نحن قبلناها وإذا نحن شربناها فهو هو الثبات هذا ، وهو هو الذي سيكون رأس مالنا وحذار من خسارته ، لأن عُدفع الافلاس - والعياذ بالله - من خلفه ، لأننا نكون عندئذ أنبي من الدينيتين . ويصدق على الشرقي قول الغربي عنه أنه لا ثياب له وليس لحضارته أيضا ثبات ، يريد بذلك أننا أوضح درجة في الانسانية منه .

نريد أمة جديدة فاضلة - تتطلب المنفعة المشتركة ، وتحب الدأب على العمل والاعتماد على النفس ، مركبة من حكومات متحدة ، جنديتها ، مآليتها ومعارفها واحدة • تدار كل واحدة منها في باقى دروع الحكومة حسب ما تقتضيه بلادها وتاريخها ، على أن تكون كلها ديموقراطية نعم نريد ذلك غير متعجلين ، ولا نحن مقيّدون بزمن •

وكلنا يعلم أن للعمل الذى يتحصل منه هذه النتيجة أدوات مهمة مثل (المدارس) (الصحافة والطباعة) و (التمثيل) و (الجمعيات الخطابة) و (الشركات المادية) وغير ذلك وكلنا يعلم أن لا معمل ليذا المحصول إذا لم تكن هذه الأدوات •

ولما كان من المقرر لدينا جميعا أن قوة الفرد ليست كقوة الجمع وأن من الاتحاد قوة أعظم من قوة الانفراد ، اجتمعنا مساء الاثنين ثامن ذى العقدة عام أربع وعشرين وثلاثمائة ألف • ومازالت الجمعية ترتقى وتنظم ويزداد أعضاؤها حتى أصبحت اليوم ومنها خمسة عشر عضوا بعد السنة أعضاء وفى صندوقها ٢٥ جنيها عثمانيا ذلك الأمر الذى لم يكن ليخطر يوم تأسيسها على بال أذن فنحن بالنسبة الى ضعفنا على تقدم وإن كان بطيئا •

ولكننا فى حاجة الى معرفة مركزنا الحاضر أكثر مما نعرفه وهى حاجة أيضا الى التفكير فى الطريق التى تزيد قوتنا بكل أنواعها •

قلت أن كعبة الآمال التى نحث السير مجدين إليها لا تكون إلا بوجود المدارس والصحافة والطباعة والتمثيل والجمعيات والخطابة والشركات المادية الى غير ذلك من ماكينات الحضارة ولكن ما هى درجة أمثال هذه الأدوات عندنا بالنظر الى ما يجب أن تكون عليه ؟

سؤال صعب جدا الجواب عليه • أما أنا فقد كنت قبل الشهرين الأخيرين أنظر الى هذه المكينات ودرجتها فى التقدم كما أنظر الى

المطبعة التي تديرها أيدي الرجل بالنسبة الى المطبعة التي تديرها أيدي البخار . ولكن ما لبثت بعد الاختبار المحزن الذي حصل لي في المدة المذكورة حتى صرت أريد أن أراها أو أثنى أراها كالمنجنيق أمام المدفع والأسطول الفينقي في مقابل الأسطول البريطاني : حالة محزنة ولكن يجب أن نتشجع .

مدارسنا اتعلمون ماهي مدارسنا ، نحن ليس لنا مدارس . أن ما في بلادنا من هذه المعامل هي أما لخوري أو لشيخ أو لسائس أو لاداري وكلهم غيرنا ، لأنهم يأخذوننا الى غير الكعبة التي نحن ذاهبون اليها . صحافتنا ، آه ، ماذا أقول عن صحافتنا ، أنتم تعلمون صحافة سوريا ، وأقول لكم عن صحافة وادي النيل أن محورها الأساسي (المنفعة الشخصية) وكفى لهذه الصفحات القليلة التي اكتبها كلمة كهذه في وصف صحافة مصر ، أحزاب متباينة ومشاغبات وليس في أعمدها مع ذلك ما يفيد فائدة تمسك وتلمس بالأيدي .

وبكل أسف أذكر أحم أنه ليس للمجلات في القطر المصري رواج ولا تعدو التافه من الجرائد . ومع ذلك فلا بأس من أذكر هنا كلمة للأستاذ الشيخ ظاهر الجزائري بشأن المطالعة والرواج وهي : أن الأمة لاتزال الآن في سن الطفولية ، ودعوتها الى مطالعة النافع يجب أن تكون بالاحتيال عليها وباستعمال الوسائط لنشر ماينفع بينها أو ما يقال من أن الأمة لا تقرأ النوع الفلاني من الكتابات هو حديث خرافة ، إذن فمن الممكن اذا أحسنت اشاعة النافع وإعلانه أن تقبل عليه الناس . أما التمثيل فانه أدنى بكثير من الصحافة . وعندى أن سامي أفندي الذي يمثل في دمشق اليوم أهم بالنظر الى سنه من كل من رأيت من أهل هذه الصناعة بين الناطقين بالعربية والشيخ سلامة حجازي معهم هذا مع نقد الروايات التمثيلية في لساننا . وقد أثنوا على عزيز أفندي عيد ، ولكن لم يسمح لي الوقت بمشاهدة تمثيله وهو لا يمثل في هذه الأوقات الا المضحكات (كوميديا) .

هذا واني أرى أن الجمعيات والخطابة عندنا من نوع الصحافة من حيث الرقي . وأدنى من ذلك شركاتنا المادية لأننا لا نرى مثلاً

سكة حديدية حتى الآن وما أشبه هذا ، أجتمع على انشائها جمع من تجارنا واغنيائنا . هذه هي العامل الحضارية عندنا ، ولكن الأمة لا تخلو على ما يظهر من نبضات بين عروقها ، وإن المتحرقة أكبادهم من الشبان ليسوا بالقليلين كما أنهم ليسوا أيضا كثيرين فعن هؤلاء يجب أن نبحث وحال هؤلاء يجب أن يدرس هؤلاء يجب أن نكتبهم ونصادقهم .

اذن فالخطة التي يجب الجرى عليها في الوقت الحاضر هي متابعة السير الأول من حيث مطالعة كتاب نافع في ليلتين من الأسبوع ، والقاء خطبة أو خطب في ليلة منه والاشتغال بدروس اللغة ، ما أمكن هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن صندوقنا سيقوى أكثر لأن اثني عشر واحدا منا يضع كل واحد منهم ريالاً مجيدياً في كل شهر وثلاثة يضع واحد منهم ثلاثة بـشالك هذا وإن على للصندوق عشرة جنيهاً عثمانية وقد استرددت من محمد أفندي كرد على خمسة جنيهاً فرنسوية التي كنا أرسلناها إليه للطبع عمران دمشق وللصندوق في نمى من زكى الخطيب وصلاح العظم وعثمان مردم بك وعلى له أيضا ما يجب على من شهر رجب الى شهر ذى القعدة وله أيضا ما يقرب من نصف مجيدى وربما كان له أشياء غيرها لا أتذكرها الآن وله غير ذلك فائدة هذه الدراهم أو صار لها عندى خمسة شهور تقريبا . من أجل ذلك أقر للصندوق بعشرين ليرا عثمانية دينا على أفيها له فى أول فرصة وقد أصبحت تقريرى هذا بسند على فيما ذكرت .

إذا تقرر هذا يكون كل منا على يقين من أنه سيتجمع لدينا فى آخر السنة الثانية للجمعية خمسون أو ستون جنيهاً تقوم بنفقات طبع كتاب (الحرية) لجول سيمون فى ثلاثة أجزاء من تعريب صاحب المقتبس وربما كان يزيد ما معنا أن نشاء الله .

قدمت لكم أن أمتنا على غاية من الانحطاط والتأخر فى جميع مايلزم لنهضتنا وأنه لا أمل إلا بتلك النبعات الخفية الا وهى الشبان الذين هذبهم الطبيعة ومواهبهم وعوامل الضغط . وإن على هؤلاء

اعتمادنا فقط اذا كان يجوز لنا ان نستعين بالاعتماد على شيء آخر بعد الاعتماد على النفس . فى خطتنا الجديدة — اذن — على ما ارى — ان نراقب حال المحترقة أكبادهم والمستعرة ضمائرهم لما سقطت فيه هذه الأمة من التدنى والانحطاط . من ١ كتابنا و ٢ كتاباتنا و ٣ — ان ندرس ايضا حالات جمعياتنا ومقاصدها وقواتها وتراجع اعضائها وذويها .

هذا وقد اتخذت لى دفترنا صغيرا اكتب فيه اسم كل من اقرأ له شيئا ينطبق على مبادئنا وخطتنا وانك ترى فيه الآن مثلا من أسماء .
(وهنا ذكر اسماء كتاب وكتابات وجمعيات فى أمريكا)

سوف ادرس مبادئ هؤلاء النافعين واكاتب من اختار منهم بمواضيع حياتية مهمة .

أما أحوال أمثال هؤلاء ممن فى مصر فسوف اكتب لكم عنها فى فرصة اخرى . وما أسفت له كثيرا اى قبل سقري من القاهرة بليلة واحدة كان قدم كرد على من الاسكندرية وطنطا وواجه مصطفى صادق الرافعى فتمنى له الرافعى اجتماعى به فى القاهرة وأرسل لى معه سلاما ولكن بكل أسف غادرت القاهرة لأنى كنت يومئذ قد أزمعت السفر وكتبت الى السويس بمجيئى فلم يمكننى الترويض . .

هذا وانى سوف أعمل للجمعية هنا دفاتر مخصوصة احفظ فيها صورة كل ما يصدر من هنا ونص مايرد فى ما يتعلق بالجمعية وكل ذلك بقيود مخصوصة لأجل التسهيل والانتظام .

واننى اقترح على كل واحد منكم أن يفكر كثيرا ويكتب بنفسه قانونا للجمعية فى جميع ما يخطر له ويرسل لى ذلك واننا استخرج من مجموعة الكل قانونا أرسله لكم لترون فيه رأيكم وانما احببت أن ترسل لى هذه الأوراق لأن عندى يكون كل شيء أسهل وأمن .

وبعد فان ما ذكرته لكم من خطتنا هو لأجل هذه السنة وقد بحثت يوم كنت فى القاهرة انا وأخى صلاح العظم فى حالة الطباعة والصحافة والعلم فى تلك الديار وقررنا ماياتى :

أعمالنا بعد ثلاثة أعوام فما بعد :

١ - نؤسس شركة مساهمة بتبديء براسمال ثلاثة آلاف الى خمسة آلاف جنيه مصرى تكون مائة سهم ثمن كل سهم ثلاثون جنيها . اذا كان راس المال ثلاثة آلاف وخمسون اذا كان خمسة آلاف ويسمح لمن يريد أن يشترك بنصف سهم فقط فأكثر اذا أرد ولا يدخل فى هذه المساهمة الا من كان من جمعيتنا .

٢ - المبدأ الأساسى لهذه الشركة هو أن تشرع دائما بما يمكن الزيادة عليه فى المستقبل بمعنى انها ترقى باتيان ما هو قليل فى حد ذاته اذا كانت دراهمها قليلة بشرط أن يكون فى الدرجة الاولى من الاتفاق وترجح ذلك على أن تأخذ شيئا كبيرا أو وافرا ولكنه دنىء فى حد ذاته وتكون ملجأة بعد الى خسارته فهى اذن ستبتدىء بشراء ما كان جيدا متقنا من الزم حوائجها ثم تسعى لاستعمال ذلك فى السنين الآتية الى أن يكون لها فى القطر المصرى مجموعة من أدوات العلم ونشره لا يتسنى لغيرها الحصول عليه مجتهدا وانما فى أن يكون لها من لاتحاد قوة تسبق قوة الأفراد بفراسخ .

٣ - يجب، الثانى وعدم التسرع فى عظامم الأمور وان لا نحمل أنفسنا مالا حقاقة لها به مادة كان ذلك أو أديا وسيضمن لنا المستقبل اذا نحن سرنا على هذا الطران بالرقى الاكيد ، ولا خير برقى عاجل . ركل ما ينشأ سريعا يضمحل سريعا وحسبنا دليلا فى ذلك صاحب الجامعة وحاله يوم كان صاحب مجلة فقط ما صار اليه بعد اصداره جريدته السياسية من التأخر لأنه أصبح لا يستطيع القيام بالتحرير والنفقة فهبطت المجلة حتى كانت نسختها الأخيرة عديدين فى ملزمتين لا يوجد فيها من قلمه الا بعض أسطر له وحتى كانت الجريدة أسبوعية بعد أن كانت يومية ولا ندرى ماذا سيكون حال هاتين أيضا .

٤ - يلزمنا ابتياع (مطبعة) من الطراز الاول مثل مطبعة المؤيد واصطناع حروف (مثل حروف مطبعة المعارف في القاهرة واسم المطبعة (مطبعة النهضة العربية) .

٥ - اصدار جريدة بنصف قطع الجرائد العربية ولكن في ١٦ صفحة نصفها يكون على ورق بسيط كورق المؤيد مثلا ويكون للاخبار الوقتية والاعلانات والنصف الثاني على ورق جيد مثل ورق الهلال مثلا ويكون للمقالات والقصائد والأقوال والاخبار الخالدة .

هذه الجريدة ستكون يومية وسيكون اسمها (النهضة العربية) ونحرمها أنا وجميع من يقدم القطر المصري من جمعتنا والاحسن ان تصدر في القاهرة كجريدة سياسية مصورة .

٦ - اصدار مجلة سياسية اجتماعية تنتشر في اول كل شهر عربي وفي نصفه في خمس ملازم امولى أنا تحريرها ويشاركني فيها الباقون وستكون على أجمل ورق مصورة ، وتسمى مجلة النهضة .

٧ - اصدار مجلة علمية اجتماعية على رأس كل شهر عربي تكون في عشر ملازم يتولى تحريرها صلاح الدين القاسمي ويشاركه فيها الباقون وخصوصا زكي الخطيب وتدعى (العلم والاجتماع) وتكون مصورة .

٨ - اصدار مجلة أدبية تنتشر في منتصف كل شهر عربي ، تكون في عشر ملازم يتولى تحريرها عارف الشهابي ويعينه عليها صلاح القاسمي ورشدي والباقون ، تدعى (الأدبيات) وتكون مصورة .

الملحق الثاني

مصر ١٧ يونيو ١٩٠٨

عديقتنا الفاضل

وصلتني كتابكم الكريم وتلاه كتاب ثان تبشروني فيه باستثمار
غرسكم الطيب جزاكم الله على جميل سعيكم خيرا الجزاء .

وقد سرني ان وقع اختياركم على الاخ الفاضل الدكتور (ح)
الذي أعرف والده من افاضل ابناء الوطن فلا جرم ان نصب مثل
أنشكورت الهمام وأنا لا أشك أيضا في ان الدكتور (ب) الذي اختاره
الاخ الموما اليه هو من خيرة العثمانيين لأن الخير لا يختار الا
الخيرين . ايكم الله بعونه جميعا ورفع بكم منار الحرية المنير في
تلك الأرجاء المظلمة بالظلم .

عما قريب نرسل اليكم قانون الجمعية كي تكونوا على بصيرة
في اللائحة الداخلية التي أخذتم بوصفها لشعبتكم الا اني انبهكم
الان الى امرين مهمين وهما كيفية الدخول والمرتب الشهري الذين
شرحتم لنا فكركم عنها . أما المرتب وهو ريال محيدي كل شهر فكثير
وليس على الداخل أن يدفع الا ثلاثة قروش صاغ وما يزداد على ذلك
نلمطلق اختياره سواء شرع به دفعة واحدة (وجعله على نفسه مرتبا
شبهريا أو بالجملة يراعى في هذا الامر حال الداخل وثروته) .

أما كيفية الدخول فهي كما ذكرتموها الآن الداخل لا ينبغي له
محرفة أحد من الجمعية الا من فوقه أو من تحته أي الذي ادخله
والذي دخل بواسطته ثم ان لكل مؤسس شعبة أن يكون رئيسها الا اذا
وكل داخل توضع نمرة الفوقية من فوق ونمرة شعبته تحت .

تنازل عنها لغيره . ولذا فانتم الآن ١٤/١ فشعبتكم هي الشعبة ١٤

ثم ان هناك شرطاً لم نضعه بالقانون لأنه قانون عام لجمعية حرة ٠٠ وهذا الشرط هو عقاب كل من يخون الجمعية بالموت والشعبة هي التي تكلف باجراء العقاب على كل من يخون منها اما بالاقتراع أو بانشاء فرع لكل شعبة من الفدائيين ٠٠ يولج بأمثال هذه الأعمال والأمر الثاني الى الآن لم نتوقن اليه فبقى الأمر الأول وهو الذي ينبغي أن يعرفه كل داخل في الجمعية ويقبله على نفسه ان لا يخفكهم أن جماعات الفدائيين لا يكونون الا من الطبقة النازلة وهؤلاء هم الذين تتألف منهم شعب السيف والنار وجبذا لو أمكنكم العناية بهذه النقطة اذا كان ثمة من يوفق به من هذه الطبقة وأكثرهم على ما اعتقد بتعادون الصدقة فهم أهل للثقة أكثر من الطبقة العالية ففاوضوا الأخ (ح) بهذا الأمر ٠

صديقي العزيز

أخذت كتابكم وعلمنا انكم الفتم شعبة لجمعية الاتحاد والترقي واستحسنتم رأينا بانضمام جمعيتنا الى الاتحاد والترقي ثم رصن الكتاب التركي المضي من الضباط وغيرهم في شأن فيضى باشا وقد كنا أخبرناكم اننا كتبنا الى الجمعية في أمر الانضمام وقدمنا الكتب المرسل من جهتكم وما وصلنا الكتب من عدن وغير ذلك أيضا من معلوماتنا المتعلقة باليمن وإلى هذا اليوم لم نأخذ جواباً عن شيء من ذلك قط مع أن بعض الأتراك المتصرين أرادوا الدخول بالجمعية في الاستانة فحولهم علينا بداعي أن جمعيتنا ستكون بمصر تابعة للاتحاد والترقي وإلى الآن لم يرد منهم إقرار رسمي على هذا الانضمام لذا فقد صار عندنا شك في الجماعة وأنه لا يهتمهم سوى المركز أو جمعية تناشد المركزية وهو خطأ كبير سيعلمون حقيقته ان ظهر أدنى باعث على تحرك حزب الاستبداد في الولايات الأخرى وهو ما يخشاه وتدعو الله أن يدفع أذاه عنا خصوصاً في هذه الآونة التي اشتدت فيها الأزمة الخارجية وكثر حزب الفساد في الاستانة ٠

على أننا قد حولنا وجهة مخابراتنا الآن الى البرنس صباح الدين بك واليه أرسلنا الكتاب الأخير المرسل من اخواننا في الحديدة وقد عمل الناس على تثبيت دعائم جمعيتنا بسفر حقي بك الى الاستانة

والراجح انه يسافر بعد الغيبة ولولا شدة البرد فى الشتاء هناك
لسافرت انا 'يضا لكن الخوف على صحتى المعتلة منعتنى من ذلك
كما منعتنى عن ترشيح نفسى لعضوية مجلس « المبعوثان » مع رغبة
فريق كبير من أهالى سوريا بانتخابى لذا أرى أن أؤجل سفرى الى
أوائل أيام الربيع وسنصدر جريدة شورائى عثمانى التى أوقفناها
هنا وربما يصدرها حقى بك قبل وصولى الى الأستانة ولذا كان بودى
لو تريتكم قليلا فى تأليف شعبة الاتحاد والترقى ولكن تعجلتم ولعله
الخير أن شاء الله .

بلغنا منذ يومين اقالة فيضى باشا من اليمن ولم نتحقق الخبر
ففساه يكون صحيحا ان شاء الله .

مر علينا الدكتور عزيز وأبلغنا تحياتكم وأخذنا المعلومات
اللازمة وقد توجه فى الأسبوع الماضى الى الأستانة ومن المؤسف أن
جريدتنا التى تسمع صوتنا متوقفة الآن والا لكننا نشرنا فيها ما علمناه
منه ومنكم وكل آت قريب .

كنا نظن ان ابن عمنا شوقى بك فى داخلية اليمن لا فى الحديدة
لانكم لم تذكروا لنا اسمه قبل اعلان الدستور قط ولذا لم نذكره لكم
نحن ايضا فبلغوه سلامنا الكثير وثنائنا على شجاعته التى نعهددها
فيه وقد جدد لنا ذكرها الدكتور فلم يذكرنا بشيء جديد بل هو شيء
نعهدده فى ذلك الشبه منذ نشأته . اخبار الدولة تسوء كل محب لها
ومع ذلك فرجاؤنا جميعا أن لا تكون حرب بينها وبين الاعداء الآن
لأن انجلترا واقفة وقوف السد فى وجه أوروبا وهى منة لها لا ينساها
العثمانيون قط بقطع النظر عما تخدم به مصلحتها وفى المحافظة على
كيان الدولة اذ المصلحة متبادلة والنفع مشترك قلها الشكر على كل
حال .

بلغوا تحياتنا الى كل الاخوان والسلام عليكم ورحمة الله .

١٩ أكتوبر ١٩٠٨

رفيق العظم

كنتم أشرتم في أحد كتبكم الى عزمكم على الاستغفاء لأجل
الاشتغال بالصحافة والطباعة وإذا اصررتكم على هذا الرأي فحيذا
لو جعلتم هذه الخدمة قاصرة على اليمن الآن لأنها في حاجة شديدة
الى ذلك وإلى مثلكم .
والرأي الأعلل لكم .

عزيزى ، رفيق

صديقنا الفاضل

وصلنى كتابكم اليوم بعد أن كنت أرسلت لكم كتاب بالتركية
عن طريق عدن صباح هذا اليوم والعجيب أن كتابكم مؤرخ ٢٤ الماضى
وهو اليوم الذى عيد فيه العثمانيون فى انحاء تركيا عيد الدستور
الذى صدر فى ذلك اليوم اعلانه من قبل السلطان ولعل الحكومة
بطرفكم تباطات باعلان الخبر عليكم لذلك لم تتلوه لنا .

مكتوبكم فهمت مضمونه وشكرت همتكم والمكتوب التركى الذى
سيصلكم فيه الجواب الكافى .

قلتم ان عزت باشا فر نعم ولكن ليس فى اليوم الذى نذكرتموه
بل اول أمس وقد ألح الأحرار بانزاله من الباخرة الانجليزية حاربه
فلم يقلحوا أما بقية الجواسيس والحاشية فلم ينبج منهم سوى سليم
ملحمة واما الباقون فباقون وسيحاكمون .

وقد أرسلت اليكم آخر ملحق للأهرام صدر أمس ضمن ظرف
أسأل عنه بالبوستة لأنى أرسلته عن طريق الجريدة مع هذا الكتاب
لأن المراقبة الخيت فأغرقوا المراقبين والجواسيس اذا شئتكم ولا تبالوا
نحن نهار غير متوجهون الى الشام لغرض يتعلق بأمرنا وأمر
الانتخابات ولا يغيب أكثر من أسبوعين ان شاء الله فلتكن مكاتباتكم
لمصر وان أمكننى الفرصة اليوم أرسل لكم بروغرام البنك فاعذرونى .
الشورى بعد يومين تصدر وترسل لكم عدة نسخ سلامنا للجميع وفى
الختام لتضى الحرية والمساواة ليحى الجيش .

١٩٠٨ أغسطس ٥

رفيق

١٦٧

مصر ٢١ أكتوبر ١٩٠٨

حضرة الأديب الفاضل

وصلنا كتابكم ثم وصل كتابكم الثانى وضمنه كتاب الجمعية لاسم حقى بك وكتابكم الثالث لاسمه أيضا وهذا وصلنا اليوم وقد علمنا كل ما شرحتموه وشرحته الجمعية وكتب بعد ذلك تقرير مطول الى مركز الجمعية سلاتيك وضمنه خطاب الشعبة الأخير المختوم بختم الاتحاد والترقى وبينما كان حقى بك ينقل التقرير ٠٠ جاء كتابكم الذى ذكرتم فيه اخراج الشعبة لتعرف الحديث بالقوة فأخذ حقى بك بترجمته لأجل ارساله أيضا مع التقرير وقد كتبنا الى سلاتيك تقريراً مطولاً عن أحوال شعبة اليمن وعن حادثة دمشق التى حدثت فى آخر رمضان ومحدثوها هم من حزب التقهر وجريدة المشايخ هذا بعد أن أرسلنا تلوغرافاً مطولاً بالحادثة الى سلاتيك ونشرنا الحادثة فى المقطم الذى أرسلناه اليكم خصيصاً مع هذا البريد لتقفوا على مجرى الحادثة ولعن الله مثيريها الأشرار ٠

الذى علمناه أن فيضى باشا أقبل وتعين فى مكانه الفريق تحسين باشا وأظن أنه سبقت له خدمة فى الجيش فى اليمن وأنا لنعجب من بقاء الرجل الى الآن على استبداده وظلمه ولا عجب من ذلك تراخى حكومة الأستانة ومركز الجمعية فى شأنه وقد حيرنا هذا الأمر مع كثرة ما قدمناه من الكتابات بهذا الخصوص ٠

لو وجد عند الشعبة فى صنعاء من الحزم ما وجد عند الشعبة فى الحديدة لما تركوا الرجل يمعن فى غلوانه ولم يكن هو أقوى وأشد شكيمة من راتب باشا والى الحجاز ومع ذلك فقد ساقه الضباط لما عزل الى جدة سوق الغنم ٠٠

نحن نقدر عمل الشعبة فى طرد متصرف الحديدة حق التقرير ونرجو أن تستعمل الصبر والثبات فى الأمور بحيث لا توجب اهراق دماء أو ايجاد أدنى مسئولية على الحكومة ولسوء الحظ أن الظروف الخارجية جعلت مركز الدولة حرجاً والداخلية لا تيسر كلها أبداً فنرجو الله أن ينقذنا من هذا البحران وأن يوفق الحكومة لتغيير خطة التراخى فى الولايات واستعمال القوة والا فقد تسوء الحال على ما ترى من ضعف الحكومة ٠٠

رفيق

صديقي الفاضل

كتابكم الأول والثاني وصلاني الى الشام حيث أرسلنا الى من مصر وكان في صدرى كلام كثير أريد أن أقوله لكم لكنكم قيدتموني بعنوانكم الأول ولم يكن موجودا عندي بالشام وكنت عرفتكم عن عزمي على السفر الى سوريا بأخر كتاب أرسلته اليكم لأنى رأيت السفر ضروريا لاجبار انتهت الى فسافرت طائفا في بيروت ودمشق وبعلمك وحمص وحماة وحيثما حللت كنت ألقى الخطب في وجوب التآلف بين القلوب وتفسير معنى الحرية ووجوب المحافظة على الدستور بالنفس والمال وأرجو أن أكون نفعت وطنى والدولة • ويمكننى أن أقول لكم أن غيابى هنا الشهر كان كله تعباً وعمل حتى كاد التعب الفكرى والجسمى يؤثر على صحتى فعدت فى الحال الى مصر فوجدت كتابكم وضمنه كتاب أخينا عونى بك بالتركية وانى لا أصف لكم مقدار شكرى لما بذلتموه والاخوان الكرام من الهممة فى ازهاق باطل المستبدين، المجاهرة بالحق فى وقت كانت اليمن محتاجة الى من يصدى بالحق فجزاكم الله خير الجزاء •

وقد أدهشنى انكم لم تتعرضوا لقطع الأعضاء الفاسدة من جسم الحكومة فى الحديثة مع أنه كان يكفى أن لو توعدوا الى بعض الأهالى بأن يطلبوا من المتصرف باسم الجمعية عزل الذين ساءت سيرتهم وأعمالهم من أئامورين ويظهر أن سطوة فيضى باشا لاتزال مؤثرة فى اليمن لذا فقد كتبت الى مركز جمعية الاتحاد والترقى فى الأستانة كتابا أخبرتها فيه عن حقيقة الحال وضمنه كتاب آخر وصلنى من عدن وكذلك سيرسل حقى بك الكتاب التركى الى مركز الجمعية أيضا ولابد من نتيجة حسنة •

جمعية الاتحاد والترقى قديمة كما تعلمون وانا عضو قديم فيها منذ تأسست أى من ١٣ سنة ولما رأينا العمل الآن قد تم على يدها •• تراءى لنا أن نضم جمعيتنا الى جمعيتها كما انضم اليها البرنس صبح الدين اليها بجمعيتها الا أنه بلغنا أنها لم تقبل أفرادا من جمعيتها أو أفراد جمعية لم تزل مجهولة عندنا ومع هذا فقد رأى حقى

بك بسفره الى الآستانة هذه المرة ميلا من الجمعية في ضم جمعيتنا اليهم خوفا من الانشقاق لذا فقد كتبنا لهم بهذا الخصوص وما نحن ننتظر الجواب وقد رأينا أيضا أن نستانن الشعب التابعة لجمعيتنا فكتبنا اليكم منتظرين الجواب وربما ترسل جمعية الاتحاد والترقي دعاة الى اليمن كما أرسلت الى بقية الولايات فأفهموا أعضاء الجمعية انه لا يجوز دخول شخص منهم في جمعية الاتحاد والترقي أبدا ما لم يكن فرعنا متها قائما بنفسه ومركزه مصر ومتى تم الاتفاق بيننا وبين الجمعية المركزية بالآستانة نخبركم عن ذلك وعن كيفية الدخول وصيغة اليمن . .

٩ سبتمبر سنة ١٩٠٨

رفيق العظم

الملحق الثالث

يوم الاثنين ٢٦ أكتوبر ١٩١٤ سافرت من القاهرة عن طريق السويس متوجها الى بومباي فثغر الكويت في الخليج (الفارسي) ومعى باسبورت من محافظة القاهرة مصدقا عليه من مندوب جيش الاحتلال يومئذ ، وببدي ورقة اذن خاصة بامضاء جناب الجنرال مكسويل قائد الجيوش البريطانية في القطر المصري تجيز لى هذا السفر لأنه كان ممنوعا الا عن الانجليز والهنود .

وفى مساء ٢٧ أكتوبر ركبت الباخرة Firenze فرنزا الإيطالية من السويس أنا ورفيقي عبد العزيز افندى العتيقي من أهالى الزبير التابعة لمركز ولاية البصرة الذى يحمل من أوراق الاذن بالسفر مثل ما أحمل . ولم تكن نعلم شيئا عن قرب وقوع الحرب بين الحلفاء والدولة العثمانية ، فلما وصلنا الى بومباي صباح يوم السبت ٧ نوفمبر علمنا ان العلاقات انقطعت بين تركيا وروسيا وكذا بين الحلفاء جميعا . وبالرغم من تشديد البوليس على تبعة الدول الأخرى من ركاب باخرتنا فقد وجدنا منه مساعدة وكراما . وراينا يعرف اسمى واسم رفيقى قبل أن نعرفه نحن بهما . فاستتبطنا من ذلك أن حكومة بومباي تلقت من مصر تلغرافا يتضمن الوصية بحسن معاملتنا . وفى يوم الاثنين ١٠ نوفمبر دعينا الى دائرة رسمية عالية فى بومباي فقابلنا رئيسها وكان بين يديه أضبارة أوراق (دوسيه) بى ورفيقي فكان يقرأها ويوجه إلينا بعض الأسئلة عن سفرنا والمكان الذى نقصده . وبعد خروجنا من هناك جاءنا البوليس بورقتين رسميتين مضمونهما التعريف باسمائنا ومحل اقامتنا والاذن لنا بالاقامة فى بومباي لأن ذلك لا يكون بغير اذن رسمى فى هذه الأيام .

وبعد ظهر يوم الخميس ١٢ نوفمبر ركبنا الباخرة دوراكا Dwarka الانجليزية متوجهة من بومباي الى الكويت ، فمرت

الباخرة على ثغور كثيرة وابطات في سيرها التي وصلنا ثغر بوشهر
يوم الاثنين ١٣ نوفمبر .

لما رست الباخرة في ميناء بوشهر خرج اليها من ذلك الثغر
بوليس انجليزى كان أول عمله انه جاء وطلب الاطلاع على جواز
(پاسپورت) كل واحد منا ، فاطلعناه عليها وعلى الورقتين الرسميتين
اللتين اخذناهما من حكومة يومبائ فاطهر رغبته في الاطلاع على
صنائقنا وأمتعنا ، وبعد التفتيش الدقيق بمساعدة بوليس سرى
افغانى يعرف اللغة العربية . مع أن البوليس الانجليزى أيضا يقرأ
ويقفهم هذه اللغة لم يجد عندي شيئاً مع الأوراق يستحسن اخذه
الا شهادة من جناب المستر ريتشارد سن فيس قنصل انجلترا في
الحديدة وقمران في اليمن أعطاني اياها بعد استقالتى من وظيفة
ترجمان التي كنت موظفا فيها عنده من سنة ١٩٠٧ الى أواخر سنة
١٩٠٨ .

وكنيت أظن أن البوليس سيعدل عن تشديده علينا بعد اطلاعه
على هذه الشهادة والجوازات التي في أيدينا وعدم ظهور شيء عندنا
يستدعى ارتيابه فينا ، ولكن الأمر جاء بعكس ماظننت فانه دعا أربعة
من الهنود الذين كانوا مسلحين كانوا حاملين لزنادهم وحوائجهم
كانهم مهيأون من قبل لأن يجعلوا معنا . ومنذ تلك الساعة صرنا
ممنوعين من الذهاب الى الكويت . وأصبحنا تحت سلطة هؤلاء
العساكر الأربعة فكلما تحركنا من مكاننا رافقنا واحد منهم بسلاحه .

دامت هذه الحال من صباح يوم الاثنين ٢٣ نوفمبر الى مساء
يوم الخميس ٢٦ منه وكنا قد وصلنا الى الجمره فأنزلونا هنالك الى
الباخرة (مجيدية) . وكانت غاصة بالعساكر الهنود فصرنا فيها
تحت ضغط ماكننا فيه في الثلاثة الأيام السابقة .

وفي صباح يوم الجمعة ٢٧ نوفمبر نزلنا الى البصرة فأخذتنا
جماعة من العساكر الايطالية الى مكتب جناب المايجور براونلو حاكم
البصرة العسكرى حيث يوجد عدد من كبار رجال الحملة وبعض
موظفى القنصلية السياسية فسالونا أسئلة كثيرة عن السكان

القادمين منه والمكان الذاهبين اليه وعن سبب سفرنا والمهنة التي نحن نشغل بها فكنا نجيبهم بالصدق والصراحة وهى اننا قادمون من مصر وذاهبون الى الكويت ومعنا پاسپورتات كافية أخذها منا بوليس بوشهر . وانى تاجر كتب فى القاهرة ومحرر فى جريدة المؤيد . وكنت قبل ذلك ترجمانا للقنصلية الانجليزية فى الحديدة (اليمن) وأخبرتهم بشهادة القنصل التى أخذها البوليس منى ، وأخيرا قلت لهم انى معروف فى مصر ولكن السؤال عنى من رجال الحكومة البريطانية فيها وان بوليس بومباى لديه توصية بى وبرفيقتى مرسله من مصر ويمكن السؤال عنا منه أيضا . وطلبنا منهم ان يأنزوا لنا بارسال تلغراف الى معارفنا فى مصر وان ذلك مفيد فى سرعة مجيئ خبر رسمى الى الحكومة الانجليزية فى البصرة بأننا معروفون لدى الحكومة المصرية ورجال الدولة البريطانية هناك فرضى طلبنا ظنا أن هذه البيانات كافية لاطلاعنا . ولكن النتيجة كانت صدور الأمر بارسالنا الى قشلاق . حيث بقنا ليلة . ثم دعيت انا وحدى فى اليوم الثانى لمقابلة جناب الماجور ريكسن كوميشير بوليس البصرة فاعاد على الأسئلة الاولى نفسها . وكانت أجوبتى عليها كأجوبتى على أمثالها لدى جناب الحاكم العسكرى . وفى مساء أرسلنا الى منزلى أمام القشلاق استأجرته الحكومة لتجعله سجنا فوضعنا فى حجرة طالما شكونا ما ناله فيها من الأضرار الصحية مدة الشقاء وما يصيبنا من أذى البراغيث والهوام الكثيرة فيه وأبدينا اندهاشنا من بقاءنا فى السجن المذكور بين اللصوص والجناة ونحن لا نعرف لنا ذنبا أو سوء تصرف .

وفى يوم الاثنين ٢٠ نوفمبر زارنا فى السجن جناب الماجور جريكسن ومعه بعض الضباط وطلب منى أن أكتب له تقريرا بالكلام الذى عرضه عليه وعلى جناب المستر بونارلو قبل يومين ، فأجبته حالا الى ذلك وبعد مضى ساعة قدمت له التقرير وانى لم أترك شيئا من الحقائق التى تبعث على اطمئنان البنا الا ذكرتها فيه . وفى هذا اليوم نفسه سألت جناب المستر جريكسن هل أرسلت الحكومة تلغراف الى مصر تسال عنا فقال نعم أرسلنا تلغرافا ولم يرد جوابه من مصر .

وفى ١٩ ديسمبر قدمت للحكومة الانجليزية فى البصرة عريضة طلبت فيها اعادتى الى مصر وذكرت فيها أن استمرار تعطيلى سينتج عنه استقضاء ادارة جريدة المؤيد عني ، فافقد وظيفتى التى أعيش منها ، وأن عندى بعض المطبوعات والأعمال فى ادارة المكتبة التى أنا شريك فيها وسيلحقنى ضرر من طول مدة اهمالها . وكذلك كتب رفيقى الشيخ عبد العزيز فى ذلك اليوم عريضة ذكر فيها ان والد: مقيم فى بلدة الزبير التابعة للبصرة وطلب أن يسمح له بالذهاب الى منزله واذا كان ذلك يتوقف على تقديم ضامن يضمن اقامته فى المكان الذى تريد الحكومة وعدم مبارحته الا بعلم منها فهو مستعد لتقديم ضامن ترضى الحكومة به .

وفى يوم عيد الميلاد (٢٥ ديسمبر) قدمنا عريضة أخرى ذكرنا فيها ما هو مشهور عن عدل الحكومة الانجليزية واننا بريئون من كل عمل يخالف قوانينها وسياستها ورجونا من جناب حاكم البصرة أن يسمح لنا بمواجهته عسى أن يكون ما نعرضه عليه سبباً فى ازالة سوء التفاهم الذى حصل فى مسألتنا العجيبة .

وكنا قد علمنا ونحن فى القاهرة انه ربما أرسلت وصية الى قنصل الكويت بشأننا كما أرسل الى بومباى مثل ذلك فأرسلنا فى ٢٨ يناير ١٩١٥ رسالة الى جناب القنصل المشار اليه ذكرنا له فيها اننا مسجونون بلا سبب نعلمه وأنه اذا كانت قد وردت عليه الوصية التى ذكرت لنا فرجاؤنا أن يتفضل بتعريف حكومة البصرة بذلك عسى أن تكون وساطته سبب فى خلاصنا .

ومن العجيب أن كل ما قدمناه وأرسلناه من عرائض ورسائل لم نحصل منه على جواب ما .

بعد مضى خمسين يوماً كاملة من اقامتنا فى ذلك السجن دعانا جناب الكولونيل السير برس كوكس الوكيل السياسى فى البصرة - وكان ذلك صباح يوم السبت ١٥ يناير ، فذهبنا صحبة بعض

الجنود المسلمين الى الباخرة كميث Comet من بواخر النهر حيث كان متأهباً للذهاب عليها الى جهة القرنة فاعاد علينا نفس وقلنا له ان المستر جريكسن أخبرنا بأن الحكومة أرسلت تليفرافا الى الاسئلة التي كانت توجه الينا من قبل فكنا نجيبه عليها بحقيقة الواقع. مصر تساله به عنا ، ولكننا بالرغم من ذلك بقينا فى السجن طوال هذه المدة وشكونا له أشياء كثيرة عن حالة السجن وان طعامنا تشنزيه من السوق وهو طعام رديء لعدة وجود مطاعم حسنة فى البلد ، فكان جوابه لنا انه سيرسل الآن تليفرافا الى مصر ، وعلى ذلك عدنا الى سجننا مع الجنود التي جاءت بنا فاقمنا فيه واستمرت اقامتنا اشهرًا أخرى ، فاضطررنا لأن نقدم عريضة أخرى رفعناها هذه المرة لجناب السير برسي كوسي بتاريخ ١٥ مارس كبرنا فيها شكوانا المرة ورجواناه أن يكون وجدانه الظاهر كاميا عنا اذا لم يكن فى هذا البلد من يرى قيمة لآلامنا . وهذه العريضة أيضا بقيت كأخواتها بلا جواب .

وفى أواخر شهر ابريل اشتد مرض الأمعاء والضعف العمومى على رفيقى حتى صار لا يقدر أن يمشى ، فأرسل للسير برسي كوكسى عريضة عرض له بها ما هو فيه من سوء الحال فمالبث أن جاءه طبيب عسكري اعطاه بعض العلاجات . وبعد بضعة أيام نقلنا من ذلك المكان القبيح الى مكان أحسن فى مركز بوليس العشائر . ومهما يكن هذا السجن حسنا فان طول مدة غيائى عن مصر جعلتنى فى قلق على اشغالى فيها فقدمت عريضة لجناب كوشنر بوليس البصرة طلبت فيها أرسالى - ولو تحت التحفظ الى مصر - وأنه اذا كان هناك ما يوجب اقامتى فى السجن أكون فى سجن مصر لا فى سجن البصرة لأستطيع أن أتغدى غذاء جيدا على الأقل . فلم أحصل على اجابة لهذا الطلب .

وفى اثناء شهر مايو زار الشيخ ابراهيم الذى هو حاكم الزبير من طرف الحكومة الانجليزية - جناب السير برسي كوكسى فسأله جنابه عن والد رفيقى عبد العزيز وعن ولده عبد العزيز وهل يعرفه فكان جوابه خيرا وعرض على جناب السير أن يضمّن عبدالعزيز فى

أى امر اذا كان خلاصه من السجن متوقفا على ضمانه • فاجابه
جنايه ان وقت خروجه لم يحن بعد •

وفى صباح ٢٣ يونيو استدعانى جناب السير برسى كوكس
الى دار الادارة السياسية وأخبرنا أنه كان أرسل تلغرافا الى مصر
عندما قابلنا أول مرة - أى فى ١٥ يناير - وكان جواب التلغراف
لم يرد على السان البرقى بل مع البرقى وذلك وصل الآن مؤذنا
بعودتكم الى مصر فشكرته أنا على ذلك وقال له رقيقى أنه لا شغل
له فى مصر بل وهو يرغب فى الإقامة عند والده فى الزبير (البصرة)
أو عند زوجته فى الكويت • فسأله هل يضمن الشيخ ابراهيم حاكم
الزبير إقامتك عند والدك وعدم خروجك من هناك الا بعلم الحكومة •
أجاب نعم • فقال له جنايه اذن فانت تبقى فى السجن الى أن تجرى
مخابرة جديدة مع مصر بشأنك لأن الاذن جاء من مصر بخروجكما
من السجن لتعودا الى مصر • ووعده جنايه بإرسال تلغراف الى
القاهرة للسؤال عن ذلك •

وعلى هذا عدت أنا ورقيقى الى سجننا أنا أنتظر أول باخرة
تسافر الى بومباى لأسافر الى القطر المصرى عن طريقها ورقيقى
ينتظر جواب تلغراف السير برسى كوكس • وقد سافرت مساء يوم
٢٧ يونيو ورقيقى لا يزال محبوس • وقد جاءنى منه رسالتان فى
٢ ، ٩ يوليو يقول فيه أنه لا يزال فى السجن ولا يرى علاقة تدل على
قرب الخروج منه •

هذه حكاية سفرى هذا الذى غبت فيه عن القاهرة من يوم
٢٦ أكتوبر ١٩١٤ الى يوم ١٥ يوليو ١٩١٥ وهى مدة تسعة أشهر
الأيام •

الملحق الرابع

الى الامّة العربية

« الوطن في خطر »

نحن الآن في شقا.

البلاد فرغت من الرجال ومن النور

قدما أولادنا للمكرية وأمهاتنا للاستانة لاجل ان نرتقي الدولة فكار
رتقاؤها الى أسفل

والآن أمينا وينا وبين رجال الاستانة سوء قناهم نحن نعتد اهم
اخواننا وهم في الظاهر يصحكون علينا وفي الواقع يرون اننا عيديم وأن لهم ان
يتمونا حقوقا وهما الله وان يجرسوا ألسنة أنطقها الله . وان يصمروا من بلادنا
خيراتها فيسبوا بها جوف الاستانة الذي لا يتلى ويطون رجالها التي لا تشع .
يرون من اسهل الاشياء وبسطها ان نموت نحن لاجل ان نحيا الاستانة حياة غير
طينة ولا هنيئة، وأي حياة للرأس اذا مات جسد صاحبه ؟ واي هنا للجسد اذا
طلد رأسه هكذا عيللا فاسدا ؟

بي قومي يا أبناء لثة عدنان وسكان مملكة عمر بن عبد العزيز والمأمون بن
هارون . ان عبر الرمان ناديتكم وكوارث الدهر تعظم فاستمعوا لها : وطننا في
خطر ذهب حاو يد بك الى أسواق أوربا ليدل على موافق بلادنا . وذهب
حني باشا الى وزارات أوربا ليدل على البلاد نفسها . ويريد رجال الاستانة أنهم
اذا خرجوا من ربوعنا . كما خرجوا من ربوع غبرنا . بسوء سياستهم وسخافتهم
نكون موارد عيشنا وأماكن زرعنا وضرعنا قد يمت الى أفاس أشد منا قوة وأكثر
. ألا يمتلكون أرضنا وبحار موتنا بهذه الاتيازات التي يحصلون عليها من جاوید
وحني واحوا بها بس خمس نم لم لا يرضون بنا أجراء في بلادنا

بابي أمي وببي عبي هبا الى تلافى الخطر كنواع الحق ثم لا تخافوا .
الله معا وقوة الامة لا يستهان بها . ويكفي القاميس بالاملاح أن تكون قلوب

معهم . هم رفعوا أصواتهم بطلب الحق للأمة والخير للبلاذ ورد عاديّات الشر
الذي صار منظورا بالميون وملوموا بالأيدي فأدوا بذلك ما يجب عليهم . ونحن
على ما يجب علينا من ضم أصواتنا الى أصواتهم نطالب الحكومة من هذه الساعة بأن
لا تعطي لأحد امتيازاً بمشروع في بلادنا العربية الا بعد أن يتقرر الاصلاح ويصير
للجاس العنوية في ولاياتنا سلطة تشريعية كسلطة مجلس الأمة وأن تسرع
ما أمكن بإجابة مطالب الأمة في هذا الباب

أيها الاخوان . لا ريب في أن آباءنا العرب كانوا حكاما وأن الاوربيين حتى
في هذا العصر الرقي معجوبون بصل اولئك الآباء الكرام وحسن سياستهم
وادارتهم . ونحن أبناء اولئك الآباء لا يتقصنا الا ان تسرن على صناعة الحكم .
ولا شك اننا متى مارسنا ذلك على غير طريقة الظلم والارشاء والاضطراب والفوضى
التي تملتها من الاستانة فانه لا يمضي علينا زمن قليل حتى تعود الينا تلك المزية
القائمة ويصح فينا قول الشاعر « ومن يشابه أبه فما ظلم »

وبعد فان الحق بيننا والباطل بيننا ولكل قلب وجهة هو موليا . وهذه
دعوة الى الشبان والشيوخ الى ناشئة البلاذ وأعيانها تدعوهم جمعا - ونحن من
اجزاء هذا الجمع بالطبع - ان نكون كلنا بذا واحدة فيما نتاجينا به الحدود في حدودهم
والاحقاد في اصلاص الاولاد ان ثوبوا الى رشدكم وانظروا في موقف بلادكم قبل
ان يسلمكم تيوس الاستانة الى ذئاب اوربا ثم لا تفلتون من بين ايديهم
اليوم يوم اتحاد القلوب وبذ الفروق الحفيرة والاختلافات الصغيرة . انحدوا
على طلب العدل قبل أن يحدد بينكم الظلم . اليوم يوم احتفار المال في سبيل احاد
الوطن من الخطر القليل عليه وهو بيع أرضه ومراقته ورهن ما بقي للحكومة من
امواله حتى يتعذر ان تقوم له قائمة او يوجد فيه عمران او صلاح
هذا بلاغ الى أعياننا وأغنيانا خصوصا في أول عواصم الملقاء بعد الراشدين في
أن يساعدوا هذه الحركة المباركة بأموالهم وأنفسهم فيجذبوا بذلك أبناءهم اليهم
قبل أن يكونوا اعداء لهم وقبل ان يملوا من الارمن كيف يضطرون الاغنياء
لمساعدة الشرورات القائمة والعمل على خدمة المجموع الذي يتسبون إليه ان لم
يكن بالرصاص فيا للديناميت

(ميم)

محمّد بن عبد الله

[This Document is the Property of His Britannic Majesty's Government.]

ARCHIVES.

THE WAR.

[October 20.]

CONFIDENTIAL.

SECTION 16.

[03581]

No. 1.

Mr. Cheetham to Sir Edward Grey.—(Received October 26.)

(No. 223.)

(Telegraphic.) P.

Cairo, October 26, 1914.

IN reply to your telegram No. 269 of 18th October. The Intelligence Department had already received enquiries from responsible adherents of the Pan-Arab movement living in Cairo as to the attitude which His Majesty's Government would adopt should the Turks declare war, and an answer has now been given them in the sense of your telegram. They have sent reliable agents of their own selection to Arabia, Syria, and Palestine to communicate the message verbally to Arab chiefs in those countries, and a considerable sum of money has been placed at the disposal of the promoters of the movement for their use.

In addition to this, prominent local Arabs have addressed letters to influential friends in the above-mentioned countries urging them to do their best to dissuade the Arabs from joining Turkey against their own interests. Leaders here have given us to understand that for the moment the Arabs do not expect more from Great Britain than a benevolent attitude towards their aspirations for self-government and an assurance of her moral support, should the time come for putting their plans into execution. But there is little doubt that in case of war, if anything more is expected from them than passive resistance, we should have to provide arms and ammunition, just as the Idrisi was supplied by the Italians during the Turco-Italian war.

[2266 cc—16]

[This Document is the Property of His Britannic Majesty's Government.]

ARCHIVES.

THE WAR.

[October 28.]

CONFIDENTIAL.

SECTION 13.

[64467]

No. 1.

Mr. Chestham to Sir Edward Grey.—(Received October 28.)

(No. 228.)

(Telegraphic.) P.

Cairo, October 28, 1914.

IN continuation of my telegram No. 223, I have to report that agents have been despatched by the leaders of the pan-Arab movement in Oudr as follows:—

To Bairout for Damascus, Aleppo, Homs, and the Hauran.

To the Persian Gulf for Mesopotamia and Ibn Saud's district.

To Jeddah for Mecca and the Hedjaz, and also for Southern and Eastern Palestine.

It is also intended to send agents to Imam Yahia and the Idrisi before long, but it has not been easy to find men suitable for the mission.

The agents destined for the Persian Gulf sailed on the 26th October in an Italian steamer from Suez for Bombay; from there they intend to go to Koweit.

I think the Indian Government should be warned of the coming of these men, whose names are Moheb-ed-Din-el-Khatib and Abd-ul-Aziz-el-Atiki. They could then instruct the authorities at Bombay and Koweit to give them all assistance.

At Koweit they will go to see our Resident, and they will thus be able to arrange to work in unison with him as regards any instructions he may have received in this connection.

[2266 24—13]

الفهرس

الفصل الاول :

- نشأة محب الدين الخطيب الأولى ٧

الفصل الثانى :

- دور محب الدين الخطيب فى الحركة العربية حتى
اعلان المشروطية الثانية ١٩

الفصل الثالث :

- دوره فى الجمعيات العربية ١٩٠٨ - ١٩١٤ . . ٤٧

الفصل الرابع :

- اعتقاله فى البصرة ٩١

الفصل الخامس :

- خدمته مع الشريف حسين ١١٩

الفصل السادس :

- دوره مع الحكومة العربية في دمشق . . . ١٢٧
- قائمة المصادر ١٤٩
- ملحق البحث ١٥٥
- الملحق الأول ١٥٧
- الملحق الثاني ١٦٤
- الملحق الثالث ١٧١
- الى الأمة العربية ١٧٧

رقم الايداع ١٩٩٠/٣٢٦٣

الترقيم الدولى ٣ - ٢٤٢٧ - ٠١ - ٩٧٧

الهيئة المصرية العامة للكتاب

●● هذا الكتاب دراسة عن شخصية من الشخصيات التي لعبت دورا هاما وواضحا في الحركة العربية منذ بدايتها ، وظلت بصماتها واضحة على الحركة في ادوارها المختلفة .

محب الدين الخطيب هذا العلم الشهير على مستوى العالم العربي أعطى لأمة ما وسعه من الجهد حتى وافاه الأجل المحتوم سنة ١٩٦٩ م . فلا أقل من أن نسجل له هذا التاريخ ونشره في ذكراه .